كتاب

مفتاح العلوم
بحل ثلاثة من خير أنواع الفهوم
التوحيد والفقة والتصوف

الجزء الثاني

لمؤلفه

محمد عبد العزيز سيدي عمر

الإمام والمدرس بالزاوية المهدية

مدرسة سيدي البخاري

بلدية تيمي ولاية أدرار

(صحراء الجزائر)



كتاب

مفتاح العلوم

بحل ثلاثة من خير أنواع الفهوم

التوحيد والفقة والتصوف

الجزء الثاني

لمؤلفه

محمد عبد العزيز سيدي عمر

الإمام والمدرس بالزاوية المهدية

مدرسة سيدي البخاري

بلدية تيمي ولاية أدرار

(صحراء الجزائر)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه أجمعين

شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لاإله إلا هو العزيز الحكيم (1)

باب في التصوف

أي هذا باب في علم التصوف ، والتصوف يطلق على العلم والعمل، وبدأ باشتقاقه فقال:

إِنَّ التَّصَـوُّفَ مِنَ الصَّفَاءِ ... يُشَقُّ لاَ مِن صُوفَةِ الكِسَاءِ

هذا أحد إشتقاقاته وفيه أقوال أخرى، قيل من الصفة، إذ حاصله إتصاف بالمحامد وترك الأوصاف المذمومة، وقيل من الصفاء، وهو علم يعرف به كيفية تصفية الباطن من كدرات النفس أي عيوبها وصفاتها المذمومة من الغل والحقد والحسد، والقول بأنه مشتق من الصفاء هو المختار كما في لطائف المنن نقلا عن المرسى قال أبو الفتح البستي:

تخالف الناس في الصوفى واختلفوا ... فيه فظنوه مشتقا من الصوف

ولست أمنح هذا الإسم غير فتى ... صفا فصوفى حتى سمي الصوفى

وأنشد في المدخل

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ... ولابكاؤك إذ غنى المغتونا

و لاصياح ولا رقص ولا طرب ... ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا

بل التصوف أن تصفو بلا كدر ... و تتبع الحق والقرآن والدّينا

وأن ترى خاشعا لله مكتئبا ... على ذنوبك طول الدهرمحزونا

تنبيه : إن تصحيفا وقع في بعض أحداد ناظم الأرجوزة المشروحة. وهذا إصلاحه : هو الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن بن الطيب بن احمد بن محمد بن عمر بن معروف بن يوسف التّنيلاني.

1- سورة آل عمران الأية : 17.

وقيل مشتق من الصوف لأنه زي أهله غالبا، أثروه تواضعًا وتقللاً من الدنيا واتباعا للسلف أو لأنهم يرون أنفسهم كصوفة ملقاة في الأرض والرياح تحركها فلا يشاهدون الأفعال من أنفسهم وإنما يشاهدونها من ربهم، أو من صوفة القفا للينها، فالصوفى هين لين، وقال الشيخ أبو حفص الفاسي ظهر لي أنه منسوب إلى الصوف لأنه في الغالب شعاره ودثاره ولأن هذا اللفظ مشتمل على ثلاثة أحرف مقتطعة من ثلاث كلمات دالة على معان ثلاثة هي أوصافه المختصة به، فالصاد من الصفاء والواو من الوفاء، والفاء من الفناء وقد أشرت لذلك في ثلاثة أبيات فقلت:

صفا منهل الصوفى عن عِلَلِ الهوى ... فماشاب ذاك الورد من نفسه حظ

ووفى بعهد الحب إذ لم يكن له ... إلى غير من يهوى التفات ولا حظ

محت آية الأضلام شمس نهاره ... وقد ذهبت منه الإشارة واللفظ

قاله ابن حمدون اهـ منه، ثم قال:

مَحَلُّهُ الْقَلْبُ لأَنَّ الْقَلْبَا ... بَيْتُ إِلَهِكَ وُقِيتَ السَّبَّا

أي إن علم التصوف علم باطني (محله القلب) هذا وقد تكلم الناظم رحمه الله على عمل الظاهر بأتم بيان وتفصيل ثم أعقبه بعلم القلوب للجمع بين الواجبين، كما قال ابن أبي زيد وقد فرض الله سبحانه وتعالى على القلب عملا من الإعتقادات وعلى الجوارح الظاهرة عملا من الطاعات، هذا وقد قدم عمل القلوب في الفن الأول الذي هو علم التوحيد، ثم ختم هذا الكتاب بالفن الثالث الذي أشار إليه بقوله أول منظومته،ثم التصوف البيت، تفاؤلا أن يكون السعي في تصفية القلب وتطهيره خاتمة العمل، إشارة إلى أن تحصيل ما تقدم من الفن الأول والثاني شرط في صحة الفن الثالث الذي هو التصوف إذ لا تصوف إلا بفقه كما لا فقه إلا باعتقاد و إيمان إذ لا تعرف أحكام الله الظاهرة إلا به، كما لا فقه أيضا إلا بتصوف، إذ لا عبرة بفقه لا يصحبه صدق التوجه ولذلك قيل من تصوف ولم

يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه و لم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقطد تحقق، ويؤخذ من هذا وجوب هذا العلم على الأعيان وبه صرح الغزالي كذا في ابن حمدون اهـ و ذلك (لأن القلبا بيت إلهك) إذ هو محطّ نظره تبارك وتعالى لما في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم (**إن الله لاينظر إلى صوركم ولا إلى أحسابكم وإنما ينظر إلى قلوبكم**) وقوله (وقيت السبا) دعاء من المصنف للطالب إي وقاك الله أي نجاك من السب أي ممن يسبك ويرميك بالقول السيّئ والبهتان، أو من الأسباب التي ترديك وتهوي بك في مهاوي الشر، والله أعلم، ثم قال:

فَقَلَّ مَن يَّرُومُ هَـذَا النَّهْجَا	**مَـن رَّامَ قَـلَّ نَهْجُه فِي الأَرْجَا**
وَقَلَّمَا يَصِـلُ سَالِـكٌ إلَـى	**إلَهِـهِ لأنَّـهُ أَمْـرٌ عَـلاَ**

أي قل من يروم في المستقبل (هذا النهجا) أي الطريق الموصلة لعلم التصوف الذي هو المنهج الموصل إلى الله وقل كذلك (من رام) أي قصد (نهجه) في الماضي (فِي الأرجا) أي في أرجاء الأرض (و) الواو حرف عطف (قلما) قل فعل ماض وما مصدرية تسبك وما بعدها بمصدر وهو الفاعل وعبر بالقلة عن العدم أي قل محاولة وصول (سالك إلى إلهه) في حال من الأحوال إلا بسلوك هذا النهج القويم، لقولهم ماوصل من وصل إلا بمحبة من وصل، وذلك (لأنه أمر علا) فلا يصعد له ولا يسلك نهجه إلا من علت همته وقويت عزيمته وصبر ورابط وكابد الشدائد والمحن كما قيل خزائن المنن على قناطر الإمتحان وقيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم	وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير الصغائر	وتصغر في عين العظيم العظائم

وقال بعضهم:

بقدر الكد تكتسب المعالي	فمن طلب العُلَى سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا	يغوص البحر من طلب اللئالي

وسبق الكل قوله وتعالى ﴿ **وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ (1) ولذا قال:

وَكُلُّهُ جِدٌّ وَلَيْسَ فِيهِ مِنْ رُخْصَةٍ أَوْ وَّهَنٍ تُلْفِيهِ

وَدُونَهُ قَوَاطِعٌ وَأَهْوَالْ وَعَقَبَاتٌ صَعُبَتْ وأَثْقَالْ

(و) أي وعلم التصوف (كله جد) لاهزل ولا كسل ولا تراخ، بل لا ينال إلا بالكد والإجتهاد والرياضة والجوع والسهر، ومجاهدة النفس في ردها عن هواها من ترك المامورات واجتناب المنهيات وترك الراحة إلى ما طلب منها من عكس ماذكر، وهذا هو الجهاد الأكبر الذي أشار له صلى الله عليه وسلم بقوله حين الرجوع من بعض غزواته (**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**) الحديث أوكمال قال إبن عاشر يجاهد النفس لرب العالمين البيت، ابن حمدون، ومجاهدة النفس مقاتلتها، قال في تاج العروس فيبدل البطالة بالإشتغال با لله والكلام بالصمت والقعود على أبواب الطرقات بالخلوة والأنس بالمخلوقين بالأنس با لله وقرناء السوء بأهل الخير **و**الصلاح والسهر في المعصية بالسهر في الطاعة والإقبال على أهل الدنيا بالإعراض عنهم والإقبال على الله، والإصغاء لكلامهم بالإصغاء والإستماع لكلام الله وذكره، والأكل بالشره والشهوة بالأكل بالقليل الذي يعين على الطاعات قال تعالى ﴿**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**﴾ (2) اهـ بمعناه وقال القشيري رضى الله عنه، قتل النفس في الحقيقة التبري من حولها وقوتها أو شهود شيء منها ورد داوعيها إليها وتشويش تدبيرها عليها وتسليم الأمور إلى الله سبحانه بجملتها وإنسلاخها من إختياراتها وإرادتها وإنحاء أثر بشريتها عنها.

فإذا جوهدت النفس بهذه، المجاهدات وقوتلت بهذه المقاتلات رجعت عن جميع مألوفاتها الدنيّة وعاداتها الردية وزال عنها النفور والإستكبار ودانت لمولاها

1- سورة فصلت الاية : 35. 2- سورة العنكبوت الآية : 69.

بالعبودية والإفتقار وزكت أعمالها وصفت أحوالها وهذه هي خاصيتها التي خلقت لأجلها ومزيتها التي شرفت من قبلها، وإنما ألفت سوى هذه لمرض أصابها من الركون إلى هذا العالم الأدنى والأنس بالشهوات التي تزو ل وتفنى.

وقتل النفس وعدم رؤيتها كما قال سيدي ابن عباد هو الغرض الأقصى ومرمى نظر الصوفية، وكل ما صنفوه ودونوه وأمروا به ونهو عنه من أقوال وأفعال وأحوال إنما هو وسائل إلى هذا المقصد الشريف والمقام المنيف، فشأنهم أبدا إنما هو على موت نفوسهم وإسقاط حظوظها بالكلية وليس هو المقصود لهم بالذات وإنما غرضهم من ذلك ما يلزم عنه من إنفراد المولى سبحانه عندهم بالوجود، اهـ قوله (وليس فيه من رخصة أو وهن تلفيه) أي لا تجد في هذا العلم رخصة عن الرياضة والمجاهدة وقتل النفس أوتهاون في العمل كما قيل:

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

(و) أي واعلم بأن (دونه) أي قبل الوصول إليه (قواطع) أي أمور تعرض لك في طريقه لتقطعك عن الوصول إليه (وأهوال) أي شدائد ومحن وإبتلاء، كما قيل:

أني بليت بأربع ماسلطوا علي إلا لمحنتي وبلائي
إبليس والدنيا ونفسي و الهوى كيف الخلاص وكلهم أعدائي
إبليس يسلك في طريق مهالكي والنفس تأمرني بكل شقائي
وزخارف الدنيا تقول أما ترى حسني وفخر ملابسي وبهائي
وجنودهم دارت بسور مدينتي يساعدني ومؤملي ورجائي

ولابد من الإبتلاء لقوله تعالى ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**﴾ (1) .سورة محمد. رقم31.

1- سورة محمد. رقم31.

(و) أي وقطع (عقبات صعبت) أي صعب مسلكها إلا على من سهله الله عليه كما قال صلى الله عليه وسلم في دعائه (**اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن سهلا إذا شئت**) أوكما قال وفي الحديث الوارد في الأربعين النووية عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال، قلت يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال (**لقد سألت عن عظيم وأنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه**) الحديث (و) أي وحمل (أثقال) من أوراد وتوظيف عبادات من صلوات نوافل وصيام وقيام لا يطيق ذلك إلا الفحول الذين صحبتهم العناية الربانية وحصلت لهم الإعانة الإلهية، فأولئك لا يحسون بثقل ولا يصعب عليهم قطع عقبات بل يلتذون بذلك ويصير عندهم أحلى من العسل كما قيل (أبو حنيفة).

سهري لتنقيح العلوم ألذّ لي ... من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلي طربا لحل عويصة ... أشهى وأحلى من مدامة ساق

وصرير أقلامي على أوراقها ... أحلى من الدوكاء والعشاق

وألذ من نقر الفتاة لدفعها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراق

أأبيت سهران الدجا وتبيته ... نوما وتبغى بعد ذاك لحاق

وهذا لا يطيقه أيضا إلا من أعانه الله، كما قيل.

إذا كان عون الله للمرء ناصرا ... تهيا له من كل صعب مراده

وإن لم يكن عون من الله للفتى ... فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

ثم قال:

سَلَكَهُ الغُرُّ مِنَ الرِّجَالِ ... فَوَصَلُواْ لِحَضْرَةِ الوِصَالِ

أي سلك هذا النهج المذكور بقطع عقباته وحمل أثقاله (الغر من الرجال) الغرمأخوذ من الغرة البيضاء في وجه الفرس الأدهم، ومعناه الظهور، وفي الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم (**أمتي يدعون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء**) أوكما قال، ومن ذلك قول البوصيرى في بردة المديح:

وأحيـــت السنـــة الشهبـاء دعوتــه   حتــى حكت غرة في الأعصر الدهم

وقوله (من الرّجال)، أي الذين ذكرهم ا لله تعالى في معرض المدح بقولـه جلّ من قائل ﴿رجال لا تلهيهـم تجارة ولابيع عـن ذكـر ا لله﴾ (1) الآيـة سـورة النـور رقم37 فهـؤلاء الذيـن جـاهدوا أنفسـهم في ا لله وقطعـوا الطـرق الصعبـة (وصلـوا لحضرة الوصال) أي لحضرة ا لله تبارك وتعـالى حيـث كـانت أجسـادهم متعبـة في طاعة ا لله وقلوبهم في حضرته تعالى ليست لهم علاقة بما سواه فهم بأجسادهم مع الناس وبقلوبهم مع ا لله ولمّا ذكر الرجال الذين سلكوا النهج المستقيم فوصلوا إلى حضرة الوصال حضرة ذى الجلال والإكرام، ذكر الأغبياء الذيـن خلفهـم الإبطـاء في الحضيض وشبه نفسه بهم هضما لها على عادة أمثاله الصديقين، عرفوا أنفسـهم بالذل والهوان و لم يثبتوا لها فضل إحسان وإلا فهو من الفحول الكبار علمـا وأدبـا وتقوى وعملا وزهدا وورعا وحياء، مع تبحـره في اللغـة وعلـم القـوافي والنحـو، ومـع هـذا كلـه كـان متواضعـا خاشـعا، حتـى أشـتهر بذلـك شـهرة بلغـت حـد التواتر، رحمه ا لله ونفعنا ببركاته آمين. فقال:

وَوَقَــعَ العُبَـامُ مِثْلِي فِي الْحَضِيضْ   مُرْتَكِـسًا بِـذَنْبِهِ الفُحْشَ العرِيضْ

أي سقط (العبام)، أي الحماق الأغبياء ففي المنجد، عبـم، عبامـة، وعبامـا، كان أعباما أي أحمق عبام كثير العبام الثقيل الغبي الغليظ الخلقة في حمـق، الـذي لا عقـل لـه ولا أدب ولا شـجاعة (مثلى)، أي أمثـالي (في الحضيـض) أي الأسـفل (مرتكسا) مأخوذ من زكس ركسا، الشـيء قلـب أولـه عـن آخـره، البعـير شـده بالركاس، إرتكس إنتكس، وقع في أمر كان نجا منه . اهـ منه (مرتكسا) منصـوب على الحال أي ووقع الأحمق في الحضيض أي الأسفل حال كونه مرتكسـا (بذنبـه) أي بسبـب ذنبه (الفحش) أي الفاحش (العريض) أي الكثير على حد قوله تعالى

1- سورة النور رقم 37.

﴿**وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض**﴾ (1) أي كثير كما في الجلالين. اهـ والمعنى وا لله أعلم أن الرجل الحازم الذي أدلج السير وكابد المشاق وقطع العقبات وصل إلى حضرة الوصال، والكسل الأحمق بقي في المنهل نائما فإذا استيقظ تحسر وندم على ما فاته به الرفقاء من السير باليل ومتى لحق بهم وتقدم قول القائل:

أأبيت سهران الدجا وتبيته ... نوما وتبغى بعد ذاك لحاق

وكما قال البوصيري:

وتماديت أقتفي أثر القوم ... فطالت مسافة واقتفاء

وإلى هذا يشير الناظم بقوله:

أبْطَلَنِي البطْنَةُ والبَطَالَةْ ... وقِلّةُ الهِمَّةِ والبَسَالَةْ

والْمَيْلُ للرَّاحَةِ والشَهْوَةُ فِي ... دَار الفَنَا التِي بعَهْدٍ لاَ تَفِي

(أبطلني) أخرني عن الذين أدلجوا (البطنة) أي ملء بطني، كما قال البوصيري:

ألف البطنة المبطئة السير ... بدار بها البطان بطاء

(و) أي أخرني عنهم (البطالة) أي اللهو واللعب والتكاسل والتواني فحرمت الوصل كما قيل: تناكح التواني والكسلان فولدا الحرمان، (و) أي وأخرني أيضا عن الوصول لما وصلوه، (قلة الهمّة) العالية لأن العزائم تأتي على قدر العزم كما تقدم في قول القائل، على قدر أهل العزم تأتي العزائم البيتين (و) أخرني كذلك عن الوصول إلى حضرة الوصال عدم (البسالة) أي الشجاعة حيث لم أكن من الأبطال ولا من الشجعان المسابقين في هذا الميدان (و) أيوأخرني كذلك (الميل للراحة) بكثره النوم والتكاسل عن الطاعات (و) أي وحب (الشهوة) أي الميل إلى شهوة النفس الأمارة بالسوء فركبت هواها وأجمح بي فرسها وسكرت من تلك اللذات، فما إستيقظت كما قال البوصيري: إلا ولمي

1- سورة فصلت الآية: 51.

شمطاء، وهــذه الشهـوات من قوله البطنة إلى هنـا هـي السّبب في التأخير عمـا قدم الصالحون السالكون المنهج القويم، وذلك (في دار الفنا) أي دار الدنيـا الفانيـة (التي بعهد) لأحد (لاتفي) لما ورد، الدنيا غدارة مكارة، الدنيا أسحر مـن هـاروت وماروت، فمتى عهدت وتبسمت فما ذلك إلا لمكر تريده ممن تبسـمت في وجهـه وما تريد إلا قتله، وقد أشار إلى ذلك من قال:

تنـح عــن الدنيــا ولا تخطبنــــها ... فـلا تخطـبن قتالة من تناكـــح

ـ فــوائد ـ روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**ياعجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهـو يعمـل لـدار الغـرور**)، (الثانيـة) روي محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضـي الله عنـه قـال شـهدت مجلسـا مـن مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه رجـل أبيـض الوجـه حسـن الشعـر واللون عليه ثياب بيض فقال السلام عليـك يارسـول الله فقـال النبيء صلـى الله عليه وسلم (**وعليك السلام ورحمة الله**) فقال يارسول الله ما الدنيا قـال (**حلم المنام، وأهلها مجازون ومعاقبون**)، قال يارسول الله والآخرة قـال (**لابـد فريـق في الجنة وفريق في السعير**)، فقال يارسـول الله ومـا الجنـة قـال (**بـدل الدنيـا لتـارك نعيمها أبدا**)، قال فما جهنم قال (**بدل الدنيا لطالبهـا لا يفارقهـا أهلهـا أبـدا**)، قال فمن خير هذه الأمة قال (**الذي يعمل فيهـا بطاعـة الله تعـالى**)، قـال فكيـف يكون الرجل فيها قال (**مشمرا كطالب القافلة**)، قال فكم القرار بها قال (**كقدر المتخلف عن القافلة**)، قال فكم ما بين الدنيا والآخرة قال (**كغمضة عين**)، فذهب الرجـل ولم ير فقـال رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم (**هـذا جبريل أتــاكم ليزهدكم في الدنيا ويرغبكم في الآخرة**) اهـ، (الثالثة) قال الفقيـه رضـى الله عنـه من كان عاقلا فإنه يرضى بالقوت مـن الدنيـا ولا يشتغل بـالجمع ويشتغل بعمـل الآخرة لإن الآخرة هي دار القـرار ودار النعيـم، والـدنيا دار فنـاء وهـي غـدارة مفتتنة، قاله في تنبيه الغافلين رقم 87 اهـ.

ثم قال يحرض الطالب على أخذ الحكمة من غير نظر إلى من برزت منه، فإن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها فقال:

فَخُذْ مَقَالِي وَدَعَنْ فِعَالِي ... فَلاَ يَغُرَّنْكَ بِهَا أَمْثَالِي

يشير رحمه الله بهذا البيت إلى قول القائل:

خذ أقوالي ولا تنظر إلى فعالي ... وأقصد بذلك وجه الخالق الباري

أهل الرواية كالأشجار مثمرة ... إجْنِ الثمار وما عليك في القاري

ولذا قال (ودعن فعالي) لأي أتركها ولا تنظر إليها وإياك ثم إياك (فلا يغرنك بها) لأي بهذه الدار الفانية (أمثالي) الذين يأمرون بالبر وينسون أنفسهم وكما قال البوصيري:

أستغفر الله من قول بلا عمل ... لقد نسبت به نسلا لذي عقم

أمرتك الخير لكن ما إئتمرت به ... وما استقمت فما قولي لك إستقم

ثم أكد ذلك النهى بقوله:

لاَ تَجْعَلِ المَقَالَ عَنْ ذَا بِدَلِيلْ ... بَلْ فَاجْعَلِ الفِعْلَ دَلِيلاً فِي السَبِيلْ

قَدْ كُنْتُ كَالمِصْبَاحِ يَحْرِقُ الذُبَالْ ... وَيَسْتَضِيءُ الغَيْرُ مِنْهُ فِي اللَّيَالْ

(لا) ناهية (تجعل) أيها الطالب أي لا تستدل بـ (المقال) الخالي من العمل (عن ذا) ذا إسم اشارة تعود على الناظم (بدليل) تستدل به على سلوكي هذا المنهج السوي (بل) حرف إضراب (فاجعل الفعل دليلا) تستدل به على سلوك القائل (في السبيل) إي في طريق الذين أدلجوا فوصلوا حضرة الوصال، وهذا القائل دل الناس على طريق و لم يسلكه فما هو إلا مصباح يضيء للناس ويحرق نفسه كما قال (قد كنت) في نصائحي وفي أمري للناس بالمعروف واتباع نهج السادات الصوفية (كالمصباح) أي تشبيه بالمصباح الذي (يحرق الذبال) أي الفتيلة

(ويستضيئ الغير منه في الليال) وهذا كما قيل : مثل العالم الذي لا يعمل بعلمه كمثل الفتيلة تحرق نفسها وتضيئ للناس. اهـ ثم قال:

وَرُبَّمَا انْتَفَعَ غَيْرِي بِالمَقَالْ مِنِّي وَمَا انْتَفَعَ قَائِلٌ بِحَالْ

رب حرف تقليل وتأتي للتكثير على قلة كما قال الشاعر:

خليلي رب للتقليل كثيرة وتأتي لتكثير ولكنه يقل

أي (و) إن كنت لم أعمل فلا يمنعني ذلك من القول فلـ (ربما) حصل النفع لغيري بالمقال الذي صدر مني (وما انتفع قائل بحال) يعني بالقائل نفسه إي وإن كنت ماانتفعت بما قلت أديت واجبا أي النصح والتعليم، وإن تركت القول والعمل فقد تركت واجبين، وما أنا إلا كالطبيب الذي يفحص المريض ويعين له وصفة الدواء وينتفع به وأنا عاطل بذلك المرض عارف بالدواء الحاسم له و لم استعمله غفلة عنه أو تهاونا. لكن لا يمنعني من تعيين الدواء للمريض وكذا لا يمنعني من النصح والتعليم قول القائل:

يا أيها الرجل المعلم غيره هلاّ لانفسك كان ذا التعليم

تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا كي ما يصح به وأنت سقيم

إبدأ بنفسك فانهاها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع ما تقول ويشتفى بالقول منك وينفع التعليم

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

فربما ينتفع السامع وإن لم يعمل القائل وربما دعوة صالحة من المتعلم تصلح من علمه، ورحمة الله واسعة وفضله ليس له انحصار. اهـ ، ثم لمّا وبخ نفسه وأكثر العتاب خاف من القنوط ورجع إلى الرجاء وحسن الظن با لله إمتثالا لقوله تعالى ﴿ **لا تيئسوا من روح الله**﴾ (1) ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ (2) فقال:

1- سورة يوسف الآية : 87.

2- سورة الزمر الآية: 53.

لَكِنَّنِي أَرْجُـــو مِنْ الرَّحْمَـــــنِ   لِفَضْلِـــهِ مَفَــــازَةَ الرِّضْـــوَانِ

لكن حرف استدراك مع ارتكابي الذنوب العظام وقلة امتثالي لأوامر الرحيم الغفار (أرجو من الرحمن) المنعم بجلائل النعم (لفضله) أي لأجل تفضله وإنعامه وجوده وكرمه، ففي الحديث القدسي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**قال الله تعالى يا ابن آدام إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، باابن آدام لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدام إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتنى لا تشرك بي شينا لأتيتك بمثلها مغفرة**) اهـ الأربعين النووية فمن أجل هذا الفضل العظيم الذي تفضل به تبارك وتعالى على ابن آدام في هذا الحديث الشريف أرجو (مفازة الرضوان) أي الفوز بالرضوان وهو الخلود في جنات النعيم، وهذا الفوز الذي سأله رضي الله عنه مقتبس من قوله تعالى ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**﴾ (1) اهـ ولما أنهى الكلام على اشتقاق التصوف وأنه لايحصل إلا بالجد والإجتهاد شرع يتكلم على التوبة التي هي الأساس الذي يبنى عليه صرح التقوى، التي وصفها أمير المؤمنين سيدنا علي ابن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه بقوله: (التقوى هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والإستعداد ليوم الرحيل، وفي رواية زيادة، والرضا بالقليل، وكما أشار لها إبن عاشر بقوله:

وحاصل التقوى إجتناب وإمتثال البيتين. اهـ. فقال:

فصل في التوبة:

أي في حكم التوبة وشروطها، أما حكمها فالوجوب، وهي واجبة من كل ذنب

1- سورة آل عمران الآية : 185

كان كبيرة أو صغيرة بإجماع لما ورد:(**يأيها الناس توبوا إلى ا لله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة**) وفي رواية (**إني أستغفر ا لله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**) وورد (**أن ا لله يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**). إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة في التوبة. كما في الصاوي لدى قول ا لله تعالى ﴿ **يأيها الذين ءامنوا توبوا إلى ا لله توبة نصوحا**﴾ (1) الآية أما شروطها فيما لا يتعلق به الآدمي، فثلاثة: أن يقلع عن المعصية في الحال، وأن يندم على مافعله، وأن يعزم على أنه لايعود، وإن كانت متعلقة بحق آدمي فيزاد على هذه الثلاثة رد المظالم إلى أهلها إن أمكن. اهـ

كما سيشير الناظم إلى هذه الشروط، وبدأ بحكم الطهارة الباطنة فقال:

لاَيَدْخُلُ الحَضْرَةَ إلاَّ طَاهِرْ مِنَ الكَبَائِرِ مَعَ الصَّغَائِرْ

أي (لايدخل الحضرة) الإلهية (إلاّ طاهرْ) ظاهرًا وباطناً، أما طهارة الظاهر فواضحة، وأما طهارة الباطن فهي التي أشار إليها بقوله (من الكبائر مع الصغائر) أي من الذنوب الكبائر والصغائر ثم أشار إلى ما تحصل بع أي الطهارة الباطنة فقال:

وَلاَيَكُونُ الطُّهْرُ مِنْهَا قَدْ يَصِحْ إلاَ بِتَوْبَةِ نَصُوحِ قَدْ تَصِحْ

أي ولا تصح الطهارة منها أي من الذنوب الكبائر والصغائر إلا بتوبة نصوح والتوبة النصوح هي التي أمر ا لله بها عباده المومنين بقوله عز وجل ﴿ **يأيها الذين ءامنوا توبوا إلى ا لله توبة نصوحا**﴾ الآية. وقوله (قد تصح) أي هي أي التوبة النصوح التي تقبل لأن القبول شرط في ذلك ، والتوبة النصوح هي النّدم على ما فات والنية أن لا يعود إلى ذنب فيما بقي من عمره كما قال سيدي عبد الرحمان الأخضري، ابن عاشر، وتوبة من كل ذنب يجترم البيتين، الشيخ ميارة، أي وتجب

1- سورة التحريم الآية 8 .

وجوب الفرائض على الأعيان من كل ذنب أي كبيرا كان أو صغيرا كان حقًا لله أو لآدمي أولهما، كان الذنب عنده معلوما أومجهولا، فتجب التوبة من الذنوب المجهولة إجمالاً ومن المعلومة تفصيلا، إبن حمدون قول ميارة (كبيرا كان أو صغيرا) هذا الذي إقتصر عليه في تاج العروس وإن الصغائر كالكبائر تجب التوبة منها، وقيل أن الصغائر لا تفتقر إلى توبة ويؤخذ القولان من قوله في الرسالة، والتوبة فريضة من كل ذنب، ومن قوله و غفر الصّغائر باجتناب الكبائر، وقيل إذا كانت الصغائر مرتبطة بالكبائر كالقبلة والمباشرة وغيرهما من مقدمة الزنا غفرت باجتنابها، فهذه ثلاثة أقوال في الصغائر نقلها في ك وحكّى امام الحرمين الإجماع على الأول، وقال الباقلاني فيه أنه المشهور ويدل لذلك قوله تعالى ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفّر عنكم سيئاتكم**﴾ (1) أي الصغائر وهي اللمم في الآية الأخرى ﴿**الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم**﴾(2) أي فإنها مغفورة باجتناب الكبائر وتكفير الصغائر باجتناب الكبائر قطعي عند المحدثين والفقهاء وظني عند الأصوليين حذرًا من مساواتها للمباح في نفي الإثم وقد فرضت محرمات، وأجيب بحصول الفرق بأن المباح لا يواخذ به مطلقا والصغائر يواخذ بها إن لم تجتنب الكبائر كما اقتضاه مفهوم الشرط في الآية، وأما عند اجتنابها فقد يثاب على مجاهدة النفس فيها بتكفير الصغائر فهو أيضا واقع في ورطة غفرت جزاء للمجاهدة، وعدم المؤاخذة بالمباح ليس جزاء على شيء فافترقا.

"تنبيه". تصير الصغير ة كبيرة بالإصرار عليها، ولذا يقال، لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار وكذا تصير كبيرة باستصغارها، وبالفرح بها، وبالتحدث بها إقتخارا، وبالمجاهرة بها بلا حياء وبصدورها من مقتدى به. اهـ

ونظم هذه المسائل بعضهم فقال:

1-سورة النّساء الآية 31.

2 -سورة النّجم الآية 32

صغـيرة تصير بـالإصرار | وبالتهاون والإحتقـار
وبالتحدث بهـا والجهـر | وفـرح وقوعها من حـبر

و لله در القائل:

خـل الـذنـوب صغورها | وكبـورهـا ذاك التقـى
واحذر كماشي فـوق أرض | يحـذر مـا يـرى
لا تحقرن من الذنوب صغـيرة | إن الجبال مـن الحصـى اهـ

- تنبيـه - الكبائر عشرون: أربعة منها في القلـب، الريـاء، والحسـد، والعجب، والكبر، وفي الفم منها ثمانية: الغيبة، والنميمة، وأكل الربـا، وأكـل مـال اليتيم، وشرب الخمر، وقذف المحصنـات، وشهادة الزور، واليمين الغموس، وفي البدن إثنتان: القتل، والسرقة، وفي الفرج إثنتان: الزنـا واللـواط، و في جميع البـدن منها أربعة: ترك الصلاة وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وفساد أموال المسلمين.

ونظمها بعضهم فقال:

يـاسائلا عـن جملة الكبائر | تجمعهـا عشرون في النظائر
أربعة في القلب منهـا سميـا | حسد وعجـب ثم كبر وريا
والفم فيه جـمع منها فاعلما | كذب وغيبـة غمـوس حرما
نميمـة وشـرب خمـر والزور | مال اليتيم ثم قـذف للحرور
وفـي اليدين اثنان منها فاعلما | سرقـة وقتـل نفـس عظمـا
وفي الفـروج إثنان منها فاعلما | تلويط دبـر ثـم وطء حرمـا
آخرهـا أربعـة فـي البـدن | ترك الصّـلا فساد مال المومن
ثم الفرار من عدو والعقـوق | للوالدين فلتكـن بهم شفـوق

إنتهى كما في فتوحات الاله المالك. اهـ ثم أشار إلى شروط التوبة النصوح فقال:

بِشَرْطِ الاقْلاَعِ عَنِ الذُّنوبِ وَنَفِي الإصْرَارِ عَنِ العُيُوبِ
مَجْمُوعُهَا نَدَامَةٌ عَلَى الجَفَا فِيمَا خَلاَ وذَاكَ مَبْدَأُ الصَّفَا

أخبر رضي الله عنه بأن شروط التوبة ثلاثة، الأول الإقلاع عن الذنب في الحال بنية، لأنها روح العمل، ولكن يشترط هذا الشرط في معصية إتصلت بالتوبة، فلو تاب من المعصية بعد الفراغ منها كشرب الخمر أمس سقط هذا الشرط، الشرط الثاني: هو الذي عناه بـ(نفي الإصرار على العيوب) أي الذنوب وذلك أن ينوي ألا يعود إلى ذلك الذنب أبدًا وهذا الشرط لابد منه لا في حق من تاب بعد الفراغ من المعصية ولا إشكال ولا في حق من تاب حال التلبس بها، فليزمه مع الإقلاع أن ينوي ألا يعود أبدا، لأن الإصرار هو إمّا الإقامة على الذنب، و إمّا نيّة العودة إليه وإن لم يكن مقيما عليه إذ ذاك، وإذا انتفى الوجهان تبث مقابلهما وهو الإقلاع ونية أن لا يعود وهذا الثاني هو المراد هنا لأن الأول تقدم وهو الشرط الأول وعلى هدا فنفي الإصرار أعمّ من الإقلاع فلو اكتفى به بنفي الإصرار عن الإقلاع لكفى.

ـ تنبيه ـ الإقلاع مصدر أقلع عن الأمر إذا كف عنه اهـ (مجموعها ندامة على الجفا فيما خلا) إكتفى المؤلف بهذا عن الشرط الثالث: وهو أي الشرط الثالث ما يمكن تلافيه من الحقوق التي ترتبت عليه قبل التوبة كرد المظالم وتمكين نفسه من المجنى عليه أو من أوليائه كانت الجناية نفسا أو جرحا أو قذفا أو مالاً أو غير ذلك، قاله ميارة، إبن حمدون الحقوق التي يجب تكرارها قسمان: حقوق الله، وحقوق الآدمي، ومن حق الله ما لايمكن فيه التلافي وهو المجرد عن تفويت عمل فيجزى فيه الإستغفار كدخول مسجد بجنابة ومس مصحف بها، أو بحدث آخر،

وكذبة لم يتضرر بها أحد ومنه ما تعلق بالذمة فلا بد من تداركه كفوات الصلاة والزكاة والكفارت ، ويجزى التحري في قدر ذلك وحقوق العباد خمسة أنواع مالية كالغضب والسرقة، وعرضية كالغيبة، ودينية كتكفيره وتفسيقه، وبدنية كالقتل والجرح، وحريمية كالخيانة في الأهل والولد.

فالمالية يجزىء ردها إجماعا فإن عجزت لعدم أو فقر فتحلل مستحقها منها، ابن العربي فإن مات صاحب الحق إنتقل لوارثه فإن أدي برىء وبقي حق المطل أي فليستحله منه، واختلف إذا لم يؤد في الدنيا حتى اجتمع في الآخرة مع الواث والأصل أن يكون الحق للوارث أم للموروث وفيمن لم يجد ما يؤدي به بعد التوبة حتى مات هل يسقط عنه أو يطالب في الآخرة. اهـ والخلاف إذا لم يحلل الوارث في الدنيا كما مر، والعرضية فيها خلاف مشهور وجوب الإستحلال وبعلم المغتاب بما اغتابه به ليحلله منه فإن لم يعينه له وأبرأه منه إجمالا ففي كفاية ذلك قولان والأصح كفايته. ويمكن المقذوف أو وارثه من استيفاء حد القذف منه وفي الحلية عن ميمون بن مهران كاتب عمر بن عبد العزيز من استغفر لمظلومه دبر كل صلاة خمسا وفى حقه، قال في النصيحة وأظنه في العرض.

والدينية: كأن يكفره أو يفسقه أو يبدعه، قال إبن رشد يكذب نفسه عند من قال ذلك فيه ويستحله، قال زروق إن أمن شرًا أعظم وإلا فا لله أولى بالعذر، والبدنية اختلف في قتل النفس منها هل يجب تمكين نفسه من القود وعليه الغزالي في الإحياء أولا يجب وهو ظاهر الأحاديث ومال إليه إبن رشد قال: و ينبغي أن يعتق ويحمل نفسه على الجهاد ونحوه ليكون كفارة له، ويجب التمكين من القصاص في الضرب والجرح غير المخوفين.

والحرمية: قال في النصيحة يتعين فيها عدم الاستحلال، ونحوه في الإحياء لأن الاستحلال منها زيادة في الإذاية والذمي كالمسلم في ماله وعرضه ونفسه.

- تنبيه - يطلب من المظلوم أن يجعل ظالمه في حل فيما لا يقدر على رده من المال والعرض لقوله تعالى ﴿**وأن تعفوا أقرب للتقوى**﴾ (1) ﴿**خذ العفو**﴾ (2)، ما لم يفهم التحرؤ بذلك لقوله ﴿**والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**﴾ (3) ذكره في سياق المدح وبهذا يجمع بين الآيات، وعلى هذا التفصيل إقتصر شرح الحصن، وقال سليمان بن يسار العفو أفضل، وقال سعيد بن المسيب ترك العفو أفضل وفرق مالك فقال العفو عن المال أفضل وتركه عن الأعراض أفضل، فهذه ثلاثة أقوال.

والحاصل كما في شرح الحصن أن أحوال المظلوم، إما إنتصار، وإما إستسلام وصبر، وإما عفو وصفح وإما دعاء للظالم وإحسان إليه، وهذا أعلاها كما أن الأول فيه تفصيل فقد يكون مخطئًا فيتأكد تركه، ففي الخبر إذا دعا العبد على ظالمه قال الله عبدي أنت تدعو على من ظلمك ومن ظلمته يدعو عليك فإن أردت أن أستجيب لك أستجيب عليك، قال الشيخ زروق في شرح الوغليسية ليس الشأن أن تدعوا على الظالم فيهلك إنما الشأن أن تدعو بصلاحه فيرجع عما هو عليه فيرد عليك ما أخذ منك أو يتحلل منك فيعود أمره إليك، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس اهـ منه رقم (119).

وأما قول المؤلف (مجموعها ندامة إلخ) أي مجموع أصول التوبة وفروعها الندامة (على الجفا) أي الذنب (فيما خلا) أي مضى (وذاك) أي الندم على ما فات (مبدأ الصفا) أي صفاء القلب من الكادورات وتطهيره من الأدناس التي كان متلطخا بها وشفاؤه من الأمراض التي أقعدته عن السير مع السائرين إلى الله تبارك وتعالى، إذ الجفا هو البعد عن الله تعالى بسبب الذنوب، والندامة على ذلك سبب في المصالحة والقرب والرجوع إلى المحبوب ولهذا جعلها الناظم مبدأ الصفاء، فلله دره ، ما أوسع باعه. ثم أشار إلى أن وجوبها على الفور فقال:

1- سورة البقرة الآية : 237.
2- سورة الأعراف الآية : 199.
3- سورة الشورى الآية : 40.

لَكِنَّهَا تَجِبُ بالفَوْرِيَةْ فَرُبَّمَا تَبْغَتُهُ المَنِيَّةْ

لكن حرف إستدارك أتى به ليعلم أن التوبة (تجب) على الفور لا على التراخي وإستدل على وجوبها على الفور بقوله (فربما) رب هنا للتكثير وماكافة لها عن العمل (تبغته) أي المذنب (المنية) أي الموت لأن الإنسان معرض لسهام الموت في كل نفس- إبن عاشر- وتوبة من كل ذنب يجترم تجب فورًا إلخ كما تقدم (موعظة) ذكر في الإحياء ما حاصله، أن المعاصي للإيمان كالمأكولات المضرة بالأبدان، فمن تناولها بغير علم وأدركه الأسف على بدنه أترى يخرجه من بدنه بالقيىء وغيره على الفور لبدنه أو يتراخى في ذلك فإذا كان خوفه على بدنه يوجب إخراج ما فيه من المهلك فالرجوع على الفور من الذنوب المفوتة لسعادة الأبد أولى. اهـ

– **تنبيهان** – : الأول: إذا لم تطاوع النفس الأمارة على المبادرة على التوبة فإن كان ذلك لاستلذاذها المعصية وكسلها عن الخروج منها فعلاجه أن تتذكر هازم اللذات وفجأة الفوات اي الموت يأتي فيهزم اللذات إي يقطعها، ويعرض فجأة فتفوت التوبة وغيرها من الطاعات فإن تذكر ذلك باعث شديد على الإقلاع عما تستلذ به وتكسل عن الخروج منه، قال صلى الله عليه وسلم: (**أكثروا من ذكر هازم اللذات**) رواه الترمذي زاد ابن ماجه فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه ولا سعة إلا ضيقها، أي فتذكره ينفي الحزن على الفائت من الدنيا والفرح بالحاصل منها كما قال تعالى ﴿**لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما ءاتاكم**﴾ (1) وفي رواية فإنه ما ذكر في قليل إلا كثره و لا تكثير إلا قلله، ومعناه أنه إن ذكر في قليل من العمل كثّره وإن ذكر في كثير من العمل قلله، وإن كان عدم مبادرتها إلى التوبة لاستعظام الذنب وإستحضار عظمة الرب واليأس والقنوط من الرحمة مع ذلك فعلاجه أن تتنبه وتخاف مقت ربك حيث ضممت إلى الذنب

1- سورة الحديد الآية : 23.

اليأس والقنوط ﴿**ولا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾ (1) ﴿**ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالّون**﴾ (2) فيحملك ذلك على إستحضار سعة رحمة الله والتدبر في نحو قوله تعالى ﴿ **قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ (3) وحديث (**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفرلهم**) ، وحديث (**لله أفرح بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض فلاة عليها طعامه وشرابه ثم وجدها**) "رواهما مسلم" وإن كان عدم مبادرتها للتوبة إستشعارها النقص وعدم الثبات، فعلاجه أن تعلم أن ذلك غلط إذ لعل الكذب يؤدي إلى الصدق وعسى أن ينقذه الله من العود ففي الحكم إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبب يؤيسك من حصول الإستقامة مع ربك فقد يكون ذلك أخر ذنب قدر عليك، وعلى تقديرأن تعود فقد غفرت ذنوبك السابقة وليس عليك إلا ما أحدثته الآن فاحدث له توبة، وإن كان لما رأيته من إفاضة النعم وتزايدها فتظن أن ذلك لرضى مولاك عنك، فعلاجه أن تعلم أن ذلك غلط بل ذلك مكر خفي واستدراج قال في الحكم، خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه أن يكون ذلك إستدراج لك ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** ﴾ (4)، وإن كان لطول الأمل وقولك سوف أتوب وفي الأيام سعة والشباب باق، فعلاجه أن تعلم أن الموت مترقب في كل لحظة، قال أبو ذر الدنيا ثلاث ساعات ساعت مضت وساعة أنت فيها وساعة لا تدري أتدركها أم لا. وفي معناه قيل:

ما مضى فات والمؤمل غيب   ولك الساعة التي أنت فيها

1- سورة يوسف الآية : 87.
2- سورة الحجر الآية : 56.
3 - سورة الزُّمر الآية : 53.
4 - سورة القلم الآية : 44.

ولأبي العتاهية:

لا تأمن الموت في لحظ ولا نفس ولو تنومت بالحجاب والحرس

وأعلم بأن سهام الموت صائبة لكل مدرع منها ومحترس

ما بال دينك ترضى أن تدنسه وثوب دنياك مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك محجتها إن السفينة لا تجري علي اليبس اهـ

(الثاني) ظاهر كلامهم أن الكبائر لا تغفر بغير التوبة ومقتضى ماورد في بعض الأعمال كالحج تكفيرها به. واختار ذلك في الحج ابن حجر والآبي، وزروق وقال إبن حجر أتى إسقاط الحج المبرور التبعات أيضا، قال سيدي زروق في حديث صحيح إن الله تعالى غفر لأهل عرفات وضمن عنهم التبعات، اهـ كما في إبن حمدون، اهـ ثم قال:

كَمْ فَرِحٍ فِي الصُّبْحِ مَاتَ بِالْمَسَا فَحَصَلَ الهَوْلُ العَظِيمُ و الأَسَى

(كم) تكثيرية أي كثيرا ممن كان في الصبح في فرح وسرور فبغتته الموت (بالمسا) وانقلب الفرح حزنا والسرور كدرًا ولهذا قال (فحصل الهول) أي الكرب (العظيم والأسى) إلى الحزن فهذا البيت كالدليل لقوله في البيت الذي قبله (فربما تبغته المنية) اهـ ثم أرشد التائب إلى كثرة الإستغفار لما أنه يمحق الذنوب ويدر الرزق قال الله تعالى حكاية عن قول سيدنا نوح لقومه ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾ (1) الآية الصاوي (إستغفروا ربكم أي أطلبوا منه محو ذنوبكم بأن تؤمنوا به وتتقوه فليس المراد بالإستغفار مجرد قول أستغفر الله، فمن لازم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، عن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال إستغفر الله، وشكا إليه آخر الفقر فقال إستغفر الله، وشكا إليه أخر قلة النسل فقل إستغفر الله وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم

1- سورة نوح الآية : 10.

بالإستغفار، فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشتكون إليـك أبوابا ويسـألونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالإستغفار فتلا الآية اهـ منه الجزء الرابع رقم 212 ﴿**إنه كان غفارا يرسل السماء**﴾ (1) المطر وكانوا قد منعوه أي لما كذبوا نوحـا حبس ا لله عليهم المطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواشيهم فقال لهم نوح إستغفروا ربكم ولذا أشار المصنف بقوله:

وَإِنْ تُبْ فَكَثِّرِ اسْتِغْفَارًا مُبْتَهِلاً وَخَائِفًا غَفَّارًا

أي كثر أيها التائب (إستغفارا) حال كونك مبتهلا إلى ا لله تبارك وتعالى في قبول توبتك، إذ الإبتهال هو الدعاء وهو تعالى وعد الداعي بالإجابة بقوله ﴿**أدعوني أستجب لكم**﴾ (2) وفي الحكم العطائية ما فتح لك باب الدعاء إلا وهو يريد إجابتك، (و) أي ومع كثرة الإستغفار والإبتهال كن (خائفا) لأن الخوف يحجب عن المعاصي ويمنع النفس من العجب والكبر والفرح بما صدرمنها من أعمال الطاعات، قال صاحب الحكم، لا تفرحك طاعة من حيث أنها برزت منك وافرح بها من حيث أنها برزت من ا لله إليك، اهـ ولأن الخوف من ا لله تعالى واجب لأمره تعالى به ﴿**وخافون إن كنتم مومنين**﴾ (3) ولأن الخائف لا يأمن من المكر، وقد قال تعالى ﴿ **فلا يأمن مكر ا لله إلا القوم الخاسرون** ﴾ (4) والآمن من الخوف يخاف عليه الإستدراج ﴿ **سنستدرجهم من حيث لايعلمون**﴾ (5) وفي الحكم العطائية خف من دوام إحسانه إليك مع دوام إساءتك إليه أن يكون ذلك إستدراج لك اهـ.

وقوله (غفّارًا) أي واسع المغفرة كثير الصفح والعفو جزيل الإحسان وسعت رحمته كل شيء ففي الحديث (إن رحمتي سبقت غضبي) وفي رواية غلبت غضبي.

1- سورة نوح الآيتان :(10،11). 2- سورة غافر الآية : 60. 3- سورة آل عمران الآية : 175.
4- سورة الأعراف الآية : 99. 5- سورة القلم الآية: 44.

ثم قال:

وَسَائِلاً قَبُولَ تَوْبَةٍ عَسَى يَغْفِرُ ذَنْبَ مَنْ تَجَرَّا وَأَسَا

الواو حرف عطف سائلا معطوف على مبتهلا، عطف تفسير إذ الإبتهال هو السؤال بإلحاح والمعنى إبتهل إلى ربك واسأل منه (قبول) توبتك (عسى) حرف ترجي، والرجاء كما قال صاحب الحكم تعلق القلب بمطموع يقع في المستقبل مع الأخذ في سببه، والتائب قد أخذ في السبب فالرجاء في حقه محمود (يغفر) فعل مضارع والفاعل يعود على الله تبارك وتعالى (ذنب) أي ذنوب (من) أي الذي (تجرأ) على الله تعالى وتعدى حدوده (وأسا) أي ظلم وهذا مقتبس من قوله تعالى **﴿يا أيها الذين ءامنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾** (1) الآية.

وَكُلَّمَا أَذْنَبْتَ أَحْدِثْ تَوْبَهْ فَالتَّوْبُ يَطْهُرُ بِمَاءِ الْقِرْبَهْ

أي (وكلما)،أي متى ما ما زائدة أي مهما وقع ذنب فأحدث له توبة (فالتوب) أي التوبة (يطهر) أي يطهر العبد من الذنوب (بماء القربة) بضم القاف وكسرها كما ضبطه الناظم، والمعنى على الوجهين واحد وهو القرب من الله تعالى بالتوبة النصوح، إلا أن الضم أفصح من الكسر والله أعلم وأقتبس قوله (أحدث توبه فالتوب يطهر) من قوله تعالى **﴿وأن الله هو التواب الرحيم﴾** (2)، **﴿غافر الذنب وقابل التوب﴾** (3) وإذا تطهر بماء التوبة النصوح صار قريبا من الله بأداء ما أوجب عليه بدليل ما في الحديث القدسي **(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)** الحديث والتوبة فرض بنص القرآن **﴿ يأيها الذين ءامنوا توبوا إلى الله﴾** (4) الآية، اهـ ثم قال مرشدا إلى ما في الإكثار من التوبة من الخير.

---

1 - سورة التحريم الآية : 8. 2- سورة التوبة الآية : 104. 3- سورة غافر الآية : 3.

4 - سورة التحريم الآية: 8.

وَإِنْ أَرَدتَّ كَـوْنَـكَ التَّـوَّابَا   فَكَثِّـرِ التَّـوْبَةَ وَالعِتَـابَـا
يُحِبُّـكَ اللَّهُ بِفَضْـلٍ وَيَكُـن   لَكَ وَلِيًّا مِثْلَ وَقْتٍ لَمْ تَكُـنْ

لما أخبر رضي الله عنه بأن التائب يطهر بماء القربة إلى الله تعالى، والتطهر يحبه الله، وكذا التائب وعدا منه تعالى ﴿ **إنّ الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ (1) قال وإن أردت كونك أيها التائب (كونك التوابا) أي أن تكون من التوابين المعنيّين بقوله تعالى (إن الله يحب التوابين) أي وهم الذين كلما أذنبوا تابوا ومعنى يحب يثيب ويكرم. كما في الصاوي (فكثر التوبة) أي بأن تكون دائما متطهرا بماء التوبة بشروطها المتقدمة (و) أي وأن تكون دائما متهما لنفسك بأن تكثر (العتابا) لها واللوم على تقصيرها في حقوق الله تعالى وإن رأيت منها استقامة فلا تأمن كما قال سيدي محمد بن سعيد البوصيري رضى الله عنه، "وإن هي استحلت المرعى فلا تسم" الأبيات، لأنها أمارة بالسوء كما قص الله عنها في سورة يوسف ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربي**﴾ (2) وإنها إن تركت وما أردت فسدت وجمحت وألفت الراحة واللهو واللعب والمعاصي، وإذا ألفت هذه الشرور جمحت وصارت لا تقبل النصح ولا تتأثر بالوعظ، كما قال البوصيري أيضا، " فإن امارتي بالسوء ماتطعت من جهلها "، الأبيات الأربعة وإذا أكثرت التوبة والعتاب لنفسك (يحبك الله) أي بأن دمت على الطهارة من الذنوب وقهر النفس بالرياضة على اداء الفرائض وكثرة النوافل فإن الله تبارك وتعالى يحبك لما في الحديث القدسي الذي تقدمت الإشارة إليه وهو الحديث الثامن والثلاثون من الأربعين النووية وهو: " **وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**" الحديث وكما أشار إلى ذلك الشيخ إبن عاشر بقوله: " يجاهد النفس لربّ العالمين " الأبيات الخمسة.

---

1 - سورة البقرة: 222.   2- سورة يوسف الآية : 53.

وإذا منّ عليك تبارك وتعالى وطهرك من الذنوب وأحبك فذلك (بفضل) أي بجود منه لا لاستحقاق بتوبتك ولا لوجوب عليه بل بمحض فضله (و) أي وإذا صيرك محبوبا بفضله فإنه (يكن لك وليا) أي عونا ونصيرا ويدخلك تحت قوله تعالى ﴿ **الا إن أولياء الله لا خوف عليهم و لاهم يحزنون**﴾ (1) سورة يونس.

(مثل وقت لم تكن) أي كما كان لك وليا قبل أن تكون شيئا مذكورا بعد أن تفضل عليك بالإيجاد وأخرجك من العدم إلى الوجود فكونك تبارك وتعالى من ماء دافق كما قال جلّ من قائل:﴿ **فلينظر الإنسانممّ خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب**﴾ (2) سورة الطارق رقم (5،6).

فالشيخ رحمه الله يشير و الله أعلم إلى قول سادتي الصوفية من ذلك قول الحلاج كن لي كما كنت حين لم أكن، قال ابن حمدون ويرحم الله الوالد إذ يقول:

كن لي كما كنت لي إذ لم أكن شيا   يامن به ليس إلا قامت الأشيا

يارب ياحي ياقيوم يا أحد   بذكره طابت الممات والمحيا

غيب بفضلك كل الخلق عن نظري   حتى أراك ولا أراهم شيا

واجعل حجابك روح الخلق سرهم   حياة روحي وسرا لي به أحيا

بسر أحمد ثم سر فاطمة   وسر ريحنتيه الناشر الطيا

رضيت با لله ربا ليس لي معه   أمر وما أنا إلا ميت الأحيا

يارب هيىء لنا من أمرنا رشدا   وكن لنا حيث كنّا وأكسنا هديا

وغيب الكون عن فكري وعن نظري   حتى أراك وكل انطوى طيا

ومن حسن تدبيره السابق ما أشار إليه إبن جابر الغساني:

1- سورة يونس الآية : 62.

2- سورة الطارق الآيتان 5،6

قـل للحـريـص تفكـر إذ كنـت فـي بطـن أمـك

أكنـت أعـددت رزقـا أصبحت أضعـاف قومـك

وعنـد خلقـك لمـا أبـوك يسعـى في طعمك

هـل قمـت تنشـيء ثديا أخـا احتيـال بـزعمـك

حتـى فطمت فـأضحى يقيـم نشـأة جسمـك

والأم تجهـد معـه يـدر رزقـا بـرسمـك

فحـين صـرت قويـا فيـك إلـى وقـت حلمك

خفـت الضيـاع فأضحت ديـاك أكـبر همـك

هـذا لعمـري سفـاه قضـى بـه سـوء فهمـك

وقال بعضهم معبرا:

تذكر جميلي فيك إذ كنت نطفة ولا تنس تصويري لشخصك في الحشـا

فسلـم لـي التـدبير واعلـم بأنني أصـرف أحكـامي وأفعل ما أشـا

وكـن واثقـا بي في أمورك كلـها سـأكفيك منهـا مـا يخـاف ويختشـا

اهـ منه رقم 177

فصل في قبول التوبة

الفصل تقدم معناه، وقوله (في قبول التوبة) أي هل قبولها مقطوع بـه، أو في مشيئة الله تعالى فقال مشيرا إلى أن قبولها وعد من الله تعالى ووعده لا يخلف.

قَبُـولُ تَوْبَـةٍ مِّـنَ التَّـوَّابِ وَعْدٌ صَدُوقٌ قَبْلَ غَلْقِ الْبَابِ

أي قبول التوبة (وعد) من الله (صدوق) أي صادق (من التواب) أي كثير التوب كما قال تعالى ﴿**إن الله هو التـوّاب الرّحيـم**﴾ (1) وهـذا الوعـد بـالقبول يكون (قبل غلق الباب) أي باب التوبة وذلك عند طلوع الشمس من مغربها فإذا

1- سورة التوبة الآية : 119.

أغلق فلا عمل يقبل لقوله تعالى ﴿**يوم ياتي بعض ءايات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن ءامنت من قبل أوكسبت في إيمانها خيرا**﴾ (1) سورة الأنعام رقم 158. والناظم يشير إلى الحديث الوارد في صحيح البخاري وهو قوله صلى الله عليه وسلم (**إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيىء النهارويبسط يده بالنهار ليتوب مسيىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**)، ثم قال:

وَقَبْلَ أن يُغَرْغِرَ العَبْدُ فَلاَ تيْأسْ وَلَوْكُنتَ إبْن يُوسُفَ البَلاَ

(و) أي والتوبة معروضة مالم (يغرغر العبد) أي لم تبلغ الروح الحلقوم ومادمت أيها المؤمن قبل هذا فلا تيأس من قبولها ولو بلغت ذنوبك ما بلغت، لقول النبي صلى الله عليه وسلم (**من تاب قبل الغرغرة تاب الله عليه**) كما في تنبيه الغافلين، وعليه فلا تيأس من غفران ذنوبك بعد أن تتوب قبل الغرغرة وقد قال الله تعالى ﴿ **إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون**﴾.(2)

﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** ﴾ (3)

﴿ **من يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما** ﴾ (4)

﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ (5) ولذا قال (و) ولاتستعظم ذنبك في جنب رحمة الله، وتذكر العلاج السالف الذكر في التنبيهين المذكورين وراجع الآيات والحاديث التي سبقت ثم و قول صاحب الحكم إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبب يؤيسك إلخ يظهرلك معنى قول المؤلف (ولو كنت) الحجاج (ابن يوسف) السفاك للدماء المرتكب للعظائم من الذنوب فلا تيأس من تكفيرها بالتوبة مادامت دون الشرك وقبل الغرغرة، وقوله (البلا) نعت للحجاج وتتميم للبيت.

1- سورة الأنعام الآية:158.

2- سورة يوسف الآية : 87.

3- سورة الشورى الآية: 25.

4 - سورة النساء الآية : 110.

5 - سورة النساء الآية : 116.

وعليه فنقول فيه ما قاله صاحب أسهل المسالك، لا بالعذاب للمسيء يقطع

لا بالعـذاب للمسيـــئ يقطـــع والكفـــر والتخليـــد عنه يمنـــع

والكفر والتخليد عنه يمنع ونستغفر ا لله مما قلنا فيه، ونعتقد أنه من الموحدين لما ورد عن بعض المعاصرين له أنه قال لما مات الحجاج وجد تحت وسادته رقعة مكتوب فيها (اللهم أغفرلي فإن القوم يظنون أن لا تفعل) ومن هنا حكموا له بالتوحيد ثم أكد الناظم ما أشار إليه من ترك اليأس والقنوط من رحمة ا لله فقال:

مَاذَنْبُ كُلِّ الجِنِّ وَالإِنسَانِ فِـي عَفْــوِ ذِي الإِفْضَالِ والإِحْسَانِ

إِلاَّ كَنُقْطَــةٍ مِــنَ الــدَّمِ العَبِيطْ فِي بَحْرٍ صَافٍ يُشْبِهُ البَحْرَ المُحِيطْ

(ما) نافية حجازية تعمل عمل ليس (ذنب) أي ذنوب (كل) أي جميع (الجن والإنسان) أي الإنس (في) جنب (عفو ذي الإفضال)أي صاحب الافضال والجود والعفو (والإحسان) إلى المخلوقات الطائع منهم ومن هو منهمك في العصيان، حتى الكافر إن سبقت له العناية عمه بذلك العفو وهداه للإيمان، وإذا تاب تبارك وتعالى على العاصي، أنسى الحفظة ماكانوا كتبوا عليه من مساوي عمله وأنسى جوارحه ماعملت من الخطايا، وأنسى مقامه من الأرض وأنسى مقامة من السماء ليجيء يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه بذلك وروي عن على بن أبي طالب كرم ا لله وجهه عن النبى صلى ا لله عليه وسلم أنه قال ((**مكتوب حول العرش قبل أن يخلق الخلق بأربعة آلاف عام (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم أهتدى)** (1) هكذا في تنبيه الغافلين من رواية ابن عباس.

(الا) إبطال للنفي (كنقطة) أي ذنوب الإنس والجان ما هي في جنب سعة رحمة ا لله الاكنقطة (من الدم العبيط) سقطت (في بحر صاف) من جميع التغير وذلك البحر (يشبه) أي يماثل (البحر المحيط) في العظمة وكثرة المياه، فهل تلك

1- سورة طه الآية : 82.

النقطة تغيره، لا وا الله فكذلك الذنوب وإن كثرت فهي في جنب عفو ا الله الحنان المنان كلا شيء، ويرحم ا الله الشافعي إذ يقول:

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سُلَّما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فمازلت ذا جودٍ وفضل ورحمة تجود وتعفو منة وتكرما اهـ

ـ **تنبيه** ـ هذا البيت الذي مطلعه إلا كنقطة من الدم العبيط إلخ زاده كاتبه الذي هو الشارح لهذه المنظومة وفقه ا الله تتميما للمعنى، ثم قال:

مَـنْ يَيْـأَسَـنْ فَإِنَّـهُ لَـمْ يَعْرِفَا إِلَهَـهُ مَـنْ يَّـامَنِ المَكْـرَ جَفَا

(من) إسم موصول بمعنى الذي (ييأسن) أي الذي ييأس من رحمة ا الله (فإنه لم يعرفا) ألفه منقلبة عن نون أي لم يعرفن (إلهه) أي معبوده وخالقه ومنشئه ، من العدم إلى الوجود، أي لم يعرفه بسعة رحمته وتجاوزه عن عظائم الذنوب والسيئات إذ لو عرفه بذلك لم ييأس من رحمته كيف وهو تبارك وتعالى يقول **﴿ولا تيأسوا من رَوْحِ ا الله﴾** (1) الآية **﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا الله ﴾** (2) الآية **﴿ ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضّالون ﴾** (3) إلى غير ذلك من آيات الرّجاء فالمومن يحسن ظنه با الله، لما في الحديث القدسي (**أنا عند ظن عبدي بي**) لا سيما في حالة المرض فيغلب الرجاء وحسن الظن با الله تعالى لحديث مسلم، عن جابر **(لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن ظنه با الله)** ولقول القائل.

يامن دنا الموت منه با الله ظنك حسن

إن كنت عبدا مسيئا فربك ا الله محسن

1- سورة يوسف الآية : 87. 2- سورة الزّمر الآية : 53.

3- الحجر الآية : 56.

وهذا الطريق نجم، كثير ممن كانوا مكبين على الشهوات منهمكين على اللذات والزلات، منهم أبونواس الحسن بن هاني، الذي بالغ في إتباع الهوى حتى قال فيه الشاعر.

إن تكن ناسكا فكن كاويس   أوتكن فاتكا فكن كابن هاني

ولما مات وجد تحت وسادته بخطه

يارب عظمت ذنوبي كثرة   فلقد علمت بإن عفوك أعظم

أدعوك رب كما أمرت تضرعا   فإذ أرددت يدي فمن ذا يرحم

إن كان لا يرجوك إلا محسن   فمن الذي يرجوا المسيء المجرم

مالي إليك وسيلة إلا الرجا   وجميل ظني ثم أني مسلم اهـ

قال الطيبي فرؤي في المنام فأخبر أن الله غفر له بهذه الأبيات، وقال ذو النون المصري كان في جوارى شاب مسرف على نفسه فمرض ومات وأوصى أن يكتب على قبره هذان البيتان.

حسن ظني يا إلهي   فيك جرأني عليكا

فارحم اللهم عبدا   صار رهنا في يديكا

قال ذو النون ففعلوا ذلك ثم رأيته في نومي فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي قلت بماذا قال بفكرة واحدة خطرت لي عند موتي وذلك أني نظرت في كثرة ذنوبي وعظيم جرمي على نفسي فأيقنت بالعقوبة والعذاب ثم نظرت فإذا عفو الله أكثر من ذنوب الخطائين وأوسع من إجرام المسرفين فحسنت ظني بالله فغفرلي بذلك اهـ من إبن حمدون.

قوله (من يأمن المكرجفا) يشير بهذا إلى مقام الخوف وأنه لا ينبغي للعبد أن يحمله حسن الظن والرجاء على الا نهماك في المعاصي من غير خوف ولا حياء من الله تعالى فإن ذلك مكر وخديعة من إبليس اللعين، ومن هنا قالوا ينبغي للعبد أن يكون بين الخوف والرجاء بل يغلب جانب الخوف إلا في حالة المرض كما

تقدم، وذلك لان الخوف هو الذي يخرج الشهوة من القلب كما قال في الحكم، لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق، وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه صاحب الخوف يقطع من طريق الله عز وجل في شهر مالا يقطعه من فقد حزنه في سنين اهـ وفي التنزيل ﴿ **هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون** ﴾ (1) وقال تعالى، ﴿**ولا تخافوهم وخافون أن كنتم مومنين**﴾(2) فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان، وقال ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ (3) وقال ﴿**سيذّكّر من يخشى**﴾ (4) فجعل فضائل الأذكار مخصوصة بالخائفين، وقال ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ (5) وقوله (جفا) أي بعد عن طريق الحق حيث أمن مكر الله و لم يلتفت إلى قوله تعالى ﴿ **فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ (6) وللحديث القدسي (**لا أجمع على عبدي أمنين ولا خوفين فمن أمنني في الدنيا خوفته في الأخرة، ومن خافني في الدنيا أمنته في الأخرة**).

ولما أنهى الكلام على حكم قبول التوبة شرع يتكلم على التوبة من الذنوب التي بين العبد وربه فقال :

فصل في كيفية الذنوب التي بينه وبين الله تعالى :

أي في كيفية التوبة من الذنوب التي ارتكبها العبد فيما بينه وبين الله تعالى أي التي لاتباعة لمخلوق فيها، وإلى تفصيلها أشار بقوله:

مَا كَانَ لِلّه بِتَوْبِ غَفَرَهْ ... بِفَضْلِهِ صِغَارَهُ وَكِبَرَهْ

وَبَدَّلَ السَّيِّئَ بِالحَسْنَاء ... وَغَمَرَ التَّائِبَ بِالعِطَاء

لَوْمَلأْتَ ذُنُوبُكَ الأَكْوَانَا ... وَتُبْتَ نِلْتَ يَا أَخِي الرِّضْوَانَا اهـ

1- سورة الأعراف الآية : 154.

2- سورة آل عمران الآية : 175.

3- سورة الرحمن الآية : 46.

4- سورة الأعلى الآية: 10.

5- سورة النازعات الأيتان:(41،40)

6- سورة الأعراف الآية: 99.

أخبر رحمه الله بأن (ماكان لله) أي من قبل الله (بتوب) أي توبة (غفره) أي أن كل ذنب أذنبه العبد فيما بينه وبين الله تعالى وتاب منه توبة نصوحا غفره تعالى (بفضله) لا باستحقاق ولا لوجوب عليه، بل له المن تبارك وتعالى حيث وفق العبد للتوبة ﴿ **قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان**﴾ (1) (صغاره) أي صغائر الذنوب (و) أي وكذا (كبره) أي كبائرها ولو بلغت ما بلغت، لما ورد في الحديث القدسي السالف الذكر وهو (**يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**) وراه الترمذي وهو في الأربعين النووية.

وإذا قبل توبة العبد بمحض فضله تعالى بدل سيئاته حسنات كما قال (وبدل السيّيء) أي الأعمال السيئة (بالحسناء) أي بالأعمال الحسنة كما قال تعالى ﴿ **إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**﴾ (2) الآية، (و) أي وإذا بدل غفر له وبدل سيئاته حسنات (غمَرَ التائب) أي ستر عيوبه (بالغطاء) أي بالستر حتى لا يطلع على ذنوبه أحد، وأكبر من هذا أنه تعالى ينسي الحفظة ما كانوا كتبوا عليه إلخ ما تقدم، وهذا غاية العطاء، ثم قال يرغب التائب في حسن الظن بالله وينبهه على أن كثرة الذنوب في جنب فضل الله وسعت رحمته وعفوه كلا شيئ (لو ملأت ذنوبك الأكوانا) أي ما بين السماء والأرض (وتبت) منها توبة نصوحا (نلت) أي حزت وحصلت ياأخي التائب (الرضوانا) أي رضاء الله تبارك وتعالى وإذا حزت الرضا منه فقد نلت دار الرضوان، مع الأصفياء الأبرار يشير هذا إلى الحديث القدسي المتقدم اهـ ومما يقوي حسن الرجاء ما في تنبيه الغافلين ونصه محذوف الأسانيد، عن الزهري قال دخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي

1- سورة الحجرات الآية : 17.　　2- سورة الفرقان الآية : 70.

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما يبكيك ياعمر**) فقال يارسول الله بالباب شاب قد أحرق فؤادي وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ياعمر أدخله عليّ**) قال، فدخل وهو يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ما يبكيك ياشاب**) فقال يارسول الله أبكتني ذنوب كثيرة وخفت من جبار غضبان علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**أشركت با لله شيئا ياشاب**) قال: لا، قال: (**أقتلت نفسا بغير حق**) قال: لا، قال: **فإن الله يغفر ذنبك ولو كان مثل السماوات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي**) قال: يارسول الله ذنبي أعظم من السماوات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(**ذنبك أعظم أم الكرسي**) قال: ذنبي أعظم، قال: (**ذنبك أعظم أم العرش**) قال: ذنبي أعظم، قال: (**ذنبك أعظم أم إلهك**) يعني عفو الله، قال بل الله أعظم وأجل قال : (**فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الله العظيم**) ، يعني العظيم التجاوز، قال: (**أخبرني عن ذنبك**) ، قال: يارسول الله إني أستحي منك، قال: (**أخبرني عن ذنبك**) ، قال: يارسول الله كنت رجلا نباشا أنبش القبور منذ سبع سنين حتى ماتت جارية من بنات الأنصار فنبشت قبرها فأخرجتها من كفنها فمضيت غير بعيد إذ غلب الشيطان على نفسي فرجعت فجامعتها فمضيت غير بعيد إذ قامت الجارية وقالت ويلك ياشاب أما تستحيي من ديان يوم الدين يضع كرسيه للقضاء ويأخذ المظلوم من الظالم تركتني عريانة في عسكر الموتى وأوقفتني جنبا بين يدي الله عز وجل فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدفع في قفاه، وهو يقول:(**يافاسق ما أحوجك إلى النار أخرج عني**) فخرج الشاب تائبا إلى الله تعالى أربعين ليلة فلما تم له أربعون ليلة رفع رأسه إلى السماء فقال:ياإله محمد وآدم وحواء إن كنت غفرت لي فأعلم محمد وأصحابه، وإلا فأرسل نارا من السماء فأحرقني بها ونجني من عذاب الآخرة، قال فجاء جبريل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: السلام عليك يامحمد ربك

يقرئك السلام فقال: (**هو السلام ومنه السلام وإليه يرجع السلام**) فقال: يقول الله تعالى أنت خلقت الخلق، قال :(**هو الذي خلقني وخلقهم**،) قال: يقول أنت ترزقهم قال (**بل الله يرزقهم وإياي**) قال: يقول أنت تتوب عليهم قال : (**بل الله يتوب علي وعليهم**) قال :يقول الله تعالى تب على عبدي فإني تبت عليه فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الشاب وبشره بأن الله تعالى تاب عليه إنتهى منه رقم: 36/37/ اهـ.

ولما أنهى الكلام على كيفية التوبة من الذنوب التي بين العبد وربه شرع يتكلم على التوبة من حقوق العباد فقال:

فصل في كيفية التوبة من حقوق العباد

أي فيما يلزم التائب (من حقوق) أي مظالم (العباد) من مال أو جسد أو عرض فقال:

فَتَوْبَةُ العَبْدِ مِنْ الحُقُوقِ ... رَدُّ المَظَالِمْ إِلَى المَخْلُوقِ

أي من شروط التوبة المتعلقة بحقوق المخلوقين (رد المظالم)، إلى المظلوم إن أمكن كما قال ناظم أسهل المسالك، ورد ظلم ممكن، وقال إبن عاشر، وليتلاف ممكنا، وفي تنبيه الغفلين وإما الذنب الذي بينك وبين العبد فما لم ترضهم لا تنفعك التوبة حتى يحللوك اهـ ولما كانت التوبة من حقوق العباد برد المظالم تنقسم إلى ثلاثة أقسام: عرضية ، ومالية ، وبدنية، شرع في تفصيلها وبدأ بالعرضية فقال:

فَإِنْ تكُنْ عِرْضَيَةً فَلْتَسْتَحِلْ ... أَرْبَابَهَا فَذَاكَ تَوْبَةٌ تَحِلْ

أي (فإن تكن) الذنوب (عرضية)، كقذف وغيبة، أو جرحا أو نفسا فرد المظالم هنا يكون بأحد أمرين الأول الذي أشار عليه بقوله (فلْتَسْتَحِلْ أربابها) بأن تسأل منهم أن يجعلوك في حل فإن عفوا عنك (فذاك توبة) أي صحيحة بإستيفاء شروطها وحيث كانت صحيحة فإنها (تحل) أي تنجي التائب وتحل عنه ما كان مسورا به من حقوق المظلومين، والثاني، تمكين الظالم نفسه من المجنى عليه إن كان

موجودا وإلا فمن ورثتة أو أوليائه، إذا كانت الجناية نفسا أو جرحا، وسياتي تفصيل هذا القسم الثاني في محله بأتم تفصيل إن شاء الله ثم أشار إلى المالية فقال.

وَإِنْ تَكُنْ مَالِيَةً فَرُدَّهَا لأَهْلِهَا بِالفَوْرِ وَادْرِ عَدَّهَا

أي (وإن تكن) المظالم (مالية) كالغصب والسرقة (فردها لأهلها) أيها الظالم وهذا الرد يكون (بالفور) أي من غير تراخ لأن تأخير الرد يعد تأخيرا للتوبة وتأخير التوبة معصية أخرى، كما قال سيدي عبد الرحمان الأخضري رحمه الله، ولايحل له أن يؤخر التوبة ولا يقول حتى يهديني الله فإن ذلك من علامة الشقاء والخذلان وطمس البصيرة والعياذ با لله، فإن عجزت أيها الظالم لعدم أو فقر فتحلل مستحقها منها، إبن العربي فإن مات صاحب الحق إنتقل لورثته فإن أدى برئ، وبقي حق المطل فليستحله منه، نقله عنه إبن حمدون وقوله (وادر عدها) أي الحقوق المالية إن كانت مما يعد كالدنانير والدراهيم أهـ ثم أشار إلى القسم الثالث الذي هو البدنية فقال.

وَإِنْ تَكُن بِبَدَن كَالقَتْلِ وَالجُرْح والضَّرْبِ بِسُوء الفِعْلِ
فَعَفْوٌ أوْ قِصَاصٌ أوْدِيَّاتُ تَوْبَتُهُ تُبْرَا بِهَا الذّمَّاتُ

أي (وإن تكن) المظالم (ببدن كالقتل) ففي تمكين نفسه من القود خلاف، أشار إليه ابن حمدون بقوله: والبدنية إختلف في قتل النفس منها هل يجب تمكين نفسه من القود وعليه الغزالي في الإحياء أو لايجب وهو ظاهر الأحاديث ومال إليه ابن رشد قال: وينبغي أن يعتق ويحمل نفسه على الجهاد ونحوه ليكون كفارة له، ويجب التمكين من القصاص في الضرب والجرح غير المخوفين والحرمية قال: في النصيحة بتعين فيها عدم الإستحلال ونحوه في الإحياء لأن الإستحلال منها زيادة في الإذاية، والذمي كالمسلم في ماله وعرضه ونفسه.

ـ **تنبيه** ـ يطلب من المظلوم أن يجعل ظالمه في حل فيما لا يقدر على رده من المال والعرض لقوله تعالى: ﴿ **وأن تعفو أقرب للتقوى** ﴾ (1) ﴿**خذ العفو**،﴾ (2) ما لم يفهم التجرّؤ بذلك لقوله: ﴿ **والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون**﴾ (3) ذكره في سياق المدح وبهذا يجمع بين الآيات، وعلى هذا التفصيل اقتصر في شرح الحصن. وقال سليمان بن يسار العفو أفضل، وقال سعيد بن المسيب ترك العفو أفضل وفرق مالك فقال: العفو عن المال أفضل وتركه عن الأعراض أفضل، فهذه ثلاثة أقوال، والحاصل كما في شرح الحصن، أن أحوال المظلوم، إما انتصار وإما استسلام وصبر، وأما عفو صفح، وإما دعاء للظالم وإحسان إليه وهذا أعلاها. كما أن الأول فيه تفصيل فقد يكون مخطئا فيتأكد تركه، ففي الخبر إذا دعا العبد على ظالمه قال الله عبدي أنت تدعوا على من ظلمك ومن ظلمته يدعو عليك فإن أردت أن أستجيب لك إستجبت عليك، قال الشيخ زروق في شرح الوغليسية ليس الشأن أن تدعو على الظالم فيهلك إنما الشأن أن تدعو بصلاحه فيرجع عما هو عليه فيرد عليك ما أخذ منك ويتحلل منك فيعود أمره إليك، لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس، اهـ منه رقم (119)، (و) أي و أما (الجرح والضرب) فتوبته تنقسم إلى ثلاثة أقسام، كما قال (فعفوٌ) أي من المجنَى عليه (أو قصاص) أي من الجاني (أو ديات) أي أرش دية الجرح أو القتل وقد أشار ابن أبي زيد ﷺ إلى ذلك بأتم تفصيل وبيان، فقال في دية القتل: والدية على أهل الإبل مائة من الإبل وعلى أهل الذهب ألف دينار وعلى أهل الورق اثنا عشر ألف درهم ودية العمد إذا قبلت خمس وعشرون حقة، وخمس وعشرون جذعة، وخمس وعشرون بنت لبون، وخمس وعشرون بنـ مخاض، ودية الخطأ مخمسة ، عشرون من كل ما ذكرنا وعشرون بنو لبون ذكورا، إلى أن قال

1- سورة البقرة الآية : 237. 2- سورة الأعراف الآية: 199. 3- سورة الشورى الآية : 40.

في حكم ديات الجرح وفي اليدين الدية وكذلك في الرجلين، أو العينين وفي كل واحدة منهما نصفها وفي **الأنف** نقطع مَارِنُه الدية. وفي السمع الدية وفي العقل الدية وفي الصلب ينكسر الدية و في الأنثيين الدية وفي "الحشفة" الدية وفي اللسان الدية وفيما منع فيه الكلام الدية، وفي ثديي المرأة الدية، وفي عين الأعور الدية، وفي الموضحة خمس من الإبل، وفي السن خمس من الإبل، وفي كل إصبع عشر وفي الأنملة ثلاث وثلث، وفي كل أنملة من الأبهامين خمس من الإبل، وفي المنقلة عشر ونصف عشر، والموضحة ما أوضح العظم، والمنقلة ما طار فراشها من العظم ولم تصل إلى الدماغ وما وصل إليه فهي المأمومة ففيها ثلث الدية، و كذلك الجائفة، وليس فيما دون الموضحة إلا الإجتهاد وكذلك في الجراح والجسد. ولا يعقل جرح إلا بعد البرء وما برئ على غير شين مما دون الموضحة فلا شيء فيه . وفي الجراح القصاص وفي العمد إلا في المتالف، مثل المامومة والجائفة والمنقلة والفخذ والأنثيين والصلب ونحوه ففي كل ذلك الدية.

فإذا وقع العفو أو القصاص ، أو إعطاء الدية. فـ(توبته) أي الجاني (تبرا بها الذمات) أي فلا يبقى على التائب بعد ذلك حق. وقول الناظم (بسوء فعل) فهو تقبيح وتشنيع على الجاني، حيث استخف بحق أخيه المسلم وارتكب أمرًا محرمًا بنص السنة قال صلى الله عليه وسلم «**كل مسلم على المسلم حرام دمه وماله و عرضه**» وقال في خطبته في عرفة: « **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام**» الحديث كما في الصحيح، اهـ قال:

إِنْ أَمْكَنَ الرَّدُّ بِالإِسْتِحْلَالِ فَافْعَلْ وَتُبْ بَعْدُ وَلَا تُبَالِي

يعني أنك أيها التائب إذا لم يمكنك (الرد) بالقصاص وأمكنك (بالاستحلال) أي طلب العفو من المجنى عليه أو وارثه (فافعل) أي فسل منه أن يجعلك في حل (وتب بعد) ذلك إلى الله توبة نصوحا بالشروط المتقدمة. (و) إذا فعلت ذلك وعفا عنك المظلوم فـ(لا تبالي) أي لا تهتم بما سلف من تلك الجناية بعد العفو من

المظلوم والتوبة النصوح فربنا غفور رحيم وقد قال تعالى:﴿ **عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار**﴾ (1) الاية. فاستأنف العمل الصالح وسل الله العصمة فيما بقي من عمرك اهـ ثم قال:

وَإِنْ يَكُنْ رَدُّكَ غَيْرَ مُمْكِنِ فَتُبْ وَلاَ تَيْأَسْ بِكُلِّ مَوْطِنِ

أي وأما إن لم يمكن (ردك) للمظالم بوجه من الوجوه (غير ممكن) لتعذر رده بوجه من الوجوه فلا يجب عليك لأن شرط المطلوب الإمكان كما قال الشيخ ابن عاشر. وليتلاف ممكنا. وقال ناظم أسهل السالك. ورد ظلم ممكن قال شارحه وأما ما لم يمكن رده بأن كان الجاني مستغرقا لذمم محترمة فعليه بالإخلاص بالتوبة والتوجه الى الله بكثرة التضرع والإستغفار فالمرجو من الله أن يرضي عنه خصومه يوم القيامة من خزائن رحمته. اهـ منه . فهذا قول المؤلف (ولاتيأس) من رحمة الله وعفوه وإرضاء خصومك من فضله (بكل موطن) من مواطن الدنيا والآخرة اهـ ثم قال :

وَكَثِّرِ الذِّكْرَ وَالإِسْتِغْفَارَا لأَهْلِهَا وَيَمِّمِ الغَفَّارَا

(و) أي وإذا فعلت ما ذكر فـ(كثر الذكر) لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم:(**ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله تعالى قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع**) رواه الطبراني. وقوله صلى الله عليه وسلم:(**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم. قالوا: بلى، قال : ذكر الله**) رواه أحمد وقوله صلى الله عليه وسلم:(**من عجز منكم عن الليل أن يكابده وبخل بالمال أن ينفقه وجبن عن العدو أن يجاهده فليكثر من ذكر الله**). إلخ ما في شرف الأمّة المحمدية للشيخ السيد محمد

1- سورة التحريم الآية: 8.

العلوي المكي فقد جمع في شرف الذاكرين من هذه الأمة المحمدية من الأحاديث ما يطول جلبه جزاه الله خيرا وقال الشيخ الجزولي. لأن الإنسان إذا أكثر من ذكر الله تجدد خشوعه وتقوى إيمانه وبعدت الغفلة عن قلبه وكان إلى التقوى أقرب ومن المعاصي أبعد اهـ وقال ابن حمدون الذكر اشرف الطرق الموصلة الى الله تعالى وهو عنوان الولاية وعلامة صحة البداية ودلالة صفاء النهاية وهو أفضل ما أعطاه الله تعالى لعباده في الدنيا. وأفضل ما أعطاه في العقبى النظر إليه فذكر الله في الدنيا كالنظر إليه في الآخرة ولصاحبه كرامات نبه عليها في الحكم فقال. أكرمك كرامات ثلاثا. جعلك ذاكرا له، ولولا فضله لم تكن أهلا لجريان ذكره عليك. وجعلك مذكورا به. إذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكورا لديه فتمم نعمته عليك. وقال ابن عباس ي فونه تعالى:﴿ **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم**﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿ **يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا**﴾ (2) لم يفرض الله فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه و لم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله. وأمرهم به في الأحوال كلها فقال :﴿ **فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم** ﴾ (3) وقال: ﴿ **واذكروا الله ذكرا كثيرا** ﴾ (4) أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال اهـ وقال مجاهد الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا وعن معاذ رفعه (**ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت عليهم في الدنيا لم يذكروا الله عز وجل**) رواه عبد الرزاق والطبراني قال في. ك. نقلا عن الجزولي فقد ذكر الله تعالى حكم الذكر وفضله وكيفيته وصفته وفائدته وعقوبة من أعرض عنه. فأما حكمه وفضله فقال تعالى:

1- سورة النساء الآية : 103.

2 - سورة الأحزاب الآية: 41.

3- سورة النساء الآية: 103.

4 - سورة الأحزاب الآية: 41

﴿ **يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله** ﴾ (1) الخ . وأما كيفيته فقال تعالى: ﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعودا** ﴾ (2) الآية. وأما صفته فقال تعالى: ﴿ **فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم ءاباءكم أو أشدَّ ذكرًا** ﴾ (3) وذكر الأب يكون بالتعظيم. وكذلك ذكر الله تعالى وأما فائدته فقال تعالى: ﴿ **إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ (4) وقال: ﴿ **ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب** ﴾ (5) وأما عقوبة من اعرض عنه فقال تعالى: ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا** ﴾ (6) وقال: ﴿ **ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض شيطان فهو له قرين** ﴾ (7). ومعنى هذه الآية من يغفل عن ذكر الله يسر الله له شيطانا يكون له قرينا عقوبة له عن الغفلة عن الذكر. ويروى أنه ما من صيد يصاد ولا من شجرة تقطع إلا لغفلتها عن ذكر الله. لأن السارق لا يسرق شيئا وأهله أيقاظ بل على غفلة أونوم اهـ .

(و) أي وكثر (الإستغفار لأهلها) أي لأهل المظالم التي لم يمكنك ردها. (ويمم الغفارا) أي أقصد الله تعالى الذي سمى نفسه الغفار أي كثير المغفرة لمن استغفره فقد قال تبارك وتعالى حكاية عن قول سيدنا نوح لقومه: ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا** ﴾ (8) الآية ــ **فائدة** ــ ورد في الحلية عن ميمون بن مهران كاتب عمر بن عبد العزيز. من استغفر لمظلومه دبر كل صلاة خمسا وفّى حقّه. اهـ (لطائف) نقلها الإمام أبو حامد الغزالي نفعنا الله ببركاته وبعلومه آمين. في باب أقسام العباد في دوام التوبة. فقال . اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات (الطبقة الأولى) أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة

1- سورة الأحزاب الآية: 41.
2 - سورة النساء الآية: 103.
3 - سورة البقرة الآية: 200.
4 - سورة الأعراف الآية: 201.
5- سورة الرعد الآية: 28.
6 - سورة طه الآية : 124.
7 سورة الزخرف الآية : 36.
8 - سورة نوح الآية 10.

إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود الى ذنوبه الا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادة مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة وصاحبه هو السابق بالخيرات المستبدل بالسيئات حسنات. واسم هذه التوبة التوبة النصوح. واسم هذه النفس الساكنة المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (**سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر عنهم اوزارهم فوردوا القيامة خفافا**) اهـ بخ (الطبقة الثانية) تائب سلك طريق الإستقامة في آمهات الطاعات وترك كبائر الفواحش كلها. إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تعتريه لا عن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجال أحواله من غير أن يقدم عزما على الإقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من أسبابها التي تعرضه لها وهذه النفس جديرة بأن تكون هي النفس اللوامة إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال الذميمة لا عن تصميم عزم وتخمين رأي وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدمي قلما ينفك عنه وإنما غاية سعيه أن يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات. فإنما أن تخلو بالكلية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى: ﴿ **الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة**﴾ (1) اهـ بخ (الطبقة الثالثة) أن يتوب ويستمر على الإستقامة مدة ثم تغلبه الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لعجزه عن قهر الشهوة إلا أنه مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك جملة من الذنوب مع القدرة والشهوة. وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان وهو يود لو

1- سورة النجم الآية : 32.

أقدره الله على قمعها وكفاه شرها. هذه أمنيته في حال قضاء الشهوة. وعند الفراغ يتندم ويقول ليتني لم أفعله وسأتوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها . لكنه تسول له نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس المسؤولة وصاحبها من الذين قال الله فيهم:﴿ **وءاخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا**﴾ (1) فأمره من حيث مواظبته على الطاعات وكراهته لما تعاطاه مرجو عسى الله أن يتوب عليه (الطبقة الرابعة) أن يتوب ويجري مدة على الإستقامة ثم يعود إلى مقارفة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله . بل ينهمك انهماك الغافلين في اتباع شهوته فهذا من جملة المصرين وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير ويخاف على هذا سوء الخاتمة وأمره في مشيئة الله اهـ. بخ.

ـ **فائدة** ـ في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقد الإصرار. قال أبو حامد الغزالي نفعنا الله به. اعلم أن الناس قسمان . شاب لا صبوة له نشأ على الخير واجتناب الشر. وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم (**تعجب ربك من شاب ليست له صبوة**). وهذا عزيز نادر. والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب. ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى تائبين. وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه. فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلاّ بالدواء ولا يقف على الدواء من لا يقف على الداء. إذ لا معنى للدواء إلا مناقضة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فدواؤه حل ذلك السبب ورفعه وإبطاله. ولا يبطل الشيء إلا بضده. ولاسبب للإصرار إلا الغفلة والشهوة. ولا يضاد الغفلة إلا العلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحرّكة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال الله تعالى:﴿ **وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون**﴾ فلا دواء إذن للتوبة إلا بمعجون يعجن من حلاوة العلم ومرارة

1- سورة التوبة الآية : 102.

الصبر. وكما يجمع السكنجبين بين حلاوة السكر وحموضة الخل ويقصد بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعها فيقمع الأسباب المهيجة للصفراء فهكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار. فإن لهذا الداء أصلان أحدهما العلم والآخر الصبر. ولابد من بيانهما.

فإن قلت أينفع كل علم لحل الإصرار أم لابدّ من علم مخصوص . فاعلم أن العلوم بجملتها أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه. كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار. فلنذكر خصوص ذلك العلم على موازنة مرض الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم فنقول يحتاج المريض إلى التصديق بأمور. (الأول) أن يصدق على الجملة بأن المرض والصحة أسباب يتوصل إليها بالإختبار على ما رتبه مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب وإن من لا يومن به لا يشتغل بالعلاج ويحق عليه الهلاك وهذا وزانه ما نحن فيه. الإيمان بأصل الشرع وهو أن للسعادة في الآخرة سببا هو الطاعة والشكر. وللشقاوة سبب هو المعصية. وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لابد من حصوله أما عن تحقيق أو تقليد. وكلاهما من جملة الإيمان.

(الثاني) أنه لابد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يعبر عنه لا يلبس ولا يكذب فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرده دون هذا الإيمان ووزانه مما نحن فيه. العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلاف .

(الثالث) أنه لابد أن يصغي إلى الطبيب فيما يحذر عنه من تناول الفواكه والأسباب المضرة على الجملة حتى يغلب عليه الخوف في ترك الإحتماء فتكون شدة الخوف باعثة له على الإحتماء ووزانه من الدين. الإصغاء إلى الآيات والأخبار المشتملة على الترغيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق في جميع ما يلقى إلى سمعه من ذلك من غير شك واسترابة حتى ينبعث به الخوف المقوي على الصبر الذي هو الركن الأخير في العلاج.

(الرابع) أن يصغي إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه من نفسه الإحتماء عنه. ليعرفه أولا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله ومأكوله ومشروبه فليس على كل مريض الإحتماء عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص. ووزانه من الدين. أن كل عبد فليس يبتلى بكل شهوة وارتكاب ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة. وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب. ثم إلى العلم بآفاتها وقدر ضررها .ثم العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها .ثم العلم بكيفية تكفير ما سبق منها .فهذه العلوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء .فالعاصي إن علم عصيانه.فعليه طلب العلاج من الطبيب وهوالعالم وإن كان لايدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه ذلك وذلك بأن يتكفل كل عالم بإقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد ليعلم أهله دينهم ويميز ما يضرهم مما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم .ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء .والأنبياء ما تركوا الناس على جهل بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الإبتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم.فإن مرضى القلوب لايعرفون مرضهم كما أن الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرفه غيره . وهذا فرض عين على العلماء كافة . وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيها متدينا يعلم الناس دينهم فإن الخلق لايولدون إلا جهلاء فلا بد من تبليغ الدعوة اليهم في الأصل والفرع .والدنيا دار المرض إذ ليس في بطن الارض إلا ميت وعلى ظهرها إلا سقيم .ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان .والعلماء أطباء والسلاطين قوام دار المرضى .فكل مريض لم يقبل العلاج بمداوات العالم يسلم إلى السلطان ليكشف شره كما يسلم الطبيب المريض الذي لايحتمي أو الذي غلب عليه الجنون إلى القيم ليقيده بالسلاسل والأغلال ويكف شره عن نفسه وعن سائر

الناس.وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان لثلاثة علل .إحداها أن المريض به لايدري أنه مريض .والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم .بخلاف مرض البدن فإن عاقبته موت مشاهد تنفر الطباع منه . وما بعد الموت غير مشاهد .وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم. غفلت النفرة عن الذنوب وإن علمها مرتكبها فلذلك تراه يتكل على فضل الله في مرض القلب ويجتهد في علاج مرض البدن من غير اتكال .

(والثالثة)وهو الداء العضال فقد الطبيب .فان الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الاعصار مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وصارت لهم سلوة في عموم المرض حتى لايظهر نقصانهم واضطروا إلى إغواء الخلق والإشارات عليهم بما يزيدهم المرض لأن الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدروا على تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم فما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم فبهذا السبب عمّ على الخلق الداء وعظم الوباء .وانقطع الدواء وهلك الخلق فقد الأطباء .بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء فليتهم إذا لم ينصحوا لم يغشوا وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا .وليتهم سكتوا وما نطقوا فإنهم إذا تكلموا لم يهمهم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بإرجاء وتغليب أسباب الرجاء وذكر دلائل الرحمة لأن ذلك ألذ في الاسماع وأخف على الطباع فتنصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيد جرأة على المعاصي ومزيد ثقة بفضل الله .

ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائبا هلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواءان ولكن لشخصين متضادي العلّة .أما الذي غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لاتطيقه وضيق العيش على نفسه بالكلية فتكسر سورة إسرافه في الخوف بذكر أسباب الرجاء .ليعود إلى الإعتدال وكذلك المصر على الذنوب المشتهي للتوبة ممتنع عنها بحكم القنوط واليأس استعظاما لذنوبه التي سبقت يعالج أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب.

فأما معالجة المغرور المسترسل في المعاصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهي معالجة المحرور بالعسل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء .فإذن فساد الأطباء هي المعضلة الذباء التي لا تقبل الدواء أصلا .اهـ من (ج)4 رقم (49) اهـ ثم لما أنهى الكلام المصنف على التوبة شرع يتكلم على التقوى فقال :

فصل في صفة التقوى

أي كيف يكون حال المتصف بالتقوى. وإلى وصف المتقين أشار باب مدينة العلم سيدنا علي كرم الله وجه في بعض خطبه حين قال له بعض أصحابه صف لي المتقين كأني أنظر إليهم فقال رضي الله عنه بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيا عن طاعتهم ءامنا من معصيتهم لأنه لاتضره معصية من عصاه ولا تنفعه طاعة مُن أطاعه .قسم بينهم معيشتهم ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الإقتصاد.ومشيهم التواضع غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم .ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم .نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء . ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقا إلى الثواب وخوفا من العقاب عظم الخالق في أعينهم فصغر ما دونه في أعينهم .فهم والجنة كمن رآها فهم فيها منعمون .وهم والنار كمن قد رآها فهم فيها معذبون .قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة .صبروا أياما قليلة أعقبهم راحة طويلة .أرادتهم الدنيا فلم يردوها .وأسرتهم فغذوا أنفسهم منها .أما اليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا .يحزنون به أنفسهم ويستشرون به دواء دائهم .فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعا وتطلعت أنفسهم إليه شوقا وظنوا أنها نصب أعينهم وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زئير جهنم وشهيقها في أصول ءاذانهم فهم حانون على

أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم .وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء قد براهم الخوف بري القداح .ينظر إليهم الناظرفيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض .ويقزل قد خالطهم أمر عظيم لايرضون من أعمالهم القليل .ولا يستكثرون الكثير .فهم لأنفسهم متهمون .ومن أعمالهم مشفقون .إذا زكى أحدهم خاف مما يقال .فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري .وربي أعلم بي من نفسي .اللهم لاتؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون .واغفرلي ما لايعلمون .

فمن علامة أحدهم .أنك ترى له قوة في دين .وحزما في لين .وإيمانا في يقين وحرصا في علم .وقصدا في غنى .وخشوعا في عبادة .وتجملا في فاقة .وصبرا في شدة وطلبا في جلال.ونشاطا في هدى.وتحرجا عن طمع. يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل. يمسي وهمه الشكر. ويصبح وهمه الذكر. يبيت حذرا. ويصبح فرحا. حذرا لما أخذه من الغفلة وفرحا بما أصاب من الفضل والرحمة. إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب. قرة عينه فيما لا يزول. وزهادته فيما لا يبقى يمزج الحلم بالعلم. والقول بالعمل. تراه قريبا أمله قليلا زلله. خاشعا قلبه. غائبا نفسه. يعفوا عمن ظلمه ويعطي من حرمه. ويصل من قطعه. بعيدًا فحشه. لينا قوله. غائبا منكره حاضرا معروفه. مقبلا خيره. مدبرا شره. في الزلازل وقور. وفي المكاره صبور. وفي الرخاء شكور. لا يحيف على من يبغض. ولا يأثم فيما يحب. اهـ بخ اهـ

وأما الشيخ المؤلف فأشار لوصفها على حسب ما وصفها به الشيخ ابن عاشر فقال:

وَلاَ تَكُونُ التَّوْبَةُ النَّصُوحُ	إلاَّ بتَقْوَى نُورُهَا يَلُوحُ
وَهِيَ أَنْ تَمتَثِلَ الأَوَامِرْ	وَتَتْرُكَ المَنَاهِيَ العَوَاقِرْ
فِي عَالَمِ القَلْبِ وَفِي القَوَالِبِ	وَالوَرَعُ المُكَمِّلُ تَقْوَى الرَّاغِبْ

أخبر رضي الله عنه بأن (التوبة النصوح) لا تكون (إلا بتقوى) الله التي (نورها يلوح) أي يظهر على المتصف بها لأن التقوى تنور الباطن وإذا تنوَّرَ الباطن يلوح ذلك النور على الظاهر كما قال صاحب الحكم (ما استودع في غيب السرائر. ظهر في شهادة الظواهر . اهـ وقد تفننت عبارة الصوفية في كلمة التقوى فمنها ما أشار إليه الناظم بقوله (و) أي والتقوى (هي أن تمتثل الأوامر) أي ظاهرا وباطنا (و) أي هي أيضا لا تصح بامتثال الأوامر فحسب بل لابد من ترك المناهي كما قال الشيخ ابن عاشر. وحاصل التقوى اجتناب وامتثال. البيتين. قال الشيخ ميارة في الشرح الكبير. واعلم ان التقوى في عرف الشرع هي وقاية الإنسان نفسه عما يضره في الآخرة. قال البيضاوي والمتقي إسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى و الوقاية -فرط الصيانة ولها ثلاث مراتب. الأولى. التقوى من العذاب المخلد في التبري عن الشكر وعليه قوله تعالى:﴿**وألزمهم كلمة التقوى**﴾ (1) والثانية. التجنب عن كل ما فيه إثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى:﴿**ولو أن أهل القرى ءامنوا واتقوا**﴾ (2) والثالثة. أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل إليه بشرا شره. وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى:﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** ﴾ (3). وفي تفسير ابن جزي درجات التقوى خمس . أولها. أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام. وأن يتقي المعاصي و المحرمات. وذلك مقام التوبة. وأن يتقي الشبهات. وهو مقام الورع. وأن يتقي المباحات. وهو مقام الزهد. وأن يتقي حضور غير الله على قلبه وهو مقام المشاهدة قال : والبواعث على التقوى عشرة خوف العقاب الدنيوي والأخروي. ورجاء الثواب الدنيوي والأخروي. فهذه أربعة وخوف الحساب. والحياء من نظر الله . هو مقام المراقبة. والشكر على نعمه

1- سورة الفتح الآية : 26. 2- سورة الأعراف الآية : 96 3 - سورة آل عمران الآية: 102.

بطاعته. والعلم لقول الله تعالى:﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ (1) وتعظيم إجلال الله. وهو مقام الهيبة. وصدق المحبة فيه. لقول القائـــــل:

تعصى الإلــه وأنــت تظهر حبــه هــذا محــال في القياس بديــع

لوكــان حبــك صادقــا لأطعتــه إن المحب لــمن يحــب مطيــع

وقال آخـــــر:

قالت وقد سئلت عن حال عاشقها با لله صفـــه ولا تنقــص ولا تــزد

قالت لوكان رهن الموت من ظمإٍ وقلت قــف عــن ورود الماء لم يرد

اهـ 312.

وقوله (العواقر) شبه المناهي بالعواقر. وهو تشبيه تام لأن العاقر لا يلد على حد قوله تعالى:﴿وامرأتي عاقر﴾ (2) وكذلك مرتكب المناهي لا يـاتي منه شيء لحجب قلبه عن دخول الأسرار والأنوار لأن الملائكة لا تدخـل بيتا فـــي كلب ولا صورة والمعاصي كلاب نابحة ما قال الغزالي. اهــ ثم أشار إلى أن الإمتثال والاجتناب يــكونــان ظــاهرا وبــاطنا بقــوله (في عالم القلب) الذي هو محل الأسرار ومحط نظـر الله تعالى وهـذا هـو البـاطن. وأشار إلى الظـاهر بقولـه (وفي القوالب) أي الصور وهي الجوارح الظاهرة. قال صاحب الرسالة. وقد فـرض الله سبحانه وتعالى على القلب عملا من الاعتقادات وعلى الجوارح الظاهرة عملا مـن الطاعات . اهـ (والورع المكمل تقوى الرغائب) أي بـالورع تكمـل الرغائب إذ الورع هو الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله . وهو هين كما في الحديث.

الورع هين دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ولهذا قال المصنف (المكمل) أي لصفات التقوى اهـ والله اعلـــم.

ولما أنهى الكلام على صفة التقوى شرع يتكلم على غض البصر الـذي هـو من قسم اجتناب النواهي فقال:

السيد: مناد العربي

إمـــام مـدرس

1- سورة فاطر الآية : 28.

2- سورة آل عمران الآية : 40

فصـــل في غض البصر

أي حكم غض البصر عما حرم الله تعالى وفي حكمه من الشرع فقـال:

يَجِـبُ غَـضُّ بَصَـرِ الإنسَانِ   عَنِ المَحَارِمِ مِـنَ الأعْيَـانِ

كَالفَـرْجِ وَالأفْخَـاذِ والنِّسَـاءِ   أعْنِـي الأجَـانِبَ عَلَى الوَلاَءِ

أخبر رضي الله عنه بأن حكم غض البصر (عن المحارم من) الشرع الوجوب لقوله تعالى: ﴿ **قل للمومنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ (1) وقولـه مـن (الأعيان) أي عن ما سيعينه من الأعضاء التي يحرم النظر اليها وذلك (كالفرج) أي عورة الرجـل (والأفخاذ) أي فخذي الرجل وهو ما بين السرة والركبة. فيحرم على الرجل نظـر ذلك من الرجل. والملامسة من باب أحرى (و) أي وأما (النساء) فـلا يحل لرجـل مكلف أن ينظر إلى شيء من جسدهن. وقولـه (أعـني الأجـانب) أي مـن الرجـال الأجانب (على الـولاء) أي علـى التمـام. وأمـا الـزوج مع زوجتـه والزوجـة مـع زوجها فيحل لكل منهما النظر والتمتع بجميع الجسد كمـا قـال أبـو المـودة خليل وحل لهما حتى نظر الفرج. وأما المحارم غير الزوج والزوجة فقد أشار إلى ذلـك في باب ستر العورة بأتم تفصيل فقال. وهي من رجل وأمة وحرة مع امرأة ما بين سرة وركبة ومع أجنبي غير الوجه والكفين. ومع محرم غير الوجه والأطراف. وترى من الأجنبي ما يراه من محرمه ومن المحرم كرجل مع مثله اهـ ثم استثنى مـا يحل لـه النظر من النساء بغير شهوة ولا خوف فتنة فقال:

إلاَّ الـوُجُوهَ وَالأكُـفَّ فَـإذَا   خَشَيْـتَ فِتْنَـةً فَلاَ ذَا وَ لاَ ذَا

أي (إلا) النظر إلى (الوجوه والأكف) فيحل فلا يمنـع النظـر إليـه مـن المـرأة الأجنبية ولكن اذا لم يخف بالنظر الفتنـة وإلا (فإذا خشيـت) أيها المكلف (فتنة)

1- سورة النور الآية : 30.

بذلك النظر (فلاذا) أي لا يحل لك النظر .لذا أي الوجه (ولاذا) أي ولا الأكف وكذا الحكم في المرأة .ويحرم عليها كشف شيء من جسدها بحضرة الرجال الأجانب سوى الوجه والكفين .وهذا إذا كانت غير فائقة في الجمال .ولم تخش فتنة الرجال بها .والا فيجب عليها ستر وجهها ولو محرمة بحج أو عمرة .كما قال الشيخ ابن عاشر لا لستر ثم أشار إلى ما يجوز للرجل من النظر إلى محرمه غير الزوجة فقال :

وَجَازَ لِلرَّجُلِ مِنْ مَحْرَمِهِ نَظَرُ الأَطْرَافِ فَقَطْ بِطَرْفِهِ

أي (وجاز للرجل) غير الأجنبي وهو المحرم أن يرى (من محرمه) أي من النساء المحارم أي الاتي يحرم عليه نكاحهن .كالأخوات من النسب والرضاع والعمات والخالات.والجدات.وبنات الأخ وبنات الأخوات. إلى غير ذلك مما ذكر في القرآن الكريم والأحاديث النبوية. (نظر الاطراف فقط) كالرأس واليدين والرجلين فقط أي فحسب (بطرفه) أي بعينيه. وهو مفهوم بالأحروية إذ النظر لا يكون إلا بالعين فما هو إلا تتميم للبيت. اهـ ثم شرع يتكلم على حرمة النظر إلى الأمرد على وجه اللذة. فقال:

وَنَظَرُ الشَّهْوَةِ لِلمُرْدِ مُنِعْ لَاسِيَمَا بِقَطْرِ الأَعْجَامِ اسْتَمِعْ

أي يحرم النظر الى الأمرد بشهوة. وهو الذي لم تنبت له لحية (منع) أي حَرُم. وانه أي النظر إلى الأمرد بشهوة أشد وأعظم فتنة من النظر إلى النساء. ففي فتح الرحيم الرحمان ما نصه ـ والذي تحصل من كلام النووي والرافعي بعد اختلافهما. أنه يحرم النظر إلى الأمرد بشهوة وإن كان غير حسن بالإجماع. ولو إنتفت الشهوة وخيفة الفتنة يحرم النظر أيضا. قال ابن الصلاح ليس المراد بخوف غلبة الظن بوقوعها إذ يكفي أن لا يكون ذلك نادرا. وكذا يحرم النظر إلى الأمرد بلا شهوة عند النووي رحمه الله تعالى لأنه مظنة الفتنة فهو كالمرأة بل هو أشد إثما من المرأة الأجنبية لعدم حله بحال وكذا يحرم اللمس للأمرد وإن حل النظر لأنه

أفحش. وكذا الخلوة به إن حرم النظر فإنها أفحش وأقرب إلى المفسدة. والمعتمد من مذهب الشافعي رضي الله عنه الذي قال الرافعي وهو أن النظر إلى الأمرد لا يحرم إلا بشهوة. هذا هو المعتمد والمفتى به والذي قال الإمام النووي رحمه الله تعالى من اختيارته سدا للباب في ذلك الزمان. وأما زماننا هذا فقد كثر فيه الفساد كما هو ظاهر لكل أحد نسأل الله السلامة والعافية مما يوجب عقابه. وضابط الشهوة المحرمة كما قال الإمام السبكي ان ينظر إلى الوجه الجميل فيلتذ بذلك الجمال فهو النظر بشهوة وهو حرام باجماع. قال وليس المراد أن يشتهي زيادة على ذلك من الوقوع ومقدماته. فإن ذلك ليس بشرط بل زيادة في الفسق. قال وكثير من الناس لا يقدمون على الفاحشة ويقتصرون على مجرد النظر والمحبة ويعتقدون أنهم سالمون من الإثم وليسوا من السالمين اهـ منه اهـ وقول الناظم (لاسيما بقطر الأعجام) أي لأنهم يتساهلون في اللواط ويعتادونه. فالفتنة إذا بقطرهم أشد لسهول هذه الفاحشة ولعدم من ينهى عنها أو يُعَيِّرُ بها. (فاسمع) أيها الطالب سماع حضور وتفهّم تفهم يقظة وسل الله العصمة والتوفيق.

ثم قال مشيرا إلى حكم نظر الطبيب إلى النساء:

وَجَازَ لِلْطَبِيبِ أَنْ يَنْظُرَ مَا غَلُظَ مِنْ عَوْرَتِهِنَّ فَافْهَمَا

أي يجوز (للطبيب ان ينظر) محل الداء من جسد النّساء عند الفحص و لو في العورة المغلظة .ابن أبي زيد إلا لعذر من شهادة عليها و نحوه كالخاطب والطبيب فيجوز ولو كان في العورة اهـ بخ

وقوله (فافهما) تتميم للبيت ومعناه تفطن . اهـ ثم قال :

وَجَازَ لِلْشَّاهِدِ فِي الإِشْهَادِ نَظَرُ شَابَةٍ بِذَاكَ النَّادِ

أَعْنِي بِهِ الوَجْهِ لِكَيْ يَسْتَثْبِتَا صِفَتَهَا عَلَى الذِي قَدْ ثَبَتَا

أي ويجوز (للشاهد) إن طولب بالإشهاد على المرأة لشهادة وجبت عليها أو النكاح أن ينظر إلى وجهها ولو شابة وهذا معنى قوله (أعني به الوجه) وذلك

(لكي يستثبتا صفتها) ثبوتا (على) الوصف (الذي) كان (قد ثبتا) عنده من قبل و إلى هذا أشار شيخنا خليل بقوله وإن قالوا أشهدتنا منتقبة وكذلك نعرفها قلدوا وعليهم إخراجها إن قيل لهم عيّنوها اهـ وأما قوله (بذاك النادي) فمعناه أنه يجوز للشاهد النظر إلى وجه المرأة للإشهاد عليها لكن بمحضر النساء أو محارم من الرجال . أما النظر إليها بخلوة فلا يجوز بحال اهـ ثم قال مشيرا إلى أن النظر إليهن لايكون إلا بإذن

وَلاَ يَجُـــوزُ نَظَـــرُ الأَيْمَـاتِ   أَوْ غَيْـــرِهَا إِلاَ بِـإِذْنٍ يَـــاتِ

أي (ولا يجوز) النظر إلى (الأيمات) أي النساء الخاليات من الأزواج . (أو غيرها) أي أو غير الأيمات من ذوات الأزواج أو ممن لم تتزوج (إلا بإذن يات) أي من قبل القاضي مثلا للإشهاد عليها أو ليمين تعين عليها . أو لإقرار أو إنكار طلب منها . أو من قبل الزوج أو الأب مثلا . لكن بشرط عدم الخلوة بها بل لا بد من حضور من النساء أو المحارم أو منهما اهـ ثم شرع يتكلم على آفات النظر إلى الحرام فقال :

فصل في آفات النظر إلى الحرام

أي ما يصيب الناظر إلى ما حرم الله من العقوبات العاجلة والآجلة فقال مشيرا لبعضها رحمه الله:

آفَـاتُـهُ العَمَـى وَمَـلأُ القَلْـبِ   بِالشَّهَوَاتِ المُجْلِبَاتِ السَّبِّ

أي و من آفاته أي النظر إلى الحرام (العمى) أي عمى القلب . وهذا مقتبس من قوله تعالى ﴿ **فإنها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ (1) وإذا عمي القلب قسى وإذا قسى لم تؤثر فيه الموعظة كما قيل:

إذا قسى القلب لم تنفعه موعظة   كالأرض إن سبخت لم ينفعها المطر

---

1 - سورة الحج الآية : 46.

(وملأ القلوب بالشهوات) صادر عن ذلك العمى لأن القلب إذا طمس استولت عليه الشهوات .وعمته الظلمات. وتلك الشهوات مجلبات للسب ولا شك .و السب هنا معناه البعد و الطرد اهـ.

ثم بين بعض تلك الشهوات المجلبات لذلك فقال:

كَمْ نَظْرَةٍ شَقِيَ نَاظِرٌ بِهَا وَنَزَلَ الغَضَبُ مِنْ سَبَبِهَا

(كم) تكثيرة أي كثير من (نظرة شقي) بها ناظرها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العينان تزنيان و زناهما النظر)رواه مسلم وغيره . ووقع الإجماع على أن النظر أعظم الجوارح آفة على القلب و أسرع الأمور في خراب الدين والدنيا . ومن كلام الحكماء من أرسل طرفه اقتنص حتفه . ومن كثرت لحظاته دامت حسراته . وقال الشاعر :

وإنك إن أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وقال الشافعي :

تمتعتما ياناظري بنظرة وأوردتما قلبي أشر الموارد

أعيني كفا عن فؤادي فإنه من البغي سعي اثنين في قتل واحد

و قال آخر :

نظر العيون إلى العيون هو الذي جعل الهلاك إلى الفؤاد سبيلا

كما في ابن حمدون . وقوله (ونزل الغضب من سببها) أي من سبب تلك النظرة إلى ما لا يحل النظر إليه حيث تعدى حدود الله وخالف أمره وهو قوله تعالى ﴿ **قل للمومنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ (1) أي عما لا يحل النظر إليه مطلقا أما الشيخ ميارة فخصصه بالنظر إلى النساء و الصبيان على وجه الإلتذاذ . لدى قول الشيخ ابن عاشر . يغض عينيه عن المحارم . قال الشيخ ميارة فيجب

---

1 - سورة النور الآية :30.

غض البصر عما لا يحل النظر اليه من النساء والصبيان على وجه الإلتذاذ . قال ابن حمدون ـ تنبيه ـ ذكر في .ك. أن من في قوله تعالى (من أبصارهم) للتبعيض قال ليبقى جواز النظر إلى الزوجات ونحوهن إذ لو قال يغضوا أبصارهم للزم غض البصر مطلقا و إلاظهر أنها للجنس وآية (إلا على أزواجهم)مخصصة لها اهـ ثم أشار إلى ما يؤدي إليه النظر أيضا فقال :

كَـمْ نَظرَةٍ قَـدْ خَلَّدَتْ فِي النَّارِ بِسَبَـبٍ وَ اِسْتَبْعَـدَتْ فِـي الدَّارِ

أي (كم) من (نظرة) كانت سببا لخلود صاحبها (في النار) بأن وقع بسببها في الكفر و العياذ با لله كما وقع لمن سبقت عليه الشقاوة . حيث نظر إلى بنت ملك من الملوك أي ملوك الكفار وافتتن بها فخطبها من أبيها فشرطت عليه الردة إلى دينها .ولبس الزنار .ورعي الخنازير .ورضي بذلك كله و قلد دين الكفر ثم تزوج بها وانسلخ من دين الإسلام والعياذ با لله وبقي على ذلك حتى مات كافرا كما ذكر الحكاية بتمامها سيدي يوسف النبهاني في كتابه .جامع كرامات الأولياء اهـ ثم قال :

يَـا نَـاظِرًا اِنْ كُنْتَ تُرْسِلُ الْبَصَرْ جَـرَّكَ لِلْمَنْظـورِ ذَلِـكَ النَّظَـرْ

أي أيها الناظر لما لايحل لك النظر إليه (إن كنت ترسل البصر) أي تتابع النظرة بعد النظرة (جرك) أي قادك (للمنظور) إليه (ذلك النظر) وذلك حيث يشتعل القلب نارا ويحترق بها فيموت .كما تقدم من كلام بعض الحكماء .من أرسل طرفه اقتنص حتفه الخ ثم قال :

وَحَصَـلَ الْعِشْـقُ مَـعَ الإِذْلاَلِ وَ الْهَـمُّ وَالغَـمُّ مَـعَ الإِضْـلاَلِ

أي (و) إذا مات القلب (حصل العشق) إلى ذاك الشيئ المنظور إليه المحرم شرعا ويكون (مع الإذلال) أي التذلل و التملق للمنظور إليه أو في طلبه والأسباب التي توصل إليه. (و) أي ومع (الهم) أي الإهتمام بالوصول إلى الشيئ المعشوق (و) أي و إذا زاد الهم وكثر يحصل (الغم) أي الكمد والحسرة و هو أعلى من

الهم فلذا قال (مع الإضلال) أي عن المنهج السوي حيث اشتدت الحسرة والكمد وغشيت القلب الظلمة و صار تابعا لهوى النفس الأمارة بالسوء فيحصل الإضلال عن الطريق ولا شك . كما قيل:

وطريق الله واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمت فأعمت اهـ

ثم قال منبها على ما يجر إليه النظر أيضا من المضار:

وَكَمْ تَرَى مَالاَ تَكُونُ قَادِرًا عَلَيْهِ فَانْهَدَمْتَ مِنْهُ سَادِرًا

يشير رحمه الله بهذا إلى قول القائل المتقدم .وإنك إن أرسلت طرفك رائدا. البيتين وقوله (فانهدمت منه) أي انهزمت أي تهدمت منك عرى الصبر بتلك الهموم والغموم التي أصابتك ونزلت بك من ذاك العشق الذي جره إليك النظر (سادرا) أي فاترا ساقطا حيث لم تصل إلى مرغوبك .إذ كل من لم يصل إلى ما أراد فهو ساقط على حد قوله تعالى ﴿ **ولما سقط في أيديهم** ﴾ (1) الآية والله سبحانه وتعالى أعلم اهـ ثم قال محذرا :

وَحَذِّرُوا النَّظَرَ بِالْعُيُونِ حَتَى إِلَى الْمُبَاحِ ذِي الْفُتُونِ

أي الصوفية من (النظر بالعيون حتى إلى المباح) وقاية وخوفا من شغل القلب وافتتانه بما يجره النظر إليه من الهم والغم ولذا قال (من ذي الفتون) يشير بهذا و الله أعلم إلى قول الله تعالى ﴿ **و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه** ﴾ (2) سورة طه الآية رقم 131 زهرة الحياة الدنيا .زينتها وبهجتها (لنفتنهم فيه) بأن يطغوا قاله ذو الجلالين .الصاوي .

(بأن يطغوا) الباء سببية أي نفتنهم بسبب طغيانهم فيه اهـ ثم قال:

لأَنَّهُ بَابٌ إِلَى الْقَلْبِ كَبِيرْ فَالأَمْنِ لِلْقَلْبِ بِذَلِكَ يَصِيرْ

---

1 - سورة الأعراف الآية : 149. 2 - سورة طه الآية:131.

(لأنه) أي النظر (باب) أي منفذ (إلى القلب كبير) أي عظيم يكفينا في عظم المصيبة التي تصيب القلب منه قوله (آفاته العمى الخ ما تقدم (فالأمن للقلب) من الفتن والآفات المذكورة (بذلك) أي بكف النظر (يصير) أي يحصل ثم قال:

وَمِنْهُ لِلْقَوَالِبِ الظَّوَاهِرْ بِالغَضِّ مِنْكَ تُدْرِكُ الجَوَاهِرْ

(ومنه) أي من الأمن (للقوالب الظواهر) أي الجوارح الظاهرة يحصل لك الامن (بالغض منك) أي بغض بصرك عما ذكر وإذا حصل منك الغض للبصر وسلم القلب من سهم لحظات بصرك (تدرك الجواهر) أي الأسرار الربانية . والمعاني الصمدانية لصفاء مرآة القلب وحياته و يرحم ا لله سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي إذ قال في نصيحته :

واعلم بأن كدر الذنوب يكسف نور العلم في القلوب
ألا ترى الذبال في المصباح إذا صفا أرضاك في إصباح
وإن يكن بوسخ ملطخا كسف نوره لذاك اللطخا اهـ

ثم أكد ذلك بقوله:

وَمَنْ أَرَادَ الحِفْظَ لِلأَسْرَارِ فَلْيُمْسِكْن شَرَائِدَ الأَبْصَارِ

فهذا البيت كالشاهد والدليل لما قبله . و المعنى أن من أمسك أي غض بصره عن (شرائد) . أي لحظات (الأبصار) خفظت عليه الأسرار الربانية حيث لم يجلب لقلبه حتفا و لاعمى اهـ ثم استشهد على ما ذكر بما قص ا لله تبارك وتعالى في سورة طه. وفي النور فقال :

بِطَهَ زَاجِرٌ وَفِي النُّورِ كَفَى فَقُلْ أَصَاحِ حَسْبِي رَبِّي وَكَفَى

أراد بقوله وا لله أعلم (بطه زاجر) قوله تعالى ﴿ **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى** ﴾ (1) وقوله في سورة النور ﴿ **قل للمومنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ (2) الآية. فكفى ما ورد في الآيتين من

1- سورة طه الآية : 124.   2 - سورة النور الآية : 30.

كف النّظر أي الزجر عن كف البصر عما حرم الله (فقل أصاح) أي يا صاحي فصاحي منادى مرخم (حسبي) أي كافني (ربّي) خالقي ومعبودي (وكفى) به تعالى كاف وحافظ وكفيل اهـ ولما أنهى الكلام على آفات النظر شرع يتكلم على آفات اللسان فقال :

فصل في كف اللسان عن الغيبة

أي هذا (فصل في) حكم (كف اللسان عن الغيبة) . التي هي ذكرك أخاك بما يكره أن لو سمعه وأما ذكرك له بما ليس فيه فبهتان وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (**أتدرون ما الغيبة)** قالوا الله ورسوله أعلم قال : (**ذكرك أخاك بما يكره**) قيل أرأيت إن كان فيه ما نقول قال (**إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته**) . أي قلت فيه البهتان والباطل . ولافرق في أي بين الذكر اللساني وما يقوم مقامه في التفهيم كالإشارة والإيماء و الغمز و الرمز والكتابة والمحاكاة وهي على أنواع كما في النصيحة . مما يطول جلبه . وهي محرمة بالكتاب والسنة والإجماع كما في ك ونقل القرطبي في تفسيره الإجماع على أنها من الكبائر. وفي الحديث أنها أشد من ثلاثين زنية في الاسلام . ويستثنى مواضع تباح فيها أنهاها في المدخل إلى خمسة عشر ومرجعها إلى سبعة جمعها القاضي ابن حجر الشافعي في بيت ووطأ له أبو العباس ابن القاضي ببيتين ءاخرين فقال:

ألا ان اغتياب الناس ظلم عظيم الوصف من أدنى المناكر
تجنب غيبة إلا حُرُوفًا ببيت جاء عن بعض الأكابر
تظلم واستعن واستفت حذر وعرف بدعة فسق المجاهر

اهـ قاله ابن حمدون

ثم قال :

كَفُّ الّلسَانِ وَاجِبٌ عَنِ اغْتِيَابْ كَذَا سَمَاعِ غَيْبَةٍ بِلاَ ارْتِيَابْ

أي يجب (كف اللسان) عن الغيبة لما تقدم من أنها محرمة كتابا وسنة وإجماعا . ولما ورد من الوعيد في الأحاديث والأخبار فمن ذلك ما ورد عن أبي سعيد الخدري أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال (**ليلة أسري بي مررت في السماء الدنيا بقوم يقطعون اللحم من جنوبهم ثم يلقمونه فيقال لهم كلوا ما كنتم تاكلون من لحوم إخوانكم قلت يا جبريل من هؤلاء قال الهمازون من أمتك اللمازون يعني المغتابين**) اهـ و من ذلك ما روي عن كعب الأحبار أنه قال قرأت في بعض الكتب أن من مات تائبا من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها كان أول من يدخل النار . وروي عن حاتم الزاهد أنه قال: ثلاثة إذا كن في المجلس فالرحمة عنهم مصروفة .ذكر الدنيا .والضحك .والوقيعة في الناس اهـ بخ من فتح الرحيم الرحمان .اهـ (كذا سماع غيبة) أي كما يجب كف اللسان عن الغيبة يجب كف السمع عنها كذلك (بلا ارتياب) أي بلاشك . والأصل في ذلك قوله تعالى ﴿**إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾ (1) وقوله صلى الله عليه وسلم (**مستمع الغيبة أحد المغتابين**) . فالمستمع شريك القائل وعقده من قال :

وسمعك صن عن سماع القبيح   كصون اللسان عن النطق به
فإنك عند سماع القبيح   شريك لقائله فانتبه

قال ابن حمدون وهو مقيد بقيدين . الأول أن يكون متعمدا للسماع فإذا لم يتعمد فلا إثم عليه ولكن هذا إذا سمعه وألقاه وأعرض عنه كالنظرة الأولى . أما إذا سمعه وتمادى على سماعه فهو مأثوم والأصل في ذلك قوله تعالى ﴿ **وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه** ﴾ (2) الثاني أن يكون راضيا بقوله أو متمكنا من النكير و لم يفعل قاله زروق في شرح الوغليسية وبهذا التقييد يجمع بين هذا الحديث وقول

1- سورة الإسراء الآية : 36.   2- سورة القصص الآية : 55.

مالك ليحيى إذا كنت في قوم فكن أصمتهم فإن أصابوا أصبت معهم وإن أخطأوا سلمت من خطئهم يحمل قول مالك على ما إذا كان لا يقدر على تغييره ولا عن القيام اهـ ثم استثنى من ذلك المجاهر بالمعاصي من غير حياء من الله ولا من الناس فقال :

إلاَّ لِمَـنْ جَـاهَرَ بِـالعِصْيَـانِ وَلَـمْ يَخَـفْ عُقُوبَـةَ الرَّحْمَـانِ

(إلا) حرف استثناء (لمن) أي في حق الذي (جاهر بالعصيان) فلا محذور في غيبته ولا في سماعها يشير بهذا إلى قول النبيّ صلى الله عليه وسلم (**لا غيبة في فاسق**). وقوله صلى الله عليه وسلم (**بيس أخو العشيرة**) اهـ وقوله (ولم يخف عقوبة الرحمان) أي لم يستح من خالق ولا مخلوق في ارتكاب المعاصي و الجهر بذلك و لم يخف الحدود في الدنيا أو الموت وهو مصر على المعاصي. ففي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم (**آيات من المجانة أن يعمل الرجل أو يعصي الرجل معصية بالليل فيستره الله ويصبح يفضح نفسه**) أو كما قال. وقال صلى الله عليه وسلم (**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**) اهـ أوتجوز كذلك في مواضع أخرى أشار لها فقال :

وجَـازَتِ الْغَيْبَـةُ فِي نُصْحٍ وَجَبْ خَوْفَ اغْتِيَالِ مُسْلِمٍ مِن كَيْدِ خَبْ

أي و تجوز (الغيبة في نصح وجب) وهذا هو المشار إليه في الأبيات الماضية بقول القائل (حذر) (خوف اغتيال مسلم) أي ظلم (من كيد) أي مكر عدو أو حاسد (خب) أي خداع .

ففي المصباح الخب بالكسر الخداع.وفعله (خب خبا) من باب قتل (ورجل خب) تسمية بالمصدر اهـ منه

ثم أشار إلى ما تكفر به الغيبة فقال :

وَ قَـالَ مَـنْ أَعْلَـى الإِلَهُ كَعْبَهُ مِـنَ الأَئِـمَّةِ وَ خَـافَ رَبَّـهُ
كَفَّـارَةُ الغَيْبَـةِ أن تَسْتَغْفِـرَا لِمَن قَـدَ اغْتَبْـتَ فَكُنْ مُسْتَغْفِرَا

أشار رحمه الله بقوله (من أعلى الإله كعبه) إلى سيدنا الحسن بن علي (من) أي الذي أعلى الله كعبه أي رفعه إلى المرتبة القصوى (من الأئمة) أي أئمة الدين الذين هم العلماء العاملون و الأمراء العادلون (وخاف ربه) أي اتقاه . فكيف لايكون كما قال المصنف و هو الذي قال فيه جده سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم (**إبني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**) وحقق الله ذلك الرجاء وكان كما قال صلى الله عليه وسلم . فصالح سيدنا معاوية رضي الله عنهما ونزل عن الخلافة لا عن ضعف . بل رغبة فيما عند الله و صيانة لسفك دماء المسلمين فعوضه الله تبارك وتعالى عن الخلافة الظاهرة الخلافة الباطنة و أبقاها في ذريته إلى يوم القيامة . فالقطب الجامع لايكون إلا من ذريته . هكذا سمعنا من شيخنا سيدي الحاج محمد بن سيدي الكبير أطال الله عمره لنفع المسلمين آمين . ولهذا يشير الناظم بقوله أعلى الله كعبه ." **فتنبه** "

(كفارة الغيبة أن تستغفرا . لمن قد اغتبت) هذا قول جماعة و اختيارهم مستندين فيه إلى ما ورد عن الحسن كما في الصاوي لدى قول الله تعالى ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضا**﴾ (1) ونص ما قال اعلم أن الغيبة ثلاثة أوجه في كتاب الله تعالى . الغيبة . والإفك . و البهتان . فأما الغيبة فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الافك فهوأن تقول فيه ما بلغك عنه . و أماالبهتان فهو أن تقول فيه ما ليس فيه . و قيل أن كلا يطلق على كلٍ و هو المشهور (واعلم) ان هذه الامور المتقدم ذكرها كبائر تحتاج لتوبة. وهل تفتقر لاستحلال المغتاب أولا . فقال جماعة ليس عليه استحلال بل يكفيه التوبة بينه و بين الله. لأن المظلمة ما تكون في النفس والمال و لم يأخذ من ماله و لا أصاب من بدنه ما ينقصه . وقال جماعة يجب عليه أن يستغفر لصاحبها . لما ورد عن الحسن . كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته و قال جماعة عليه الاستحلال منها و لو إجمالا اهـ منه و قوله

1- سورة الحجرات الآية : 12.

(فكن مستغفرا) أي كن أيها المغتاب حال كونك مستغفرا لنفسك و لمن اغتبته مقلدا لقول سيدنا الحسن . فهذا هو اختيار الناظم من الأقوال الثلاثة . و الله أعلم اهـ

و لما أنهى الكلام عن الغيبة شرع يتكلم عن النميمة فقال:

فصل في كف اللسان عن النميمة

أي يجب كف اللسان عن النميمة المحرمة كتابا و سنة و إجماعا.أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ **ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم** ﴾ (1) و السنّة قوله صلى الله عليه وسلم : (**أشد الناس عذابا يوم القيامة المشاؤون بالنميمة والقاطعون بين الإخوان**) و قوله صلى الله عليه وسلم (**لايدخل الجنة نمام**) والإجماع على تحريمها . لأنها تؤدي إلى التدابر و التقاطع المنهي عنهما. ثم قال :

كُفَّ لِسَانَكَ عَنِ النَّمِيمَةْ وَعَنْ سَمَاعِ هَذِهِ الذَّمِيمَةْ

(كف) أي أمسك أيها المؤمن (لسانك عن النميمة)التي هي نقل الكلام و لو كتابة أو إشارة عن المتكلم به إلى غيره على وجه الإفساد. وهي أشد من الغيبة كما قال الجزولي لأن فيها الغيبة و النميمة و التقاطع وأما نقل الكلام على غير وجه الإفساد لمصلحة شرعية فمستحب أو واجب كمن اطلع على شخص يريد إذاية شخص آخر ظلما فحذر منه اهـ .

و تباح النميمة لتفريق كلمة الكفار و الفساق وقد تطلق النميمة على ما يشمل إفشاء السر . و السعاية أي الإدلاء بالناس إلى الظلمة و بما يشملهما عرفها في الإحياء فقال هي كشف ما يكره كشفه.و قد بحث عن النمام الساعي فلم يوجد إلا ولد زنا و يؤيده تفسير زنيم في الآية بولد الزنا .وقوله صلى الله عليه وسلم: (**لايسعى على الناس إلا ولد بغي و إلا من فيه عرق منه**) رواه الطبراني

ـ تنبيه ـ من عرف بالنميمة يحرم السماع منه إلافيما تباح فيه و من لم يعرف بها حل و يجب على السامع ستة أشياء كما في الإحياء نقل في ك منها خمسة أن لا

1- سورة القلم الآيتان : 10، 11.

يصدق الناقل . لأنه مردود الشهادة لقوله ﴿ **فتبيّنوا** ﴾ (1) و قرئ فتتبثوا فلا يحل لمسلم السماع منه لفسقه إلا بعد التثبت . و أن ينهاه عن ذلك لأنه من باب النهي عن المنكر لقوله تعالى : ﴿**وامر بالمعروف وانه عن المنكر** ﴾ (2)و أن يبغضه في ا لله لأن ا لله يبغض النمام.

و الحب في ا لله والبغض في ا لله من الإيمان وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقوله تعالى: ﴿ **اجتنبوا كثيرا من الظن** ﴾ (3) و أن لا يفحص عن حقيقة ما قاله لأنه تجسّس و قد قال تعالى: ﴿ **و لا تجسّسوا**﴾ (4) وأن لا يعاتب على ذلك القول المنقول عنه.ولا يخبر أحدا بقوله لأنه نميمة.وبهذا تعلم أن ليس في السماع من النمام إلا الضرر على أن من نم إليك نم عليك و عقده من قال:

عمن ينم القول صن   إن كنت ممن يعقل

كما غدا ينقل عن   غيرك عنك ينقل

و أيضا الشاتم لك حقيقة هو القائل لك و لله در القائل

من يخبرك بشتم عن أخ   فهو الشاتم لا من شتمك

ذاك شيء لم يواجهك به   إنما اللوم على من أعلمك

اهـ ابن حمدون

ولهذا قال النّاظم رحمه الله:

فَشَرُّ مَا تُقِلُّهُ الْغَبْرَاءُ   سَاعٍ بِهِ تَضْطَرِمُ الْبَغْضَاءُ

أخبر رضي ا لله عنه بأن شر أي أقبح و أشنع ما تظله السماء و(تقله) أي تحمله (الغبراء) أي الأرض (ساع) أي نمام يسعى بين المؤمنين بالإفساد و التقاطع. و هذا مقتبس من الحديث المتقدم و هو قوله صلى ا لله عليه و سلم (**أشد الناس عذابا يوم القيامة..**) الخ (به) أي بسعيه (تضطرم)أي تشتعل (نار البغضاء) أي

1- سورة الحجرات الآية : 6.   2- سورة لقمان الآية : 17.

3- سورة الحجرات الآية : 12.   4- سورة الحجرات الآية: 12.

العداوة اهـ ثم قال :

لأنَّهُ يُفْسِدُ فِي وَقْتٍ قَصِيرْ   خَيْـرًا كَثِيرًا بِلِسَانِهِ الحَقِيرْ

هذا البيت كالدليل لما قبله أي فهـو شر مـا تقلـه الغبراء (لأنـه) أي النمـام (يفسد في وقت قصير خيرا كثيرا) وهو مـا كـان مـن المـودة والوئـام و المحبـة بـين المتحابين أو الأخوين أو الزوجين. أو ذوي الأرحـام (بلسـانه الحقـير) أي الذميـم. فقوله الحقير صفة أو نعت للنمام أو اللّسان أو هما معا اهـ

(حكاية) تناسب المحل .روي عن حماد بن سلمة أنه قال باع رجل من رجل غلاما فقال للمشتري ليس فيه عيب إلا أنه نمام فاستخف المشـتري بهـذا العيـب و اشتراه على ذلك العيب فمكث الغلام عنده أياما ثم قال لزوجة مـولاه إن زوجـك لا يحبك و هو يريد أن يتسرى عليك يعـني يريـد أن يشـتري جاريـة أفـتر يديـن أن يعطف عليك زوجك قالت نعم قال لها خذي هذا الموسى و احلقـي شـعرات مـن باطن لحيته إذا نام. ثم جاء الغلام إلى الزوج فقال له إن امرأتك تخادنت أي اتخذت خليلا وهي قاتلتك أتريد أن يتبين لك ذلك قال نعم قال فتناوم لهـا ففعـل الرجـل فجاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعر فظن الزوج أنها تريد قتله فـأخذ منهـا الموسـى فقتلها به فجاء أولياؤها فقتلوه فجاء أولياء الرجل ووقع القتـال بـين الفريقـين اهـ كما في فتح الرحيم الرحمان و قال يحي بـن أكتـم : النمـام شـر مـن السـاحر لأن النمام يعمل في ساعة ما لا يعمله الساحر في شهر وبهذا تعلـم قـول النـاظم (لأنـه يفسد في وقت قصير) . البيت اهـ

ثم أشار إلى أن السامع للنمام مشارك له في الذم و الإفساد فقال:

مَـا قَائِلُ السِّعَايَةِ المَذْمُومَهْ   أَقْبَـحُ مِنْ قَابِلِهَا فِي السَّوْمَهْ

(ما) نافية حجازية تعمل عمل ليس أي ليـس السـاعي بالنميمـة (المذمومـهْ) أي المذموم فاعلها. بـ (أقبح من قابلها) أي سامعها سمـاع قبـول (في السـومة) بـل هما على حد سواء في ابتياع هذه الفعلة القبيحة وهـذا البيـت استشـهد بـه على الشطر الأخير من البيت الأول . وهو قوله وعن سماع هذه الذميمة اهـ

ثم قال مشيرا إلى أن الصدق محمود إلا من النّمام فقال:

فَالصِّدْقُ مَحْمُودٌ سِوَى مِنَ السُّعَاةْ فَهُمْ بِمَا يَسْتَتِرُ النَّـاسُ عُرَاةْ

أخبر رحمه الله بأن (الصدق محمود) فاعله لأن الصادق ممتثل أمر الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾ و بالصدق تاب تبارك وتعالى على كعب بن مالك و صاحبيه ﴿ **لقد تاب الله على النبيء** ﴾ (1) إلى قوله : ﴿**وعلى الثلاثة الذين خلفوا** ﴾ (2) الآية وقوله صلى الله عليه وسلم في معرض المدح (**لايزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا**) وفي هذا غاية المدح . ولايذم الصدق في شيء (سوى)حرف استثناء أي إلا (من السعاةْ) أي الساعين بالنميمة. فقد علمت مما تقدم أن الله تعالى سمى النمام فاسقا فتنبه فإنه و إن كان صادقا فيما نقله على وجه الإفساد فهو فاسق والفاسق لا يجوز تصديقه . ولذا قال الناظم (فهم بمالايستتر الناس عراةْ) أي فالسعاة بالنميمة عراة من الستر الذي يستتر الناس به يوم القيامة . الموعود بقول النبي صلى الله عليه و سلم (**من ستر عورة مسلم ستر الله عورته يوم القيامة**) أو كما قال. و قال صلى الله عليه و سلم وعيدا و زجرا لمثل هذا (**من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته فيفضحه و لو في جوف بيته**) اهـ و جاء: لاتظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله و يبتليك و قال الشاعر:

لاتلتمس من مساوئ الناس ما ستروا فيهتك الله سترا عن مساويكا
اذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

قال آخر:

إذا شئت أن تحيا و دينك سالم وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لاتذكر به عورة امرئ فعندك عورات و للناس أعين

1- سورة التوبة الآية : 119 2- سورة التوبة الآيتان (117 ، 118)

وإن أبصرت عيناك عيبا فقل لها أيا عين لي عيب وللناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ودافع ولكن بالتي هي أحسن

و في المثل يرى أحدهم القذى في عين غيره ولايرى الجذع في عين نفسه و لله در القائل :

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيه

فلا خير فيمن لا يرى عيب نفسه ولكن يرى العيب الذي بأخيه اهـ

و لما أنهى الكلام عن النميمة شرع يتكلم على كف اللسان عن شهادة الزور فقال:

فصل في كف اللسان عن شهادة الزور

و هي أي شهادة الزور أن يشهد بما لم يعلم عمدا ولو طابقت الواقع قاله الآبي .

شَهَادَةُ الزُّورِ مِنَ الكَبَائِرْ وَمُوجِبَاتِ السُّخْطِ وَ الْفَوَاقِرْ

أخبر رحمه الله بأن (شهادة الزور من الكبائر) وهي كذلك بل من أكبر الكبائر . ويكفي في قبحها أن الله تبارك و تعالى ذكرها في التنزيل مقرونة بالشرك فقال تعالى ﴿**فاجتنبوا الرّجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور**﴾ (1) وهو حرام بالكتاب والسنة و الإجماع .اما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ **والذين لا يشهدون الزور** ﴾ (2) ﴿ **وانهم ليقولون منكرا من القول وزورًا** ﴾ (3) والسنة قوله صلى الله عليه و سلم (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قالوا بلى يا رسول الله . قال الإشراك با لله وعقوق الوالدين . و شهادة الزور أوقول الزور**)وأجمعت الأمة على تحريمه اهـ كما نقله الشيخ ميارة في الكبير . و في الحديث (**من شهد زورا علق من لسانه يوم القيامة**) ففيه الجزاء من جنس العمل اهـ (و) أي وشهادة الزور (موجبات السخط) منة الله تبارك و تعالى لشاهدها و السخط هو الغضب

1- سورة الحج الآية : 30. 2- سورة الفرقان الآية: 72. 3- سورة المجادلة الآية : 02.

والغضب يوجب للمغضوب عليه العقوبة في دارالبوار وذلك العقاب هو الذي أشار له صلى الله عليه و سلم في الحديث المذكور . نعوذ با لله من سخطه و غضبه و أنها موجبات (الفواقر) أي الدواهي جمع داهية . قال تعالى ﴿ **وجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة** ﴾ (1) أي داهية عظيمة تكسر فقار الظهر .قاله ذوالجلالين اهـ.

لأَنَّهَا قَدْ جَمَعَتْ كَبِيرَتَيْنْ ظُلْمًا وَ مَيْنًا نِقْمَةً فِي الدَّارَيْنْ

ثم قال:

أي وذلك أي السخط الذي أوجبته لشاهدها (لأنها قد جمعت) أي اشتملت على(كبيرتين) إحداهما (ظلما) والظلم وضع الشيء في غير محله كما هو المعلوم بالضرورة . وشاهد الزور حيث شهد بما لم يعلم فقد وضع الإشهاد في غير محله .وهذا معنى قوله ظلما وقوله وهو الكبيرة الثانية (مينا) أي كذبا .وهي أي شهادة الزور (نقمة) أي على شاهدها (في الدارين) أي الدنيا والاخرة اهـ و ا لله اعلم ثم قال :

كَبَّـرَ إِثْمَهَا النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَشَرَّفَا

أي أكد (إثمها) أي النهي عنها بجلوسه بعد أن كان متكئا و بقوله ألا وقول الزور وجعل يكررها كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم و الترمذي عن أبي بكرة رضي ا لله عنه وهو قوله صلى ا لله عليه وسلم (**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر** ثلاثا .**الإشراك با لله . وعقوق الوالدين وشهادة الزور أوقول الزور**) . وقال أبوبكرة وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت اهـ قال القرطبي وكانت شهادة الزور من أكبر الكبائر لأنه يتوصل بها إلى إتلاف النفس و المال وتحريم الحلال وعكسه وليس بعد الشرك وقتل النفس أعظم منها اهـ ابن حمدون.

1- سورة القيامة الآية: 24 ، 25.

ثم قال:

كَـذَاكَ فِـي الإِثْـمِ الذِي شُهِدَ لَهْ فَمَـنْ رَضِيَـهُ كَـأَنْ قَـدْ فَعَلَهْ

الكاف حرف تشبيه أي كذلك الذي شهد له شريك (في الإثـم) إذ لافـرق بين الشاهد والمشهود له حيث رضي المشهود له بذلك فهما في الـوزر سـواء كمـا قال (فمن رضيه كأن قد فعله) اهـ.

ثم لما أنهى الكلام عن كف اللسان عن شهادة الزورشرع يتكلم على كفـه عن الكذب فقال:

فصل في كف اللسان عن الكذب

الكذب هو الاخبار بالشيء بغير ما هو عليه وهـو محـرم باجمـاع في الجملـة قال تعالى ﴿ **ثم نبتهل فنجعل لعنة ا لله على الكاذبين**﴾ (1).وقال صلى ا لله عليـه وسلم (**آيـة المنافق ثلاث إذا حدث كـذب**) الحديـث.وقـال: (**وإيـاكم والكـذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجـور يهـدي إلى النـار ومـا يزال الرجـل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند ا لله كذابا**) اهـ كما في تنبيه الغـافلين.

وقد أخبر صلى ا لله عليه وسلم في رؤياه التي رءاها عن عقوبة الكذاب فقال :

(**فانطلقت معهما حتى أتينا على رجل مستلق على قفاه و إذا آخر قـائم عليه بكلوب من حديد فإذا هو يأتي أحد شق وجهه فيشق شدقه حتى يبلـغ إلى قفاه ومنخره ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ذلك فلا يفرغ منه حتى يصح الجانب الأول كما كان فيعـود اليـه فيفعـل بـه مثـل ذلـك. قـال: فقلـت سبحان ا لله ما هذا**) اهـ وكان الجواب عن هذا . (**وأمـا الـذي يشـق شـدقه إلى قفاه فإنه رجل يخرج من بيته فيكذب الكذبة فتبلغ الآفاق**) اهــ وعليـه فيجـب كف اللسان عن الكذب وإليه أشار بقوله (في كف اللسان) أي في وجوب كـف اللسان عن الكذب . ثم أشار إلى بعض آفاته فقال:

1- سورة آل عمران الآية: 61.

واعْلَمْ بِأَنَّ آفَةَ الْكَذِبِ لاَ تُحْصَى رزَايَاهَا التِي بِهَا البَلاَ

(اعلم) أيها الطالب أو المكلف أو المؤمن (بأن آفة) أي مضرة(الكذب لا تحصى رزاياها) . أي مراتبها (التي) يجلب (بها البلا) أي الإثم و الغضب و اللعنة لما علمت . فهو إذا من أعظم الكبائر .قال في شرح الوغليسية.وأعظم الكذب الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بمنام أو غيره لقوله عليه السلام: **(من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)** وقال بعض العلماء هذا يدل على أن من كذب عليه صلى الله عليه وسلم لا يموت مسلما .ثم الكذب لتضييع حق المسلمين و إذا يتهم كالكذب في ثمن السلعة لياخذ فوق معتادها .و السعي لظالم بغير حق . ثم الكذب على المنام قال عليه السلام من تحلم بما لم يره كلف أن يعقد يوم القيامة بين شعيرتين وليس بعاقد . وكذلك الكذب بالنسب لحديث من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام. وبعد هذا كله الكذب في حديث الناس وله مراتب لا تنحصرفليتتبعها من أرادها في كتب الأئمة . ومن قطع رأس الشجرة من أصلها بتركه جملة لايحتاج إلى تفصيل . وفي المعاريض مندوحة عنه .فقد كان بعضهم إذا طلب في داره يقول لأهله قل لهم أطلبوه في المسجد .وقال النخعي لمن بلغه عنه شيء وكره أن يكذب الله يعلم ما قلت موهما أن ما نافية. قال في النصيحة ولن يبلغ العبد حقيقة الصدق حتى يصدق حيث لا ينجيه إلا الكذب ولبعضهم :

عليك بالصدق ولو أنه أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى الله فأغبى الورى من أسخط الله و أرضى العبيد

وإنما قلنا في الجملة لأنه تعرض له الأحكام الخمسة باعتبار متعلقاتها قال في ك نقلا عن الجزولي يجب لإنقاذ نفس أو مال .ويجب عليه أن يحلف إذا طلب منه اليمين ولا يلزمه الطلاق إن حلف ولغز بأن نوى طلاق الدابة من وثاقها أو حجر من أعلى إلى أسفل.. واختلف إذا لم يلغز على قولين سببهما هل هو كالمكره فلا

يلزمه الطلاق .أم لا. فيلزمه . ويندب لتفريق كلمة الكفار . ويكره للزوجة .ويباح للإصلاح بين المسلمين .وقيل إنه في هذا مندوب. قال والعرض على الضيف من غير جد حرام لأنه أطعمه الحرام وكذب من غير منفعة اهـ قاله ابن حمدون اهـ ثم قال:

يَكْفِيكَ أَن قَدْ لُعِنَ الْكَذَّابُ ... بِلَعْنَةٍ نَصَّ بِهَا الكِتَابُ

أي (يكفيك) من آفات اللسان لعنة الكذاب الواردة في الكتاب أي القرءان في غير ما آية.

فمنها الآية السالفة الذكر وهي قوله تعالى: ﴿**ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ (1) ﴿**قتل الخراصون**﴾ (2) إلى غير ذلك ولذا قال:

فَهُوَ ذَمِيمٌ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ... وَالأَنْبِيَا وَالأَصْفِيَا وَالْمُرْسَلِينَ
وَالأَوْلِيَاءِ الأَتْقِيَا أَوْلِي السُّلُوكْ ... وَالحُكَمَا وَالرُّؤَسَاءِ وَالْمُلُوكْ

أي من أجل ما ذكر من آفة الكذب(فهو) أي الكذاب (ذميم) أي حقير ممقوت(عند رب العالمين) وهذا مفهوم من غضبه تعالى على الكاذب حيث لعنه في الكتاب المبين (و) أي وهو أي الكذب ممقوت عند (الأنبيا والأصفيا والمرسلين) وهذا مفهوم من حديث (**آية المنافق ثلاث**) وحديث (**إياكم والكذب..الخ**) (و) أي وهو ممقوت ذميم عند (الأولياء و الأتقياء أولي السلوك) أي أصحاب السلوك إلى الله تبارك وتعالى وهم المعنون بقوله تعالى ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين ءامنوا وكانوا يتقون** ﴾ (3) وبقوله تعالى ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**﴾ (4) الآية (و) أي وهو أي الكذاب مذموم عند (الحكماء والرؤساء والملوك)وهم العلماء. فوصفهم بالحكماء مأخوذ

---

1 - سورة آل عمران الآية : 61.

2 - سورة الذاريات الآية: 10

3 - سورة يونس الآيتان 62 ، 63.

4 - سورة فصلت الآية: 30.

من قوله تعالى ﴿**ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا**﴾ (1) ووصفهم بالرؤساء مأخوذ من قوله تعالى ﴿ **أطيعوا ا لله و أطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾ (2) وذم الكذاب ومقته عند هؤلاء الأولياء والأتقياء..الخ من البديهي الضروري لأنهم لا يرضون إلا بما يرضاه الرب تبارك وتعالىورسله عليهم الصلاة والسلام. لقوله عليه الصلاة والسلام (**الحب في ا لله والبغض في ا لله من الإيمان**) اهـ ثم قال:

وَإِنَّـهُ يُفْسِـدُ صَفْـوَ الْفِطْـرَهْ فَـذَاكَ أَعْـظَمُ الْبَـلاَ وَالْغِـرَهْ

(وإنه) أي الكذب (يفسد صفو الفطره)أي خالص الفطرة التي فطر ا لله تعالى الناس عليها قال ابن عباس رضي عنهما خلق الناس عليها و المراد بالفطرة الدين وهو الإسلام وقال صلى ا لله عليه و سلم (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة**)الحديث يعني على العهد الذي أخذ عليهم بقوله ﴿ **ألست بربكم.قالوا بلى**﴾ (3) فكل مولود يولد على ذلك الإقرار وهي الحنيفية التي وضعت الخلقة عليها ولكن لا اعتبار بالإيمان الفطري و إنما يعتبر الشرعي المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألا ترى إلى قوله صلى ا لله عليه وسلم (**فأبواه يهودانه أو ينصرانه**) فهو مع وجود الإيمان الفطري فإنه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى ا لله عليه وسلم في حديث آخر (**يقول ا لله عزوجل إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم الخ**) اهـ من الخازن ببعض اختصار اهـ (فذاك) الفساد للفطرة (اعظم البلا والغره) أي حيث صار الكذاب ملعونا معدودا في زمرة المنافقين . اهـ ولذلك قال:

لأَنَّ كُـلَّ كَـاذِبٍ مُكَـذَّبُ بِظُلْمَـةٍ فِـي سِرِّهِ لاَتَعْـزُبُ
فَهْـوَ يَـرَى الظُّلْمَـةَ فِي الضِّيَاءِ وَهِـيَّ ظُلْمَتُـهُ فِـي الأَمْـعَاءِ

---

1 - سورة البقرة الآية: 269.
2 - سورة النساء الآية: 59.
3- سورة الأعراف الآية:172

فهو أي الكذاب المسود قلبه بالظلمة التي (في سره لا تعزب) أي لا تزول (يرى الظلمة في الضياء) أي يرى الضياء ظلاما.لطمس بصيرته بالران الذي حط عليها بما اعتاده من الكذب قال تعالى ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ (1) ويرحم ا لله البوصيري إذ يقول: **قد** تنكر العين ضوء الشمس من رمد..البيت (وهي) أي الظلمة التي يراها هي (ظلمته في الأمعاء) أي في باطنه . ورحم ا لله من قال :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم اهـ

ثم قال :

مِنْ أجْلِ ذَاكَ كَانَ يُورِثُ النِّفَاقْ وَ الكُفْرَ وَ الذُّلَّ وَأسْبَابَ الشِّقَاقْ

أي (من أجل) ما ذكر (كان) الكذب يورث النفاق لأنه إحدى خصال النفاق الثلاث التي تقدمت الإشارة إليها (و) أي ويورث (الكفر) أي كالكذب على ا لله أو على النبي صلى ا لله عليه وسلم للحديث المتقدم (**من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**).(و) أي ويورث (الذل)أي وذلك عند مقابلة من كذب عليه (و) أي ويورث (أسباب الشقاق) أي بين القرباء والأحباء والأرحام والزوج و زوجته و الإبن وأبيه اهـ ثم قال مشيرا إلى أكبر الكاذبين:

أكْـذَبُ مَا تُظِلُّهُ السَّمَاءُ الْكَافِرُونَ الذُّلُّلُ الأسْوَاءُ

يَقُودُهُمْ إبْلِيسُ رأسُ الكَاذِبِينْ بِهِ اقْتَدَى فِيهِ جَمِيعُ الخَائِنِينْ

أي أكبر كاذب (تظله السماء الكافرون) أي الجاحدون. قال تعالى:﴿ **وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون**﴾ (2) وقال تعالى ﴿**وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون**﴾ (3) وقال تعالى﴿ **والكافرون هم الظالمون** ﴾(4) ومنهم من كذب النبي صلى ا لله عليه

1- الحج الآية : 46.
2- سورة العنكبوت الآية : 47.
3- سورة العنكبوت الآية : 49.
4- سورة البقرة الآية : 254.

وسلم وجحد رسالته ظلما وعدوانا . ومنهم من كذب بالبعث إلى غير ذلك.

وقوله (الذلل) أي المذلون قال تعالى ﴿ **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما هم من الله من عاصم**﴾ (1) سورة يونس (الاسواء) أي المرتكبون لأسوء الأعمال التي (يقودهم) إليها (إبليس) اللعين (رأس الكاذبين) أي أولهم الذي سأل من الله تعالى النظرة لإغواء بني آدم .الغرور. كما قص الله تعالى عنه :﴿ **يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا** ﴾ (2) وقال تعالى﴿ **وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس**﴾ (3) الآية. وقال تعالى﴿ **وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق** ﴾ (4) الآية.

فكل كاذب (به)أي بإبليس (اقتدى) وهو إمامه (فيه) أي في الكذب (جميع الخائنين) لحدود الله بارتكاب نواهيه فافتتنوا بقوله المزخرف الغرور وضلوا الطريق السوي باتباعهم واقتدائهم بإبليس اللعين ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ (5) اهـ ثم قال:

وَ مُنِـعَ الإِصْغَـاءُ لِلْكَـذَّابِ   أَيْضًـا كَـمَا يُمْنَـعُ مِنْ كِذَابِ

كَمَـا أَتَـى فِـي سُورَةِ العُقُـودِ   مِـنْ أَقْبَـحِ الأَوْصَـافِ لِلْيَهُـودِ

أي كما يمنع الكذب أي يحرم يمنع كذلك الإصغاء أي الإستماع للكذاب لما تقدم من قول النبي صلى الله عليه وسلم (**القائل والمستمع في الوزر شريكان**) أو كما قال، وقوله : (كما أتى في سورة العقود) يشير بهذا والله أعلم إلى قوله تعالى ﴿ **ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم ءاخرين**﴾ (6) الى قوله ﴿**سماعون للكذب أكالون للسحت** ﴾ (7) وهذا من أقبح الأوصاف لليهود أي وهذا السماع من أقبح ما وصف الله به اليهود. وهو كذلك اهـ ثم قال:

1- سورة يونس الآية: 27.

2- سورة النساء الآية : 120.

3- سورة الأنفال الآية: 48.

4- سورة ابراهيم الآية: 22.

5 - سورة النور الآية: 63.

6- سورة المائدة الآية: 41.

7- سورة المائدة الآية: 42.

مَنْ يَنْقُـلِ الكَذِبَ صَـارَ كَـاذِبَا   مَـنْ صَدَّقَ الكَذُوبَ كَانَ خَائِبَا

(من) إسم موصول أي الذي (ينقل الكذب) عن الكذوب (صار) أي تحول (كاذبا) كذلك (من)أي الذي (صدق الكذوب) أي الكذاب فيما قاله (كان خائبا) أي خاسرا لأن المصدق لإفك الكذاب أحد الكذابين و قد علمت أن الكذب من علامات النفاق . اهـ

ولما أنهى الكلام على كف اللسان عن الكذب .شرع يتكلم على آفات اللسان فقال:

فصل في آفات اللسان

أي مضراته وما يترتب على ما ينطق به و يحصده من الشر والبلا فقال مشيرا إلى بعض ذلك:

آفَاتُـهُ جَمِيـعُ مَـا قَدْ سَبَقَا   مِنَ الكَبَائِرِ وَمَـا سَيَلْحَقَا

كَالقَذْفِ وَاللَّمْزِ مَـعَ السُّخْرِيَّـةْ   وَالطَّعْنِ فِي الأَنْسَابِ بِالسَّوِيَّـةْ

أخبر رضي الله عنه بأن من آفات اللسان جميع ما تقدم (من الكبائر) كالغيبة و النميمة وقول الزور والكذب الخ (ما قد سبقا) (وما سيلحقا) أي مما سيصفه وألف سبقا ويلحقا منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة . كما فوق طرة المتن للناظم . ثم شبه ما يلحق من آفات اللسان مصدرا بكاف التشبيه قوله (كالقذف) أي الرمي بالزنا وغير ذلك الموجب للجلد والمسمى صاحبه بالفاسق .كما قال تعالى ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء** ﴾ إلى قوله ﴿ **وأولئك هم الفاسقون** ﴾ (1) (و) أي وكـ (اللّمز) أي العيب المفهوم من ذم الله تعالى للمنافقين بقوله جل وعلا ﴿ **الذين يلمزون المطوعين من المومنين في الصدقات** ﴾ (2) الآية (مع السخرية) أي ومن آفات اللّسان السخرية

1- سورة النور الآية: 04.   2- سورة التوبة الآية: 79.

و هي الإستهزاء و الإحتقار للمؤمن وقد أضافها ا لله تعالى مع اللّمز فقال : ﴿ فيسخرون منهم سخر ا لله منهم ﴾ (1) الآية وقال صلى ا لله عليه وسلم (**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه**) الحديث .و لله در القائل:

فلا تحقرن شخصا من الناس عله ولي اله العالمين ولا تدري

فذو القدر عند ا لله خاف عن الورى كما خفيت عن علمهم ليلة القدر اهـ

(و) أي وكـ (الطعن في الأنساب) الذي نهى ا لله عنه بقوله تعالى **﴿ولا تنابزوا بالألقاب بيس الاسم الفسوق بعد الإيمان ﴾** (2) وقوله (بالسوية) أي هاته الآفات المذكورة بالسوية مع الكبائر اهـ ثم قال :

وَغَيْرُ ذَاكَ مِنْ جَمِيعِ مَا أَتَى مُفَصَّلاً فِي الأَمَّهَاتِ مُثْبَتَا

أي (وغير) ما ذكر (من جميع ما أتى) أي ورد (مفصلا) أي مبينا (في الأمهات) أي أمهات الفقه والتصوف (مثبتا) أي ثابتا فيهن .فخطر اللسان عظيم وهو أشد الجوارح السبعة وأكثرها فسادا ففي الصحيح (**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا فتبلغ من سخط ا لله ما لايظن**) .وفي الحديث (**وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**).رواه الترمذي .وقال بعض السلف زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لاتبقي و لا تذر.وقال أبوبكر لساني سبع أن أطلقته أكلني اهـ ولذا قال :

فَآفَةُ اللّسَانِ لَيْسَ تُحْصَى لَكِنْ بِصَمْتٍ وَاعْتِزَالٍ تُقْصَى

أي فحيث كانت آفاته كثيرة لاتدخل تحت حصرفيجب استعمال الدواء لحسم تلك الآفات .فاستدرك ذلك بقوله (لكن بصمت واعتزال تقصى) أي تلك الآفات لأن خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره إلا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى ا لله عليه وسلم (**من صمت نجا**) وقال عليه الصلاة والسلام(**الصمت حكمة وقليل فاعله**)أي حكمة وحزم وقال عقبة

1- سورة التوبة الآية: 79. 2- سورة الحجرات الآية: 11.

بن عامر.قلت يارسول الله ما النجاة قال: (**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**) وقال: سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة**) وقال صلى الله عليه وسلم (**من وقى شر قبقبه.وذبذبه.ولقلقه. فقد وقي الشر كله**) القبقب هو البطن والذبذب هو الفرج واللقلق اللسان .فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق **ــ فائدة ــ** ويدل على فضل لزوم الصمت أمر .وهو أن الكلام أربعة أقسام.قسم هو ضررمحض.وقسم هو نفع محض.وقسم فيه ضرر و منفعة. وقسم ليس فيه ضرر ولامنفعة.

أما الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه . وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لاتفي بالضرر.وأما الذي لا منفعة فيه ولاضرر فهو فضول والإشتغال به تضييع زمان وهوعين الخسران .فلا يبقى إلا القسم الرابع.فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر إذ يمتزج فيه إثم من دقائق الرياء و التصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام إمتزاجا يخفى دركه فيكون الإنسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان علم قطعا أن ما ذكره صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال(**من صمت نجا**) .فلقد أوتي والله جواهر الكلام قطعا وجوامع الكلم ولايعرف ماتحت ـ أحاد كلماته من بحار المعاني إلا خواص العلماء اهـ بخ من الإحياء ولله در من قال:

أمسك لسانك أيها الإنسان لايلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشّجعان

قال ابن حمدون.وذكر في الإحياء من آفات اللسان عشرين آفة ونقلها في ك وأنهاها في النصيحة إلى أربعين . قال ويستعان على حفظه بثلاثة أشياء .شغله بالذكر الدائم.والخلوة على الخلق .وقلة الطّعام. اهـ ولقد أحسن القائل:

إغتنــم ركعتــين في ظلمــة الليــ ــل إذا كنــت خالــيا مستريـحا
وإذا هممــت باللغــو فــي البــا طــل فاجعــل مكــانه تسبيحــا
فالتــزام السكــوت أولــى من النـ طق وإن كنــت بالكــلام فصيحا

و القائل :

الحلــم زيــن و السكــوت سلامة فــإذا نطقــت فــلا تكن مكثارا
مــا إن نــدمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكــلام مرارا اهـ

ابن حمدون ولذا أشار المصنف رحمه الله بقوله:

وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ عَـمَـلَ الخَيْرِ إذَا لَمْ يَكُ مَعْـهُ الصَّمْـتُ قَطْعًا نُبِذَا
وَحَصَلَ الفَسَـادُ فِـي الأَعْمَالِ وَجُمْلَةِ الأَفْـعَالِ وَالأَحْـوَالِ

(اعلم) أيها السالك أوالسامع (بأن عمـل الخير) أي البر (إذا لم يكـن معـه الصمت) الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم (**من صمت نجـا**) (قطعـا) أي جزمـا (نبذا) أي ترك في حيز الأعمال المردودة على صاحبها لما تقـدم مـن آفـات اللسـان وأنه لا نجاة من خطره إلا بـالصمت. ولأن الله تبارك وتعـالى حصـر الشر بذكـر الخير في قوله جل وعلا ﴿**لا خـير في كثير مـن نجواهـم إلا مـن امـر بصدقـة او معروف أو إصلاح بين الناس**﴾ (1) (و) أي وإذا نبذ عمل الخير (حصـل الفسـاد في الأعمـال) أي أعمـال البر(و) أي وحصـل الفسـاد كذلـك في (جملـة الأفعـال والأحوال) .لقول النبي صلى الله عليه وسلم (**اخـزن لسـانك إلا مـن خـير فـإنك بذلك تغلب الشيطان**) .وقال صلى الله عليه وسلم (**إن الله عند لسان كل قـائل فليتق الله امرؤ علم ما يقـول**) وقـال صلـى الله عليـه وسـلم (**إذا رأيتـم المؤمـن صمـوتا وقـورا فـادنوا منه فإنه يلقــن الحكمة**) وقال ابن مسعود قـال رسـول الله صلى الله عليه وسلم (**الناس ثلاثة غانـم وسـالم وشاحب فالغانم الذي يذكـر**

1- سورة النساء الآية : 114.

ا لله تعالى .والسالم الساكت.والشاحب الذي يخوض في الباطل) وقال صلى ا لله عليه وسلم .(**من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به**) اهـ من الإحياء. اهـ ثم استشهد الناظم على ذلك بقوله:

إِنَّ اللِّسَــانَ أَسَــدٌ هَصُــورُ   مُفْتَــرِسٌ وَمُهْلِـكٌ عَقُــــورُ

يشير بهذا إلى الآثار الواردة في جسارة اللسان وافتراسه لمن أطلق عنانه ففي الأثر كان أبوبكر الصديق رضي ا لله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام. وكان يشير إلى لسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد. وقال عبد ا لله بن مسعود وا لله الذي لا إله إلاهو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان. وقال طاوس لساني سبع إن أرسلته أكلني. وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه.وقال الأوزاعي كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه ا لله أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير.ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه. وقال بعضهم : الصمت يجمع للرجل فضيلتين .السلامة في دينه .والفهم عن صاحبه .وقال أبوبكر بن عياش: إجتمع أربعة ملوك.ملك الهند.وملك الصين.وكسرى.وقيصر.فقال أحدهم. أنا أندم على ما قلت ولا أندم على ما لم أقل وقال الآ خر إني إذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم أملكها وإن لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكني. وقال الثالث عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمته ضرته وإن لم ترجع عليه لم تنفعه .وقال الرابع .أنا على رد ما لم أقل أقدر مني على رد ما قلت اهـ كما في الإحياء ج (3) رقم 110 /111) فقول الناظم (إن اللسان أسد) يشير به إلى قول طاوس .وقوله (هصور مفترس) البيت يشيربه إلى قول أبي بكر الصديق.هذا الذي أوردني الموارد أي المهالك. وا لله أعلم ثم قال مشيرا إلى إن الصمت عنوان النجاة:

لِذَاكَ كَانَ الصَّمْتُ عُنْوَانَ النَّجَاةْ   يُنْجِــي الصَّمُوتَ فِي الْمَمَاةِ وَالْحَيَاةْ

أي لأجل ماذكر من آفات اللسان ومضراته (كان الصمت عنوان النجاه)يشير إلى الحديث المتقدم وهو قوله صلى ا لله عليه وسلم(**من صمت نجا**).(ينجي الصموت) أي الصامت لخبر قل خيرا تغنم أو أسكت تسلم .(في الممات) أي من المؤاخذة بما يحصل من الإثم لمن أطلق لسانه فيما لا يحل النطق به .أي وفي (الحياة)من الوقوع في الحسرة والندامة على ما تكلم به أو الوقوع في الإثم أوهما معا لماتقدم من قول من قال:

ما إن ندمت على سكوتي مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقول من قال الحلم زين والسكوت سلامة. ولخبـ(**رإذا كنت من قوم فكن أصمتهم فإن أصابوا أصبت معهم وإن أخطأوا نجوت من خطئهم**) . اهـ وا لله سبحانه وتعالى أعلم.

ولما أنهى الكلام على آفات اللسان شرع يتكلم على حفظ البطن من الحرام فقال :

فصل في حفظ البطن من أكل الحرام:

تقدم معنى الفصل لغة واصطلاحا. وقوله (في حفظ البطن من أكل الحرام) أي فيما يجب على المؤمن من حفظ بطنه من تعاطي الحرام أي ما حرمه ا لله في الذكر الحكيم .وبينه المبعوث رحمة للعالمين ثم قال مبينا لفائدة أكل الحلال ولأضرار أكل الحرام فقال رحمه ا لله:

إِنَّ الْحَلاَلَ فِي الطَّعَامِ قُعْدُدُ عَلَيْهِ يُبْنَى فِي الهُدَى التَّعَبُّدُ
وَضِدُّهُ الْحَرَامُ مِنْهُ تَفْسُدُ عِبَادَةُ المَرْءِ وَلاَ تُصَعَّدُ

أخبر رضي ا لله عنه بأن أكل الحلال (قعدد) أي أساس لجميع أنواع الطاعة التي (عليه) أي على أكل الحلال (يبنى)صرح الطاعة (في الهدى) أي في طريق الهدى التي توصل إلى (التعبد) أي إلى ما يتعبد به السالك إلىا لله تعالى .(و) أي و أما (ضده) أي ضد الحلال الذي هو (الحرام) أي أكله (منه) أي من أكله

6!

(تفسد عبادة المرء) حيث لا قعدد تبنى عليه و من المعلوم أن الصرح لايثبت على غير أساس و حيث كانت كذلك فهي مردودة على فاعلها ولذا قال (فلا تصعد) لقول الله تعالى (**إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه** ﴾. (1)

فالشيخ يشير بهذين البيتين إلى ما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث .

فمن الآيات قوله تعالى ﴿ **يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا** ﴾ (2) ﴿ **يا أيها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم** ﴾ (3) و لما تلى صلى الله عليه وسلم الآيتين قال (**إنّ الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**) ثم ذكر **الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السّماء يارب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له**) . اهـ من الأحاديث النووية ببعض اختصار .

و من الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم (**طلب الحلال فريضة على كل مسلم**). وقوله : (**إن لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل يوم ألا من أكل الحرام لم يقبل منه صرف و لا عدل**) أي نافلة ولافريضة. وقوله : (**كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به**) أخرجه الترمذي . وفي تقديم أكل الحلال على صالح الأعمال في الآية الأولى تنبيه على أن الإنتفاع بالأعمال إنما يتوصل إليه إذا كان الكسب من حلال لأن من أكل الحلال شربت منه عروقه ونشطت للعبادة ووجد لها حلاوة ولذة ومزيد إقبال . ومن أكل الحرام بعكس ذلك فيخاف عليه ألا يقبل عمله . قال ابن عباس عماد الدين وقوامه طيب المطعم فمن طاب كسبه زكى عمله. ومن لم يطب كسبه خيف عليه أن لا تقبل صلاته وصيامه وحجّه

1-- سورة فاطر الآية: 10. 2- سورة المؤمنون الآية:51.

3- سورة البقرة الآية: 172.

وجهاده وجميع أعماله لأنّ الله تعالى يقول﴿ **إنّما يتقبّل الله من المتّقين**﴾ (1) والمراد بالقبول الكامل الذي لا يكون معه عذاب أصلا بناء على أنّ المراد بالتقوى في الآية اجتناب كلّ ما يؤثم. ومعلوم أنّ مذهب أهل السنّة أنّ السيّئات لا تحبط الحسنات. فمن خواص الحلال قبول الأعمال كما تقدّم. ومن خواصه التوفيق للعمل الصالح. وقد ورد (**من أكل الحلال أطاع الله أحبّ أم كره. ومن أكل الحرام عصى الله أحبّ أم كره**). ومن خواصه تنوير القلوب فقد ورد من أكل الحلال أربعين يوما نوّر الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة على لسانه. ومن خواصه استجابة الدعاء وقد سأل سعد بن أبي وقّاص النبي صلّى الله عليه وسلّم أن يجعل الله دعوته مستجابة فقال (**طيّب لقمتك**) قال سعد ففعلت ذلك فوجدته كما قال اهـ قاله ابن حمدون رقم (38) ثمّ قال آمرًا بالإجتهاد في طلب الحلال واقتنائه.

فَلْتَجْتَهِدْ فِي الإقْتِنَاءِ لِلْحَلاَلِ   بِحَسَبِ الطَّاقَةِ تَحْظَ بِالحَلاَلْ

أي (فلتجتهد) أيّها السالك (في الاقتناء للحلال) أي كسبه والسعي في طلبه (بحسب الطاقة) أي ما في وسعك من الجهد والعمل. قال الله تعالى: ﴿**لا يكلّف الله نفسا إلاّ وسعها**﴾ (2) (تحظ) أي إذا سعيت في طلبه فإنّما تحظى (بالحلال) أي تجده وتتحصّل عليه ولا شكّ لأنّه ليس بمفقود كما زعم بعضهم ففيه خلاف مشهور. وأرجح الأقوال. أنّه موجود. وقد أشار إلى الخلاف الوارد فيه الشيخ ميارة في الشرح الكبير فقال. واختلف في الحلال هل هو موجود أم لا فقيل إنّه موجود وإنّما قلّ طلاّبه. وقيل هو ضالّة مفقود للحديث الأخير وهو(**أوّل ما يفقد من هذه الأمّة درهم حلال وأخ صالح**)، إلى أن قال ويجب على المكلّف ترك الحرام جملة من غير تفصيل. وأكل الحلال المجمع عليه، فإن لم يجده فالمتّفق عليه فإن لم يجده فالمختلف فيه في المذهب، فإن لم يجده فالمختلف فيه

1- سورة المائدة الآية: 27.   2- سورة البقرة اللآية : 286.

في غير المذهب فإن لم يجده فكما قال القاسم ابن محمّد لو كانت الدنيا كلّها حراما لما كان لنا بدّ من العيش. فمن حصل له كسب طيّب فأراد شراء قُوتِهِ فليتلطّف في شراء الطيّب جهده فإن بذل جهده واستفرغ طاقته وقع إن شاء الله على ما تسكن إليه نفسه، إلى أن قال مشيرا لأصول الحلال قال بعض العلماء أصول الحلال عشرة: صيد البرّ ، وصيد البحر، وتجارة بصدق، وإجارة بنصح، والفيء إذا قسم على وجهه ، وميراث عن أصل طيّب، وماء الغُدْرِ، وما أنبتته الأرض غير الممتلكة، وهديّة من أخ صالح، والسؤال عند الحاجة اهـ ولبعضهم في ذلك:

ياصاح إنّ الحلال الحرّ عشر أصول هي صيد البحر ومـوت حل ومـاء الغدر
ثمّ هديّة المحبّ فادر من حله لله لا للشكر وصنعة بالنصح لا بالمكر
والتجر بالصدق وصيد القفر ثمّ السوال عن شديد الفقر ونبت أرض لم تكن للغير
والفيء يقسم بغير جور وانفرد الثعالبي بالمهر فزاده موافقا للعشر
النصّ تقييد الجزولي الحبر جزاه الله ربّنا بكلّ خير اهـ

وأشار ابن حمدون إلى هذا الخلاف باختصار فقال ذهب الغزالي إلى أنّه معدوم، وابن العربي إلى أنّه موجود ولكن قلّ طالبوه. وفي شرح الوغليسية قد أجمع الصوفيّة على وجود الحلال وقالوا لو لم يكن موجودا لما كان للأولياء قوت لأنّهم لا قوت لهم سواه. وقال أبو محمّد التستري لو كانت الدنيا دما عبيطا أي طريا خالصا لكان قوت المؤمن منها حلالا. نقله صاحب القوت والإحياء قال لأنّ أكل المؤمن عند الضرورة بقدر القوام فقط اهـ وحيث أمر بأكل الحلال أعقب ذلك بالنهي عن اجتناب الحرام فقال :

وَاجْتَنِبِ الحَرَامَ مَا اسْتَطَعْتَا فَمَا تَرَى بَأسًا إذَا فَعَلْتَا

(اجتنب) أي ابتعد من أكل (الحرام) وكسبه (ما استطعتا) أي بحسب استطاعتك فإنّ الله تبارك وتعالى لم يكلّفنا فوق طاقتنا كما تقدّم. وقوله (فما ترى

بأسا إذا فعلتا) أي إذا اجتهدت في كسب الحلال وأكله من أصوله المتقدّمة الذكر واجتنب كسب الحرام وأكله من الوجوه التي يكتسب منها وهي كما بيّنها الجزولي أيضا بقوله وأمّا عدد الوجوه التي يكتسب منها المال الحرام فهو أن تقول اعلم أنّ أخذ المال أي أموال الناس من غير حلّ على وجهين إمّا برضاء أربابها أو بغير رضاهم فالذي بغير رضاهم عشرة أوجه فعدّها ثمّ قال والذي برضاهم ستّة عشر وجها وعدّها قال وزاد بعضهم الغرر والخلابة اهـ وقد كنت حالة قراءتي هذا المحل من الرسالة لفقت في ذلك فتتمّ الفائدة بضمّها لأبيات أصول الحلال المتقدّمة وهي هذه:

وأخذ مال الغير إمّا بالرضا	من ربّه أولا وذا عشر أضا
غصبا تعدّيا حرابة ترى	سرقة وخلبة ولا امترا
ثمّ اقتطاعا ودلالة علم	بكره ربّه خيانة وسم
ثمّ خديعة وغشا والذي	مع الرضا فستّ عشرة احتذى
وهي الربا ثمّ القمار والرشا	وثمن الجاه وكلب لا تشا
حلوان كاهن ومهر للبغى	وثمن القرد وسنور بغى
عليهما وأجر حجام كذا	ما يأخذ القاضى وشاعر خذا
وثمن الصور آلة اللعب	نائحة كذا لوصف قد طلب
ثمّ بدا خلافه زيد الغرور	خلابة والكلّ يرمى بالشرور
إذ كلّها أصل إلى الحرام	والخلف قل في أجرة الحجام
نقل ذا فى شرحه الجزولي	ذو العلم بالفروع والأصول
عامله الإله باللطف الخفى	بفضله ولم يزل بنا حفى

(تنبيه) لا خصوصيّة للبطن بالحفظ من الحرام بل وكذا سائر الجسد فكما لا يحلّ لك أن تأكل إلاّ طيّبا أي حلالا فكذلك لا يحلّ لك أن تلبس إلاّ طيّبا. وأن تسكن إلاّ طيّبا. ولا تركب إلاّ طيّبا. ويجب عليك أن تستعمل سائر ما تنتفع به طيّبا كما في الرسالة اهـ وإلى هذا الإشارة بقول الناظم (فما ترى بأسا إذا فعلتا) أي شدّة في الدنيا ولا خوف في الآخرة اهـ وألف ما استطعتا وفعلتا للإطلاق والله أعلم اهـ ثمّ عطف على اجتناب الحرام التورّع عن الشبهات فقال:

وَاتَّرِعَنْ بِتَرْكِ كُلِّ الشُّبُهَاتْ   كَيْ لاَ تَحُلَّ فِي الْحِمَى وَالْهَلَكَاتْ

(واترعن) أي تورّع أيّها السالك وقد تقدّم الحديث الصحيح وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم (**الورع هيّن دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**) وذلك (بترك كلّ الشبهات) أي ما اختلفت فيه أقوال العلماء والأصل في ترك الشبهات ما أخرجه أهل الصحيحين عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: (**الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه. ألا وأنّ لكلّ ملك حمى ألا وإنّ حمى الله محارمه. ألا وأنّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه وإذا فسدت فسد الجسد كلّه ألا وهي القلب**) قال الإمام ابن حجر الهيثمي في شرح الأربعين للنووي. الحلال ما نصّ الله أو رسوله أو المسلمون على تحليله بعينه أو جنسه ومنه أيضا ما لم يعلم فيه منع على أسهل القولين. والحرام ما نصّ أو أجمع على تحريمه بعينه **أو** جنسه أو على أنّ فيه حدّا أو تعزيرا أو وعيدا. ثمّ قال والمشتبه هو كلّ ما ليس بواضح الحل والحرمة ممّا تنازعته الأدلّة وتجاذبته المعاني والأسباب. فبعضها يعضده دليل الحلال.وبعضها يعضده دليل الحرام. ومن ثمّ فسّر أحمد وإسحاق وغيرهما المشتبه بما اختلف فيه اهـ **ــ تنبيه ــ** ويكون الترك للحرام أو المتشابه بنيّة الإمتثال ليحصل الوجه الأكمل لأنّ الثواب إنّما يحصل في المتروك مع النيّة لا بمجرّد الترك فمن ترك محرّما أو متشابها بنيّة الإمتثال أثيب على تركه ومن تركه ولم يخطر بباله فلا ثواب له. قاله الشيخ ميارة في الشرح الكبير لدى قول ابن عاشر يترك ما شبه باهتمام اهـ ولمّا أنهى الكلام على حفظ البطن من الحرام شرع يتكلّم على حفظ الفرج من الزنا فقال:

فصل في حفظ الفرج من الفواحش

أشار بهذا إلى قوله تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضّوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم**﴾ (1) الآية فحفظ الفرج عن الفاحشة التي هي الزنا واجب لقوله تعالى:

1- سورة النور الآية: 30.

﴿**ولا تقربوا الزّنى إنّه كان فاحشــة وســاء سبيلا**﴾ (1) وهـو مـن أعظـم الكبائر وإلى هذا أشار الناظم بقوله :

إنّ الـزِّنَا كَبِــيرَةٌ ذَمِيمَــهْ مُفْسِــدَةٌ مُفْقِــرَةٌ وَخِيمَــهْ

مُجْلِبَــةٌ لِغَضَــبِ الجَبَّــارِ مُـدْخِلَةٌ لِــدَرَكَــاتِ النَّارِ

أخبر رضي ا لله عنه بأنّ (الزنا) من الذنوب الكبار وهو فعلة (ذميمة).لما فيه من انتهاك الحرمات وخلط الأنساب. ويوجب الرجم أو الجلد والتغريـب.وهـو إذا مفسدة أي للدين والعرض والمروءة فـ(مفسـدة) عطـف تفسير لذميمـة. أي فـإنّ كبيرة الزنا حيث كانت مفسدة للدين والعرض والمروءة فهي ذميمـة أي مذمومـة. شرعا وعقلا وجبلة ومن مفاسدها أنّها (مفقـرة) أي تـورث صاحبهـا الفقـر يشير بهذا وا لله أعلم إلى الحديث الذي رواه البيهقي عـن عبـد ا لله بـن عمـر رضـي الـه عنهما عن النبي صلّى ا لله عليه وسلّم قال: (**الزنا يـورث الفقـر**) والحديـث الـذي رواه البزار مـن روايـة ابـن عمـر أيضـا وفي آخـره (**وإذا ظهـر الزنـا ظهـر الفقـر والمسكنة**) وعن ابن عبّاس رضي ا لله عنهما عن رسول ا لله صلّى ا لله عليه وسلّم قال (**إذا ظهر الزنا والربا في قرية فقد أحلّوا بأنفسهم عذاب ا لله**) رواه الحـاكم إنتهى من الترغيب والترهيب اهـ وإنّها أي كبـيرة الزنـا (مجلبـة لغضـب الجبّـار) أي وهي من المعاصي التي تجلب غضب الجبّار قال تعالى: ﴿ **ولا تقربوا الزنى إنّه كان فاحشة**﴾ (2) يعني لا تزنوا واجتنبوا الزنا فـإنّ الزنـا معصيـة ومقـت يعـني يوجـب لصاحبه المقت والسخط من ا لله تعالى وسـاء سبيلا بيس المسـلك وبيـس الطريـق لأهل الزنا يعني قد أخذ طريقا يجرّه إلى النار اهـ وروى عن بعـض الصحابـة رضـي ا لله تعالى عنهم أنّه قال إيّاكم والزنا فإنّ فيه ستّ خصال ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة فأمّا التي في الدنيا فنقصان الرزق يعني تذهب البركة من رزقه ويصير محروما مـن الخـيرات ويصـير بغيضا في قلوب الناس. وأمّا التي في الآخرة فغضب الربّ،

1- سورة الإسراء الآية: 32. 2- سورة الإسراء الآية: 32.

وشدّة الحساب، والدخول في النار اهـ وإنّها أي كبيرة الزنا (مدخلة لدركات النار) يشير بهذا إلى الحديث الذي رواه البخاري عن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: (**رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدّسة**) فذكر الحديث إلى أن قال: (**فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيّق وأسفله واسع يتوقّد تحته نارا فإذا ارتفعت أرتفعوا حتّى كادوا أن يخرجوا، وإذا رجعت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة**) وفي رواية (**فانطلقنا على مثل التنور**) قال فاحسب أنّه كان يقول:(**فإذا فيه لغط وأصوات قال فاطّلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم ياتيهم لهب من أسفل منهم فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضؤوا**) الحديث الضوضاء أصوات الناس وجلبتهم. والمعنى صوّتوا وبكوا. وفي النهاية أي شجّوا واستغاثوا اهـ وفي آخر الحديث (**وأمّا الرجال والنساء العراة الذين هم في مثل التنور فإنّهم الزناة والزواني**) أهـ نقله صاحب الترغيب والترهيب اهـ ثمّ قال الناظم رحمه الله:

كَذَا اللّـوَاطُ الفَـاحِشُ المَذْمُومُ ... صَاحِبُـهُ مُـرْتَكِـسٌ مَـذْمُـومُ

أي وكذلك (اللواط) وهو إتيان الذكر أي كبيرة ذميمة الخ ما ذكر مثل الزنا. بل هو أكبر مفسدة من الزنا لما أنّ إتيان الرجال لا يجوز بحال. بخلاف إتيان المرأة فإنّه من حيّز المباح الحلال. إذا كان بنكاح صحيح. بل تعتريه الأحكام الخمسة كما قال الدردير. لأنّ الشخص إمّا أن يكون له فيه رغبة أوْلاَ. فالراغب خشي على نفسه الزنا وجب عليه وإن أدّى إلى الإنفاق عليها من حرام. وإن لم يخشه ندب له إلاّ أن يؤدّي إلى حرام فيحرم. وغير الراغب إن أدّاه إلى قطع مندوب كره وإلاّ أبيح. إلاّ أن يرجو نسلا أو ينوي خيرا من نفقة على فقيرة أو صون لها فيندب. ما لم يؤدِّ إلى محرّم وإلاّ حرّم والأصل فيه الندب. ولذا اقتصر عليه المصنّفُ بقوله ندب لمحتاج الخ إنتهى منه اهـ

ولذا قال الناظم (الفاحش) أي القبيح (المذموم صاحبه) قال تعالى ذمّا وتقبيحا وتشنيعا على قوم لوط ﴿**إنّكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين**﴾ (1) الآية (مرتكس) أي منتكس ففي المنجد ارتكس، انتكس، وقع في أمر كان نجا منه. الركس الرجس من الناس. الركيس المركوس الضعيف المرتكس اهـ بخ (مذموم) نعت لمرتكس أو عطف تفسير. مأخوذ من ذأم ذأما تداءمت عليه الهموم اهـ قوله:

كَـذَا المُسَـاحَقَـةُ لِلنّسَـاءِ مِـنْ أَعْظَـمِ الأَسْوَاءِ وَالفَحْشَاءِ

الكاف حرف تشبيه وذا اسم إشارة أي كذلك (المساحقة) التي تقع من أشرار النساء فهي كبيرة ذميمة مفسدة مثل الزنا في جميع ما ذكر. والمساحقة هي نعت المرأة لزوجها أي فعلها بها كما يفعل بها زوجها من مقدّمات النكاح وهذا الفعل الذميم (من أعظم الأسواء) أي القبائح ومن أعظم (الفحشاء) أي القبائح. أي الفحشاء الذي هو الزنا منه المساحقة للنساء اهـ ثمّ قال:

كَـذَاكَ الإسْتِمْنَـا عَلَى مَا شُهِرَا مِـنَ الْفَتَـاوِي عَن رِجَـالٍ كُبَرَا

أي وكذلك (الإستمنا) باليد شبيه بالزنا وهو كبيرة ذميمة كذلك (على ما شهرا من الفتاوي) أي من أقوال العلماء الأجلّة وهذا معنى قوله (عن رجال كبرا) أي فحول مهارة من جهابذة علماء المذهب المالكي. ثمّ قال

كَـذَاكَ وَطْءُ الآدَمِـيِّ لِلـدَّوَابْ مُحَـرَّمٌ مَحَـرَّمٌ عَيْـنُ التَّبَـابْ

أي وكذلك من الفعلة الذميمة المفسدة (وطء الآدميّ للدواب) فهو شبيه بالحرمة فيما تقدّم ولذا قال (محرّم محرّم) بتكرير محرّم تأكيد في الحرمة. وهو أي وطء البهيمة (عين التباب) أي الخسران. فهو وإن كان لا رجم فيه ولا جلد. ففيه الأدب الشديد. والوعيد بالعذاب المهين ففي الحديث الذي رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: (**لعن الله سبعة**

1- سورة العنكبوت الآية: 28.

من خلقه من فوق سبع سماوات) وردّد اللعنة على واحد منهم ثلاثا. ولعن كلّ واحد منهم لعنة تكفيه. قال (ملعون من عمل عمل قوم لوط ثلاثا ملعون من ذبح لغير الله. ملعون من أتى شيئا من البهائم. ملعون من عقّ والديه. ملعون من جمع بين امراة وابنتها. ملعون من غيّر حدود الأرض. ملعون من ادّعى إلى غير مواليه). اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: (أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله) قلت من هم يارسول الله. قال: (المتشبّهون من الرجال بالنساء والمتشبّهات من النساء بالرجال. والذي يأتي البهيمة. والذي يأتي الرجال) رواه الطبراني أيضا والبيهقي. اهـ نقله صاحب الترغيب والترهيب اهـ وقد جمع ابن حمدون جميع ما يلحق بالزنا فقال. ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾ (1) تحريم المتعة وهي أن يعير الأمة لمدّة لمن يستمتع بها ثمّ يردّها. وشذّ من قال بجوازها من العلماء. وتحريم الإستمناء باليد. وفي جوازه ومنعه وكراهته ثلاثة أقوال الشيخ زروق الجمهور على المنع. ومن قال به للضرورة فيشترط إذا كان غير قادر على التزويج ويخاف الزنا واقتصر على ما يدفع الضرورة. قال التافجروتي وكان الإمام أحمد يجيزه ويراه كالحجامة وأنشد عليه:

إذا حللت بواد لا أنيس به فاجلد عميرة لا داء ولا حرج

وتحريم المساحقة وهي ما يفعله شرار النساء مع بعضهنّ كان ذا بآلة أولا. وتعاقب من فعلت ذلك منهنّ. لأنّ هذه الثلاثة خارجة عن ملك اليمين والتزويج الذي لا يحلّ الوطء إلاّ بهما وتحريم استرسال الزوج مع امرأته بعد الحنث فيهما أو طلاقها وهو أشدّ من الزنا لما فيه من الإصرار على الزنا. وتحريم وطء البهيمة لأنّ المراد بملك اليمين الآدميّات. ولا يدخل المملوك في الإستثناء أي المستثنى بدليل

1- سورة المؤمنون الأيات (5 ، 6 ، 7)

القران بالأزواج. ولا يصحّ ما أشيع عن الشافعيّة من جواز وطء الذّكر بما ...
اليمين. بل هو عن الشيعة الخارجين عن الحقّ قاله في النصيحة ونقله في ك بخ اهـ
منه رقم (149) اهـ ثمّ قال مرشدا للتوبة التي تمحو الآثام:

فَتُبْ إِلَى ا للهِ مِنَ الْفَحْشَاءِ تَفُزْ بِيَوْمِ الْبَعْثِ وَاللاَّوَاءِ

(فتب) أيّها السالك (إلى ا لله) سبحانه وتعالى الآمر بالتوبة لجميع المؤمنين بقوله جلّ من قائل: ﴿**يا أيّها الذين آمنوا توبوا إلى ا لله توبة نصوحا**﴾ (1) الآية (من الفحشاء) أي من كلّ ذنب صغيرا كان أو كبيرا فإنّ التوبة فرض لأمر ا لله تبارك وتعالى بها في الآية السالفة الذكر. قال ناظم أسهل المسالك. والتوبة فرض فَالْزَمَنْ. وتجب على الفور كما قال ابن عاشر. وتوبة من كلّ ذنب يجترم تجب فورا البيت. وإنّ تأخير التوبة والإسترسال في المعاصي يوجب سخط ا لله كما قال سيّد عبد الرحمان الأخضري. وليتب إلى ا لله سبحانه وتعالى قبل أن يسخط عليه اهـ وإذا تبت أيّها السالك توبة نصوحا بشروطها (تفز) أي بالنجاة من أهوال القيامة (بيوم البعث) أي يوم الخروج من القبور يوم النشر والحشر وأخذ الصحف ووزن الأعمال. رجاء وطمعا في فضل ا لله تعالى حيث قال: ﴿**عسى ربّكم أن يكفّر عنكم سيّئاتكم**﴾ (2) فإنّ عسى منه تعالى للوجوب كما لبعض المفسّرين. وقوله (واللاواء) عطف تفسير وبيان ليوم البعث. أي وهو يوم اللاواء. أيضا أي لواء الحمد الذي يعطاه نبينا سيّدنا محمّد صلّى ا لله عليه وسلّم خصوصيّة له وهي الدرجة القصوى التي ليست لغيره صلّى ا لله عليه وسلّم اهـ وا لله أعلم.

ولمّا أنهى الكلام على حفظ الفرج شرع يتكلّم على حفظ الجوارح وخصّ بالذكر هنا البطش باليدين والسعي بالرجلين فقال:

1- سورة التحريم الآية:8. 2- سورة التحريم الآية:8.

فصل في البطش والسعي

أي في حكم (البطش) باليدين (والسعي) بالرجلين فقال رحمه الله آمرا في ذلك بتقوى الله تعالى كقول ابن عاشر ويتّقي الشهيد في البطش والسعي لممنوع يريد.

فَلْتَتَّقِ الله إِذَا بَطَشْتَا وَلْتَتَّقِ الله إِذَا سَعَيْتَا

أي فلتخف (الله) أيها السالك وتراقبه وقد تقدّم معنى التقوى. (إذا بطشتا) أي إذا أردتِ أن تأخذ بيديك شيئا أو تلمس جسدا. فانظر هل هو ممّا يحلّ لك أخذه أو لمسه أم لا. فإن كان ممّا يباح لك أخذه أو ملامسته فلا جناح عليك وإن كان ممّا حرّم الله عليك فاجتنبه. وإن اشتبه عليك فقف حتّى تعلم حكم الله فيه قال ابن عاشر.

ويوقف الأمور حتّى يعلما ما الله فيهنّ به قد حكما

وقال سيدي عبد الرحمان الأخضري. ولا يحلّ له أن يقدم على أمر حتّى يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء ويقتدي بهم. وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (1) قوله (ولتتّق الله إذا سعيتا) أي مشيتا قال صاحب الرسالة ،لا تسع بقدميك فيما لا يحلّ لك اهـ ثمّ قال مشيرا إلى أنّه يجب على المكلّف أن يراقب الله في كلّ الحركات والسكنات :

أَطِعْ إِلَهَكَ بِكُلِّ الحَرَكَاتْ أَطِعْ إِلَهَكَ بِكُلِّ السَّكَنَاتْ

أي امتثل أمر إلهك وقِف عند حدوده بامتثال الأوامر واجتناب النواهي (بكلّ الحركات) أي في كلّ حركة كانت قلبية تحرّك القلب لفعلها. فانظر في تلك الحركة إن كانت في طاعة فاسرع في فعلها لئلاّ يفسد الشيطان تلك النيّة الصالحة ويفوتك ثوابها وإن كانت في معصيّة فاجتهد في إبدالها بطاعة. وإن نازعتك النفس

1- سورة الأنبياء الآية: 07.

فسوفها واستعن با لله عليها وذكّرهـا بـالموت. عمـلا بقـول النبي صلّـى ا لله عليـه وسلّم: (**اذكروا هازم اللذات**) الحديث وكذا إن كانت الحركة بدنيّة من سعيٍ في خير فاسرع في إمضائه. وإن كان في شرّ فتوانـى وجـاهد نفسـك في تركـه وإن طوعتك في تركه فجاهدها في إبداله بخير. وإن طاوعتك على ذلك فراقبها واحـذر غوائلها. كما قال سيدي البوصيري. وراعها وهي في الأعمال سائمة البيت وكـذا (أطع إلهك) أي خالقك ومعبـودك (بكـلّ السكنات) سـواء بسـواء أي فلتكـن في الخوف من ا لله والمشاهدة له علـى حـدّ سواء في السرّ والعلانيّـة. وفي الإجتمـاع والفرقة. واليسر والعسر. والصحّة والسقم. والفقر والغِنَى اهـ .ثمّ قال:

وَاضبِطْ لِلأَرْكَانِ بِشَكْلِ الطَّاعَاتْ   فَضَبْطُـهَا مِـنْ أَرْبَـحِ الْبِضَاعَاتْ

(واضبط) أي حافظ (للأركان) أي على الأركان أي القواعد التي بني عليها الإسلام وهي القواعد الخمس التي بيّنها النبي صلّى ا لله عليـه وسـلّم بقولـه: (**بُـني الإسـلام علـى خمس. شهادة أن لا إلـه إلاّ ا لله وأنّ محمّـدا رسـول ا لله. وإقـام الصلاة. وإيتاء الزكاة. وحجّ البيت. وصوم رمضان**) رواه البخاري ومسـلم اهـ وقوله (بشكل الطاعات) أي بأنواع الطاعات التي تدين بها ربّك وتعبده بها فإنّك ما خلقت إلاّ لأجلها قال تعالى: ﴿**وما خلقت الجـنّ والإنـس إلاّ ليعبـدون**﴾ (1) هذا وقد أودع عندك جوارح ووظّف عليها وظائف شرعية. وهـي شـهود لـك أو عليك. قال تعالى: ﴿**يوم تشـهد عليهـم ألسنتهم وأيديهـم وأرجلهـم بمـا كـانوا يعملون**﴾ (2) ولذا قال (فضبطها) أي المحافظة عليها بشـروطها وآدابهـا وأوقاتهـا (من أربح البضاعات) أي رأس مالك الذي عاملت به مولاك. ابـن عاشـر ويحفـظ المفروض رأس المال البيت. وفي ابن حمدون ما نصّه:

العمر أغلـى بضاعةْ فاصرفه في ا لله طاعةْ واربأ بنفسك عن أن تـكون ممّـن أضاعه

1- سورة الذاريات الآية: 56.   2- النـور الآية: 24.

آخر:

أليس من الخسران أنّ لياليا   تمرّ بلا نفع وتحسب من عمري

غيره:

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس   عليه من الإنفاق في غير واجب

ولأجل هذا عظمت مراعات السلف الصالح رضي الله عنهم لأنفاسهم ولحظاتهم. وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم. ولم يضيّعوا أعمارهم في البطالة والتقصير. ولم يقنعوا من أنفسهم لمولاهم إلاّ بالجد والتشمير وقد قال علي رضي الله عنه بقيّة عمر المؤمن ما لها ثمن يدرك فيها ما فات ويحيى ما أمات. وقد نظمه بعضهم فقال:

بقيّة العمر عندي مالها ثمن   وإن غدا خير محبوب من الثمن

يستدرك المرء فيها ما أفات ويحـ   ـي ما أمات ويمحو السوء بالحسن اهـ

ولأجل محافظتهم على الأوقات لا يرتكبون المباحات إلاّ بنيّة تقلّبها قربة فتكون من المندوبات أو الواجبات ولذا لم يكن في طريق القوم مباح كما تقدّم عن المدخل. وانظر شروح الحكم عند قوله:

ما فات من عمرك لا عوض له   وما حصل لك منه لا قيمة له اهـ منه

ثمّ قال مشيرا لما ذكر:

فَهِيَ شُهُودٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَا   يَوْمَ الجَزَا فَاشْدُدْ بِذَا يَدَيْكَا

(فهي) أي الجوارح السبعة التي هي اللسان. والعينان. واليدان. والرجلان. والأذنان والبطن والفرج. أي فإذا صرّفتها فيما أحلّ الله لك. وكففتها عمّا حرّم عليك فتكون (شهود لك) (أو) بمعنى الواو أي وإذا اقتحمت بها ما حرّم عليك فهي شهود (عليكا) وذلك (يوم الجزا) أي اليوم الذي قال تعالى: ﴿ **اليوم تجزى**

كلّ نفس بما كسبت﴾ (1) الآية وهو **﴿يوم التلاقي يوم هم بارزون﴾** (2) أي خارجون من قبورهم **﴿ يوم يقوم الناس لربّ العالمين﴾** (3) وفي صعيد واحد وهو يوم المحشر الذي قال فيه تعالى: **﴿ويوم نحشرهم جميعا﴾** (4) فيجازي المؤمنين المطيعين. ويعاقب الكافرين ومن لم يتب عليه من عصاة المؤمنين. قال تعالى: **﴿ يوم نحشر المتّقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين إلى جهنّم وردا﴾** (5) وقوله (فاشدد بذا) أي بالمحافظة على الطاعات وعلى الجوارح المودعة عندك التي ستشهد لك أو عليك (يديكا) أي أمسك يديك عليها وهذا مقتبس من قوله تعالى: **﴿فمن يكفر بالطاغوت ويومن با لله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾** (6) الآية وقوله صلّى الله عليه وسلّم:(**عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين عضّوا عليها بالنواجذ**) وقوله صلّى الله عليه وسلّم: (**سيأتي على أمّتي زمان يصير القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر**) أو كما قال. اهـ وألف يديكا وعليكا. للإطلاق وا لله أعلم. ولمّا أنهى الكلام على حكم البطش والسعي. شرع يتكلّم على التوقّف عند اشتباه الأمور فقال:

فصل في التوقف في الإقدام على الأمور حتى يعلم حكم الله فيها

أي فيما يجب من (التوقّف في الإقدام على الأمور) التي اشتبهت (حتّى يعلم حكم الله فيها) وحينئذ يفعل أو يترك. أو يأتي ويذر. كما قدّمنا من قول سيدي عبد الرحمن الأخضري (ولا يحلّ له أن يقدم على أمر حتّى يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء. أي فيما أشكل عليه. ثمّ قال محذّرا :

إِيَّاكَ أَنْ تَقْدِمَ يَاصَاحِ عَلَى ... أَمْرٍ بِدُونِ حُكْمِ عِلْمٍ وَاسْأَلاَ

1- سورة غافر الآية: 17.
2- سورة غافر الآيتان : (15 ، 16)
3- سورة المطففين الآية: 6.
4- سورة يونس الآية: 28.
5- سورة مريم الآية: 85.
6- سورة البقرة الآية: 256.

(إيّاك) هي للتحذير من الوقوع في مهلكة كما قال ابن مالك. إيّـاك والشرّ ونحوه نصب محذّرا. البيت قال ا لله تعالى حكاية عن سيّدنا صالح حيث حذّر قومه من عقر الناقة ﴿ **فقال لهم رسـول ا لله ناقـة ا لله وسـقياها.** ﴾ (1) فناقـة منصـوب على التحذير والكلام على حذف مضاف أي ذروا عقرها واحذروا سقياها. اهـ كما في الصاوي (ياصاح) منادى مرخـم أي ياصاحبي (علـى أمـر) التبس عليك (بدون حكم علم) أي بدون أن تعلم حكم ا لله فيه من الشرع العزيز وإذا لم تعلم حكم الشرع فيه (واسألا) أي اسأل العلماء لأمر ا لله تباركَ وتعالى بذلك قال جلّ من قائل: ﴿**فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (2) اهـ ثمّ قال:

فَـإِنْ سَأَلْـتَ وَعَلِمْـتَ فَـاقْدَمَا   حِينَئِـذٍ عَلَـى الأُمُـورِ تَسْلَـمَا

أي فإذا علمت الحكم في الأمر من العلم الشرعي أو من سؤال من تثق بدينه من العلماء العاملين المقتدى بهم (فاقدما) أي أقد من عليه (حينئذ) أي حين يظهر لك الحكم الشرعي الصريح (علـى الأمـور) أي في الأمـور أو الأمـر الـتي أو الـذي كانت أو كان ملتبسا عليك (تسلما) أي من الوقوع في الإثم أو المتشـابهة. لقـول رسـول ا لله صلّـى ا لله عليـه وسلّم: (**فمـن اتّقـى الشـبهات فقـد استبرأ لدينـه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمـى يوشـك أن يرتع فيه**) الحديث بطوله رواه البخاري ومسلم اهـ وألِف تسْلما منقلبة عن نـون التوكيد الخفيفة كألف فاقدما اهـ وا لله أعلم ثمّ قال:

فَمَـنْ عَصَـى بِالجَهْلِ فَهْوَ مَدْحُورْ   مُطَـرَّدٌ فِـي الـدِّينِ غَـير مَعْذُورْ

(فمن) أي الذي (عصى) ا لله بترك طلب العلم والسؤال الواجبين عليه بقول ا لله تعالى: ﴿**فاعلم أنّه لا إله إلاّ ا لله**﴾ (3) وقوله تعالى: ﴿ **فسـئلوا أهـل الذكـر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (4) وبقول النبي صلّى ا لله عليه وسلّم: (**طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة**) الحديث.

1- سورة الشمس الآية: 13.   2- سورة الأنبياء الآية: 07.

3- سورة محمد الآية: 19.   4- سورة الأنبياء الآية: 07.

ثمّ تعدّى محارمه وحدوده أي ارتكب محارمه وتعدّى حدوده (بالجهل) أي لحكم الله في تلك المعصيّة التي ارتكبها. كمن لم يدر مثلا هل الغيبة حرام أو جائزة أم لا. أو الكذب أو الزنا أو شرب الخمر. أو عصره. أو بيعه. أو غير ذلك من المحرّمات. وارتكب شيئا منها عن جهل (فهو مدحور مطرد) مطرد عطف تفسير إذ المدحور هو المطرد. قال تعالى: ﴿**ويقذفون من كلّ جانب دحورا**﴾ (1) أي يبعدونهم عن مجالس الملائكة. يقال دحره دحرا ودحورا إذا طرده وأبعده. كذا في معالم التنزيل اهـ قوله (في الدين) أي في حكم دين الإسلام وهو أي الجاهل (غير معذور) أي بجهله لأنّ الله تبارك وتعالى أمر بالعلم قبل العمل فقال تعالى: ﴿**فاعلم أنّه لا إله إلاّ الله واستغفر لذنبك**﴾ (2) وهكذا ترجم البخاري بقوله (باب العلم قبل العمل) وعليه فالعبادة الخالية عن علم بحكمها لا تعدّ عبادة أصلا يؤخذ من قوله صلّى الله عليه وسلّم: (**طلب العلم فريضة**) الحديث المتقدّم وقوله صلّى الله عليه وسلّم: (**أطلبوا العلم ولو بالصين**) ولذا قال الناظم (غير معذور) أي بالجهل فقد قال العلماء إذ كان الجاهل يعذر بالجهل فلا فائدة في العلم. اهـ

ثمّ قال مبيّنا لتلك المعصيّة وأنّها ليست معصية واحدة فحسب بل هي معصيتان كما قال :

لأنّـهُ عَصَـى بِتَرْكِـهِ السُّؤَالْ ثُـمَّ عَصَـى أَيْضًـا بِفِعْلِهِ الضَّلَالْ

(لأنّه) أي الجاهل (عصى) أوّلا (بتركه السؤال) أي سؤال العلماء الذي أمر الله به عند عدم العلم بحكم الله في الأمر المقصود كما قال تعالى في الآية المتقدّمة (ثمّ عصى أيضا) أي معصية اخرى (بفعله الضلال) أي ارتكابه المعصيّة أو المعاصي التي هي الضلال عن الطريق المستقيم الذي قال فيه تعالى: ﴿**وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه**﴾ (3) الآية اهـ ثمّ قال زيادة في تقبيح الجهل :

1- سورة الصافات الآيتان (8 ، 9)   2- سورة محمّد الآية: 19.   3- سورة الأنعام الآية: 153.

فَالجَهْلُ شَرٌّ مَا بِهِ سَالَ الوِعَا لأَنَّهُ عَادٍ هَصُورٍ وَعْوَعَا

(فالجهل شرّ) أي أقبح وأشنع (ما به سال الوعا) أي ما به نطق المرء أو فعله لأنّ الإنسان وعاء كالإناء يوضع فيه الحسن والقبيح .فالإنسان وعاء صالح لقبول وضع الحسن الذي هو العلم. ولوضع الشرّ الذي هو الجهل. كما أنّ الإناء يوضع فيه. السمن والعسل واللبن. ويوضع فيه الخمر وغيره من المستقذَرات. وهو كما قيل: وكلّ إناء بالذي فيه يرشح. وقول من قال:

إنّ الكلام لفي الفؤاد وإنّما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ثمّ قال زيادة في تقبيحه أيضا وتحذيرا من صحبة أهله (لأنّه عاد) أي الجهل (عاد) أي من الأضرار التي تعدى كما قيل:

لا تصحب الكسلان في حالته كم صالح بفساد -آخر يفسد

عدو البليد إلى الجليد سريعة كالجمر يوضع في الرماد فيخمد

غيره:

إن كنت تبغي العلم من أهله أو شاهدا يخبر عن غائب

فاعتبر الأرض بأسمائها واعتبر الصاحب بالصاحب اهـ

غيره:

عن المرء لا تسأل واسأل عن قرينه فكلّ قرين بالمقارن يقتدي

فإن كان ذا شرّ فجنبه سرعة وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي

ولذا قال المصنّف (هصور) أي مثل السبع في افتراسه (وعوعا) أي ذا صوت شديد مهول. ولشدّة هول صوته قال فيه تعالى: **﴿كأنّهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة﴾** (1) فالمقصود أي الموصوف بالقصورة في الآية السبع. كما للمفسّرين. والمعنى وا لله أعلم فكما أنّ السبع عاد على الحيوانات مفترس لها

1- سورة المدثر الآيتان :(50،51).

فكذلك الجهل الناشئ عن إغواء الشيطان وغروره. وتزيينه للنفس الراحة والكسل والشهوات والتواني والإغراء بطول الأمل. فإبليس في الحقيقة هو المصور الوعواع. وهو الذي يسعى في إضلال بني آدم ليبرّ يمينه الذي قصّه الله تبارك وتعالى علينا في الذكر الحكيم في غير ما آية قوله: ﴿ **فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين**﴾ (1) ﴿ **فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم**﴾ (2) الآية إلى غير ذلك من الآيات اهـ ثمّ قال:

فَلْتَسْتَعِذْ بِا للهِ مِنْهُ أَبَدًا   فَإِنَّهُ دَاءٌ عُضَالٌ عَرْبَدًا

أي فلتستجر ولتتحصّن (با لله منه) أي من الجهل (أبدا) أي دائما (فإنّه) أي الجهل (داء عضال) يقتل صاحبه وهو حيّ كما قيل

وذو الجهل ميّت وهو يمشي على الثرى   يعدّ من الأحياء وهو عديم

(عربدا) أي شديد. ففي المنجد عربد عربدة ساء خلقه فهو عربيد ومعربد العربد والعربد الشديد من كلّ شيء يُقال غضب غضبا عربدا. الذكر من الأفاعي اهـ منه اهـ

ثمّ شرع يتكلّم على أعظم أمراض القلوب فقال:

فصل في الكبر - والعياذ بالله -

الكِبْرُ أَعْظَمُ ذُنُوبِ القَلْبِ   لأَنَّهُ يَصْرِفُهُ عَنْ قُرْبِ

أخبر رضي الله عنه بأنّ (الكبر) من (أعظم ذنوب القلوب) بل هو أعظمها كما قال وهو كذلك. فقد ورد أنّ كلّ ذنب يأتي معه الفتح إلاّ الكبر. فإنّه مطبوع على قلب صاحبه. لقوله تعالى: ﴿**كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبّر جبّار**﴾ (3) ولذا قال المصنف (لأنّه) أي الكبر (يصرفه عن قرب) أي من

1- سورة ص الآية: 82.   2- سورة الأعراف الآية: 16.

3- سورة غافر الآية: 35.

حضرة الربّ تبارك وتعالى. لما ورد في الأحاديث المروية عن النبي صلّى الله عليه وسلّم منها الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: (**ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذّاب وعائل مستكبر**) أي فقير. وقال :(**إنّ الله تعالى يبغض ثلاثة نفر وبغضه لثلاثة منهم أشدّ. أوّلها يبغض الفسّاق وبغضه للشيخ الفاسق أشدّ. والثاني يبغض البخلاء وبغضه للغنيّ البخيل أشدّ. والثالث يبغض المتكبّرين وبغضه للفقير المتكبّر أشدّ**) وقال صلّى الله عليه وسلّم: (**لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبّة خردل من كبر**) اهـ كما في تنبيه الغافلين. ومنه أيضا قال الفقيه رضي الله عنه إعلم أنّ الكبر من أخلاق الكفّار والفراعنة والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين. لأنّ الله تعالى وصف الكفّار بالكبر فقال: ﴿**إنّهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلاّ الله يستكبرون**﴾ (1). وقال وقارون وفرعون وهامان ﴿**ولقد جاءهم موسى بالبيّنات فاستكبروا في الارض وماكانوا سابقين**﴾ (2) وقال: ﴿**إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين**﴾ (3). وقال: ﴿ **أدخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبيس مثوى المتكبّرين**﴾ (4). وقال: ﴿**إنّه لا يحبّ المستكبرين**﴾ (5).

وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال: ﴿**وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا**﴾ (6) يعني متواضعين. ومدحهم بتواضعهم وأمر نبيّه صلّى الله عليه وسلّم بالتواضع فقال: ﴿**واخفض جناحك للمؤمنين**﴾ (7) ﴿**واخفض جناحك لمن اتّبعك من المومنين**﴾(8) ومدح النبي صلّى الله عليه وسلّم بخلقه فقال: ﴿**وإنّك لعلى خلق عظيم**﴾ (9). وكان خلقه التواضع لأنّه روى أنّه

1- سورة الصافات الآية :35. 2- سورة العنكبوت الآية: 39. 3- سورة غافر الآية: 60.
4- سورة غافر الآية: 76. 5- سورة النحل الآية: 23. 6- سورة الفرقان الآية: 63.
7- سورة الحجر الآية: 88. 8- سورة الشعراء الآية: 215. 9- سورة القلم الآية: 04.

كان يركب الحمار ويجيب دعوة المملوك فثبت أنّ التواضع من حسن الأخلاق. وكان الصالحون من قبل أخلاقهم التواضع. فوجب علينا أن نقتدي بهم رضي ا لله عنهم اهـ.

وروى عن أبي هريرة رضي ا لله عنه أنّه بعثه عمر بن الخطّاب أميرا على البحرين فدخل البحرين وهو راكب على حمار وجعل يقول: طرّقوا للأمير طرّقوا للأمير، فهؤلاء أصحاب رسول الله صلّى ا لله عليه وسلّم كان خلقهم التواضع وكانوا أعزّاء عند الخلق وعند الملائكة وعند ا لله سبحانه وتعالى اهـ.

(موعظة) ففي قصّة جبلّة بن الأهمّ ما يكفي المؤمن موعظة عن الكبر. وهي أنّه لّما أخذه عمر رضي ا لله تعالى عنه بالقصاص لمن كسر أنفه قال: أيقتصّ منّي وأنا مِلِك حتّى حمله ذلك على أن ارتدّ وقال:

تنصّرت بعد الحقّ عارا للطمة ولم يك فيها لو صبرت لها ضرر

وأدركني فيها لجاج حميّة فبعت لها العين السليمة بالعور

فياليت أمّي لم تلدني وليتني صبرت على القول الذي قال لي عمر

وفي الحديث (**السعيد من وعظ بغيره**) اهـ ثمّ نبّه على مصدره فقال:

مَصْدَرُهُ الحَمَقُ وَالخَبَالُ وَعَنْهُ غَالِبًا أَتَى الضَّلَالُ

أي منشؤه الذي يصدر منه هو (الحمق) الذي هو أكبر الأدواء وذلك أنّه لم يوجد له دواء بعد فحص أطبّاء أدواء العقول كما قيل:

لكلّ داء دواء يستطَبّ به إلاّ الحماقة أعيت من يداويها

فالأحمق هو من ليس له ملكة يملك بها نفسه عند الغضب أو هو فاسد العقل. وقال بعضهم: حدّ الحمق أنّه قلّة الإصابة ووضع الشيء في غير الموضع الذي وُضع له. وقال رسول الله صلّى ا لله عليه وسلّم: (**الأحمق أبغض الخلق إلى ا لله إذ حرمه أعزّ الأشياء عليه**).وروى أنّ عيسى أتى بأحمق ليداويه فقال: أعياني دواء الأحمق ولم يعييني مداوة الأكمه والأبرص. وقال الحسن بن علي رضي ا لله

عنهما: هجران الأحمق قربة إلى الله تعالى. وقالت الحكماء: يَضلّ عقله عن مجاورة الأحمق. وقالوا مثَل الأحمق مثل الثوب الخلق إن رفأته من موضع تخرّق من موضع آخر. و لله درّ القائل:

اِتّـق الأحمـق لا تصحبـه	إنّما الأحمق كالثوبِ الخلق
كلّما رقّعتـه مـن جانب	حرّكته الريح وهنا فانخرق
وإذا عاتبته كـي يرعـوي	زاد جهلا وتمادى في الحمق

من فتح الرحيم الرحمن اهـ

(و) أي ومصدره أيضا أي الكبر يكون من (الخبال) أي فساد العقل إذ لا يتكبّر على الناس ولا يعرض على الحقّ استكبارا إلاّ من أصابه خبل في عقله من أمراض القلوب التي أعظمها الكبر كما قال (و) أي وإذا علمت أنّ مصدره ممّا ذكر فهمت أنّ (عنه) أي عن الكبر (غالبا) أي في غالب الأحوال (أتى) أي جاء (الضلال) أي العمى عن الطريق السويّ. قال تعالى: ﴿ **فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾ (1). وقال: ﴿**ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيّقا حرجا**﴾ (2) الآية. ثمّ قال رحمه الله مشيرا إلى بعض ما ينشأ عن الكبر من الصفات الذميمة والأخلاق السيّئة .

صَاحِبُـهُ يَحْقِرُ كُلَّ النَّاسِ وَيَـجْحَـدُ الحَـقَّ وَلاَ يُوَاسِي

(صاحبه) أي الكبر (يحقر كلّ الناس) أي جميعهم ويرى أنّهم دونه لما يرى لنفسه من الفضل عليهم وهذا غاية الشرّ والضلال لقول النبي صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الذي رواه مسلم (**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرّات بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم**) الحديث (و) أي وإذا كان بهذه المثابة فإنّه (يجحد الحقّ) أي ينكره لما تسوّل له نفسه أنّه أعظم من أن يؤخذ منه الحقّ لغيره. كما فعل جبلّة بن الأهمّ كما في الموعظة السالفة الذكر. قوله (ولا يواسي) أي لا يعطي الإنصاف

1- سورة الحج الآية: 46.
2- سورة الأنعام الآية: 125.

من نفسه لما انطوت عليه سريرته من الكبر والعزّة. ومن هذا حاله فهو شبيه بالأخنس بن شارق الذي قصّ الله تبارك وتعالى عنه بقوله: ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه**﴾ (1) الآية اهـ. ثمّ قال:

يُشَارِكُ الإِلَهَ فِي الصِّفَاتِ ... بِزَعْمِهِ أَوْلَى لَهُ مِنْ آتِ

(يشارك) أي المتكبّر (الإله) أي المعبود بحقّ سبحانه وتعالى (في الصفات) أي فيما اختصّ به تعالى من الصفات. فإنّ العظمة والكبرياء ليستا إلاّ له عزّ وجلّ. ففي الحديث عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (**يقول الله عزّ وجلّ: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما ألقيته في النار**) وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: (**ثلاثة لا يسأل عنهم رجل نازع الله رداءه فإنّ رداءه الكبر وإزاره العزّ ورجل في شكّ من أمر الله والقنوط من رحمته**) وعن حارثة ابن وهب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (**ألا أخبركم بأهل النار كلّ عتلّ جواز مستكبر**) اهـ من الترغيب والترهيب الجزء الثالث رقم (563) اهـ (بزعمه) أي الكاذب (أولى له من آت) أي ليس له من معط لما زعم فإنّ الله تبارك وتعالى منزّه عن الشريك في صفاته وأفعاله. ولا معطي لما منه سواه ﴿ **هل له تعلم له سميّا** ﴾(2) اهـ ثمّ قال: مستهجنا ومستدلاّ على نقصان عقل المتكبّر:

وَدَلَّ عَلَى نَقْصٍ بِأَهْلِ الكِبْرِ ... وَعَنْ دَنَاءَةٍ بِهِمْ فِي القَدْرِ

تَرَى القَصِيرَ يَتَسَوَّرُ التُّلُولْ ... لِيَسْتَطِيلَ زَاعِمًا أَنْ ذَاكَ طُولْ

أي وممّا يدلّك على نقصان عقول المتكبّرين (وعن دناءة) قدرهم أنّك أيها المتأمّل في حالهم (ترى) أي يستبين لك من دناءتهم أنّ (القصير) مثلا (يتسوّر

1- سورة البقرة الآية: 204.

2 - سورة مريم الآية: 65.

التلول) أي يعلو عليها ليستطيل أي يرتفع (زاعما أنّ ذاك طول) أي ذلك الإرتقاء والعلوّ على الأماكن المرتفعة طول. وهذا زعم فاسد كاذب حيث علا وارتفع بما ليس له. وقد قال الله تعالى: ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحا إنّك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا** ﴾ (1) أي ذا مرح بالكبر والخيلاء. فإنّك لن تخرق الأرض تثقبها حتّى تبلغ آخرها بكبرك ﴿**ولن تبلغ الجبال طولا**﴾ المعنى أنّك لا تبلغ هذا المبلغ فكيف تختال. اهـ ذو الجلالين. الصاوي.

قوله ﴿طولا﴾ تمييز محمول عن الفاعل أي ولن يبلغ طولك الجبل. وهذا تهكّم على العبد المتكبّر. كأنّ الله يقول له شأن المتكبّر أن يرى كلّ شيء أحقر منه وأنت ترى كلّ شيء أعظم منك لأنّك بمشيك على الأرض لن تخرقها حتّى تدركها. ولن يبلغ طولك الجبل حتّى تكون أعلى منها فلا يليق منك التكبّر. اهـ الجزء الثاني رقم (350) اهـ ثمّ أشار إلى ما يلحق المتكبّر من المقت وغيره فقال:

بَشِّرْهُ بِالمَقْتِ وَخَفْضِ القَدْرِ   وَمَوْتَةِ السُّوءِ وَشَرِّ العُمْرِ

وَبِالجَحِيمِ وَشَرَابٍ مِنْ حَمِيمٍ   آنٍ وَزَقُّومٍ مُنَغِّصٍ أَلِيمٍ

أي بشر أيها العاقل أو السالك المتكبّر (بالمقت) من الله تعالى للأحاديث المتقدّمة (و) أي وبشّره أيضا بـ (خفض القدر) أي عند الله ورسوله والمؤمنين والملائكة. (و) أي وبشّره بـ (موتة السوء) أي الخروج من الدنيا على سوء الخاتمة والعياذ بالله (و) أي وبشّره كذلك بـ (شرّ العمر) حيث قضى عمره في هاته الفعلة القبيحة السيّئة. قال صلّى الله عليه وسلّم (**خيركم من طال عمره وحسن عمله وشرّكم من طال عمره وساء عمله**)(و) أي وبشّره (بالجحيم) الذي هو طبقة من طبقات جهنّم (و) أي وبشّره بـ (شراب حميم آن) أي بلغ إيناه في الحرارة (و) أي وبشّره بـ (زقّوم) أي بالأدنى من شجرة الزقوم التي قال الله تعالى في وصفها:

1- سورة الإسراء الآية:37.

﴿ إن شجرت الزقوم طعام الاثيم كالمهل تغلي في البطـون كغلي الحميـم﴾ (1) الآية وهي أي شجرة الزقوم. أخبث الشجر المرّ بتهامة ينبتها الله تعـالى في الجحيـم **﴿طعام الاثيم﴾** أبي جهل وأصحابه ذوي الإثـم الكبير **﴿كـالمهل﴾** أي كـدردي الزيت الأسود خبر ثان **﴿تغلي في البطـون﴾** خبر ثـالث **﴿كغلي الحميـم﴾** المـاء الشديد الحرارة. هكذا في تفسير ذي الجلالين اهـ منه الجزء الرابع رقـم (55) اهـ وهـذا العـذاب المتنـوع بهـذه الأنـواع (منغـص اليـم) أي شـديد الحـزن والندامـة والعذاب الأليم. اهـ .

ثم لما أنهى الكلام على الكبر شرع يتكلم على العجب الـذي هـو الكبر وزيادة فقال:

فصـل فــي العجب

العجب هو استعظام النعمة والركون إليهـا مـع نسيان إضافتهـا إلى المنعـم. وهو مذموم في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلـى الله عليه وسـلم. قـال تعـالى: **﴿ ويـوم حنـين إذ أعجبتكـم كـثرتكم﴾** (2) الآيـة ذكـر ذلـك في معـرض الإنكـار وقـال: **﴿ وظنــوا أنهـم مـانعتهم حصونهـم مـن الله فأتـاهم الله مــن حيـث لم يحتسبوا﴾** (3) فرد على الكفار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم. وقال صلـى الله عليه وسلم: **(ثلاث مهلكـات، شـح مطـاع، وهـوى متبـع، وإعجـاب المـرء بنفسه)** وله آفات مع الله ومع عباده. فآفاته مع الله هو أن المعجب بنفسه ينسى ذنوبه ولا يرى عيوبه. وما يتذكره منها يستصغره. ويظن أنه تغفر له وأنه عنـد الله بمكان. فلا يجتهد في تلافيها فيأمن مكر الله وعذابه. ويستعظم العبادة إذا صدرت منه ويمن على الله بفعله ويرى أن له عند الله حقا بسببها.ولذا قال في الحكم رب

1- سورة الدخان الآيات: 43،44،45،46.

2- سورة التوبة الآية: 25.

3- سورة الحشر الآية:02.

معصية أورثتك ذلاّ وافتقارا خير من طاعة أورثتك عزا واستكبارا. وآفاته مع العباد هو أنه يتولد منه الكبر - ومن الكبر الآفات الكبيرة التي لا تخفى و لله در القائل:

ومعتقد أن الرياسة في الكبر فأصبح ممقوتا بها وهو لا يدري
يجر ذيول العجب طالب رفعة ألا فاعجبوا لطالب الرفع بالجر

وأصل العجب الجهل المحض فإن الإنسان إنما هو محل لفيضان فضل الله وجوده. والمحل أيضا من جوده وفضله. وعلاجه رؤية منة الله تعالى في كل شيء وفقرك وعجزك في كل شيء. فإن العلم والعمل والمال والجمال كلها منن من الله تعالى عليك. ولو كان شيئا منك كنت تدفع عن نفسك ما لا تريد من الضروريات. كالبول. ولا يمكن ذلك فدل على أن ما بك من نعمة فمن الله. قال تعالى: ﴿ **فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين**﴾ (1) فشاهد إذن أن منته وفضله عليك حيث استعملك في الطاعة و لم يستعملك في المعصية. وانظر إلى الألوف من أقرانك ممن هو أشد منك وأقوى حيث سلبهم ذلك وسخرهم في المخالفة والعصيان. فإذا تحققت ذلك لم يبق في نظرك ما تعجب به أو منه إذ لست الفاعل اهـ من: ابن حمدون رقم (157/165) - **فائـــدة** - وأما الفرق بين الكبر والعجب فقد بينه الشيخ ميارة بقوله. والفرق بينهما أن الكبر يستدعي متكبرا عليه متكبرا به. والعجب لا يستدعي غير المعجب فلو لم يخلق الإنسان إلا وحده لتصوّر أن يكون معجبا. ولا يتصور أن يكون متكبرا إلا أن يكون معه غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال اهـ ثم قال:

العُجْبُ أكْبَرُ مِنَ الذّنوبِ يُحْبِطُ أجْرَ عَمَلِ المَرْبُوبِ
وَيَتْرُكُ الدّيَارَ حَقًّا بَلْقَعَا لأنَّهُ أعْظَمُ وِزْرٍ مَعْمَعَا

1- سورة البقرة الآية: 64.

أي من أكابر الذنوب وأنه (يحبط أجر عمل المربوب) لما في الحديث الذي رواه الديلمي (**أن العجب يحبط عمل سبعين سنة**) ففي ما رواه الطبرني. (**لو كان العجب رجلا لكان رجل سوء**) وما رواه البيهقي. (**لو لم تكونوا تذنبون لصب عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب**) الى غير ذلك (و) أي وحيث كان كما ذكر فانه (يترك الديار حقا بلقعا) أي أخرابا يشير بهذا وا لله أعلم إلى ما قال ابن مسعود. الهلاك في اثنين القنوط. والعجب لأن القانط آيِسٌ من نفع الأعمال وإنما جمع بينهما ومن لازم ذلك تركها. والمعجب يرى أنه ظفر بمراده فلا يحتاج لعمل ومن ثم قال تعالى: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾ (1) ومن تزكية النفس اعتقاد أنها بارة وهو معنى العجب ولذا قال الناظم (لأنه) أي العجب (أعظم وزر) أي ذنب لما ورد من ذم ا لله تعالى له في الآيات المتقدمة وغيرها. فقد يعجب الانسان بعمله وهو مصيب فيه أو مخطئ وقوله (معمعا) أي حارب بصوته الشديد وقاتل وأحرق وترك الديار بلاقع ففي المنجد. (معمع) عمل في عجل الشيء المحترق. صات القوم . قاتلوا شديدا. ساروا في المعمعان. في شدة الحر. المعمعة صوت الأبطال في الحروب. معامع. المعامع أيضا الحروب والفتن. اهـ منه بخ اهـ ثم قال مشيرا إلى رئيس المعجبين.

إِبْلِيسُ فِي العِلْمِ إِمَامُ المُعْجَبِينَ   بِعَمَلٍ وَقُدْوَةٍ لِلمُفْسِدِينَ

(إبليس) اللعين المطرود من رحمة ا لله (في العلم) أي الوارد عن الأنبياء والمرسلين هو (إمام) أي قدوة (المعجبين بعمل) أي بأعمالهم . لأن إبليس هو أول المعجبين بأعمالهم ولذا تكبر عن السجود لسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام. فكان الكبر الناشئ عن العجب أول معصية وقعت في السماء .(و) أي وهو أي إبليس (قدوة) أي إمام (المفسدين) أي في الأرض فإن أول معصية وقعت على وجه

1- سورة النجم الآية:32.

الأرض الحسد ومنه كان قتل قابيل لهابيل. وإبليس اللعين هو الذي زين لنفس قابيل قتل هابيل . ولما قصد قتله و لم يدر كيف يقتله تمثل له إبليس وقد أخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر. وقابيل ينظر فتعلم القتل فوضع قابيل رأس هابيل بين حجرين وهو صابر اهـ ذكره الصاوي . فتبين من هذا أنه قدوة المفسدين. ولا زال وما زال هكذا يزين ويوسوس ويغري على العاصي. فيزين لأهل الأعمال الصالحات أعمالهم ويعظمها في أنفسهم. ويحقرهم أعمال من لم يعمل مثلهم. فينشأ عن ذلك الكبر ومغض الناس أي احتقارهم. فتكون آفات الكبر آفات العجب لأنه الأصل هذا مع العباد. وأما مع ا لله. فكما تقدم أن المعجب ينسى ذنوبه وإذا نسيها وامتن على ا لله بفعلها. فيعمى عن تفقد آفاتها فيضيع كل سعيه أو أكثره إذ العمل ما لم ينق من الشوائب لا ينفع وإنما يحمل على تنقيته منها الخوف والمعجب غرته نفسه بربه فأمن مكره وعقابه وعد أن له على ا لله حقا بِعمله فزكى نفسه وأعجب برأيه وعقله وعمله حتى استبد بذلك و لم تطمئن نفسه أن يرجع لغيره في علم ولا عمل فلا يسمع نصحا ولا وعظا لنظره إلى غيره بعين الإحتقار. فعلم أن العجب إنما يكون بوصف هو كمال في حد ذاته. لكنه مادام خائفا من سلبه من أصله فهو غير معجب به. وكذا الفرح به من حيث أنه نعمة من ا لله تعالى أنعم بها عليه. بخلاف ما إذا فرح به من حيث أنه كمال متصف به مع قطع نظره عن نسبته إلى ا لله تعالى. فإن هذا هو العجب. فهو استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى ا لله تعالى فإن ضمّ لذلك توقعه جزاء عليها لاعتقاده أن له حقا عند ا لله وإنه منه بمكان سمي مدلا والإدلال أخص من العجب. إلى أن قال . ومنها يتعين علاج العجب أيضا وعلاج كل علة إنما يكون بضدها. وعلة العجب الجهل المحض كما علم مما مرّ في حده. وشفاؤه النظر إلى ما لا ينكره أحد. وهو أن ا لله تعالى هو المقدر لك على نحو العلم والعمل والمنعم عليك بالتوفيق الى حيازته ويجعلك ذا نسب أو مال أوجاه. فكيف يعجب

عما ليس إليه ولا منه، وكونه محل ذلك لا يجديه شيئا، لأن المحل لا مدخل له في الإيجاد والتحصيل، وكونه سببا فيه نزول ملاحظته له إذا تأمل الأسباب لا تأثير لها وإنما التأثير لوجودها والمنعم بها. فينبغي أن لا يكون إلا بما أسداه إليه الحق وأجراه عليه وآثره به دون غيره من مزايا جوده وكرمه مع عدم سابقة استحقاق منه لذلك فإن قال أولا ما علم فيّ من صفة محمودة باطنة لما آثرني بذلك قيل له وتلك الصفات أيضا من خلقه وإنعامه. على من انطوى علم خاتمته وعاقبته عن نفسه. كيف يسوغ له عجب بأي نوع فرضن من أنواعه. فإنه لا أعبد من إبليس. ولا أعلم من بلعام بن باعورفي زمنه. ولا أقرب ولا أشفق من أبي طالب على نبينا صلى الله عليه وسلم. ولا أشرف من الجنة ومكة وقد علمت ما وقع لأولئك من سوء الخاتمة والعياذ با لله. فاحذر أن تعجب وتغتر بنسب أو علم أو محل أوغير ذلك. هذا كله إن كنت معجبا بحق فكيف وكثيرا ما يقع الإعجاب بباطل. قال الله تعالى: ﴿ **أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء** ﴾ (1) وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أن هذا يغلب في آخر هذه الأمة. إذ جميع أهل البدع والضلال إنما أصروا عليها بآرائهم الفاسدة. وبذلك أهلكت الأمم السابقة لما افترقوا فرقا وأعجب كل برأيه ﴿ **كل حزب لما لديهم فرحون فذرهم في غمرتهم حتى حين .أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون** ﴾ (2) أي أن ذلك ربما كان فتنة واستدراجا ﴿ **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيد متين** ﴾ (3) اهـ بخ من الزواجر. الجزء الأول رقم 76/75 اهـ ثم قال المصنف مبينا لما صار إليه حال إبليس اللعين حين تكبر عن السجود لسيدنا آدم عليه الصلاة والسلام وأعجب بعلمه وعبادته:

1- سورة فاطر الآية:8.

2- سورة المؤمنون الآيات 53،54،55،56.

3- سورة الأعراف الآيتان: 182، 183.

حَــوَّلَهُ اللهُ بِــهِ لِلشَّيْطَنَــهْ   وَبَــــدَّلَ اللهُ بِـــهِ وَلَعَنَــهْ

أي حيث تكبر وأعجب بنفسه وعلمه وعمله (حوله الله) أي أبدله بالصلاح كفرا. وبالرحمة والرضا اللعنة والغضب. وبسكنى الجنة. الطرد والهبوط منها. كما قص الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز: ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين**﴾ (1) الآية سورة البقرة رقم 34 (إبليس) قيل مشتق من أبلس إبلاسا بمعنى يئس وهذا هو اسمه في اللوح المحفوظ. ـ **فائدة** ـ قال كعب الأحبار إن إبليس اللعين كان خازن الجنة أربعين ألف سنة. ومع الملائكة ثمانين ألف سنة ووعظ الملائكة عشرين ألف سنة. وسيد الكروبيين ثلاثين ألف سنة. وسيد الروحانيين ألف سنة . وطاف حول العرش أربعة عشر ألف سنة. وكان اسمه في سماء الدنيا العابد. وفي الثانية الزاهد. وفي الثالثة العارف. وفي الرابعة الولي. وفي الخامسة التقي. وفي السادسة الخازن. وفي السابعة عزازيل. وفي اللوح المحفوظ إبليس وهو غافل عن عاقبة أمره. اهـ صاوي قوله (به) أي بالكبر والعجب حوله (للشيطنه) أي صيره شيطانا رجيما. واسم الشيطان مشتق من (شطن) إذ أبعد عن الحق أو عن رحمة الله فتكون النون أصلية ووزنه فيعال. وكل عات متمرد من الجن والإنس والدّوآب فهو شيطان اهـ قاله في المصباح اهـ (وبدّل الله به) أي بعد ما كان في السماوات يتعبد ويعلم الملائكة الكرام صار مطرودا مسكنه في أقبح مكان مع الشياطين (ولعنه) بقوله تعالى ﴿ **وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين** ﴾ (2) اهـ.

ولما أنهى الكلام على العجب شرع يتكلم على ما هو أكبر منه وهو الرياء. الذي هو الشرك الأصغر فقال:

1- سورة البقرة الآية: 34

2- سورة ص الآية: 78.

فصل في الرياء

الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير. هكذا عبر عنه صاحب الحكم ويقال أنه الشرك الأصغر وإلى ذلك أشار إليه الناظم بقوله:

إِنَّ الرِّيَاءَ هُوَ شِرْكٌ أَصْغَرُ ... يُبْطِلُ الأَعْمَالَ بَلاَهُ الأَكْبَرُ

فَهُوَ مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ ... مُبْعِدٌ عَنْ عَالِمِ الغُيُوبِ

الرّياء مشتق من الرؤية. والسمعة مشتقة من السماع. وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير من عبادة ونحوها. وهو حرام موجب لمقت الله تعالى. كتابا وسنة وإجماعا. قال تعالى: ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون**﴾ (1) وقال:﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾ (2) فالإخلاص هو إفراد المعبود بالعبادة. ضد الرياء وفي الصحيح يقول الله تعالى:(**أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه**) اهـ كما في ابن حمدون. ولذا قال الناظم (هو شرك أصغر) كما قال صاحب الرسالة. والرياء الشرك الأصغر. وأما علامته فأشار لها الشيخ ميارة بقوله " وعلامته الكسل والتقليل من العمل في الوحدة والنشاط والتكثير من العمل بين الناس والزيادة في العمل إذا أثني عليه والنقص إذا ذم ". اهـ وإذا كان كذلك فـ (يبطل الأعمال) لأن الله تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا الخالص لوجهه. والمرائي يريد بعمله مدح الناس وهذا هو الداء العضال كما قال (بلاه الأكبر) أي داءه الاعظم. (فهو) أي الرياء (من كبائر الذنوب) التي لا تغفر إلا بالتوبة مع عفو الله تعالى وباجتنابها تغفر الصغائر كما وعد تبارك وتعالى بقوله: ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفرعنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما**﴾ (1) وإلى الآية الكريمة أشار صاحب الرسالة بقوله. وغفر الصغائر

1- سورة الماعون الآيات: 4،5،6،7. 2- سورة البيّنة الآية: 5. 3 ـ سورة النساء الآية: 31.

باجتناب الكبائر وجعل من لم يتب من الكبائر صائرا إلى مشيئته. اهـ وقوله (مبعّد) أي الرياء (عن عَالِمِ الغيوب) أي المطلع على ما أسره العبد وأخفاه قال تعالى: ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾(1). ﴿**ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد**﴾ (2) فلا يخفى عليه تبارك وتعالى ماكان من طاعة المخلص أو المرائي اهـ ثم قال مشيرا إلى أصله :

وَأَصْلُـهُ الطَّمَـعُ فِي الْخَلاَئِقِ   وَالْخَـوْفُ مِنْهُمْ دَأْبُ مَنْ يُنَافِقِ

أَعْمَالُـهُ قَـذِرَةٌ كَـالْجِيفَهْ   عِنْدَ جَمِيـعِ الأَوْلِيَـاءِ عِيفَـهْ

وَمَـنْ يَـرُمْ بِعَمَـلٍ خَسِيسًا   فَهْوَ خَسِيسٌ لَمْ يَزَلْ نَجِيسًـا

(و) أي وإذا أردت أن تعلم أصل الرياء الذي نشأ عنه فـ (أصله الطمع في الخلائق والخوف منهم) أي لتعلق قلبه بمدحهم وخوفه من ذمهم. وينقسم إلى قسمين كما في ابن حمدون ونصه **ـــ تنبيهات ـــ** الأول. الرياء قسمان. جلي يظهر لكل أحد وخفي لا يطلع عليه إلا الخواص ولا يسلم منه إلا العارفون ولا يعرف إلا بالأمارات. قال ابن عباد في شرح الحكم. ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك ومن أماراته أن يلتمس قلبه توقير الناس له وتعظيمه وتقديمه في المجالس ومسارعتهم إلى قضاء حوائجه وإذا قصر أحد في حقه الذي يستحقه عند نفسه. إستبعد ذلك واستنكره انظر تمامه. الثاني أصل الرياء الطمع كما في النصيحة وماعداه مما ذكر في الكبير من خوف المحمدة وخوف المذمة واستجلاب المنفعة ودفع المضرة عنه ينشأ. إذ لولا طمعه في الإنتفاع بالخلق ما أحب مدحهم له ولا خاف ذمهم بل قال ابن عباد. الطمع من آفات النفس وعيوبها القادحة في عبوديتها بل هو أصل جميع الآفات انظره.

(الثالث) علاجه إما بإسقاط الخلق من عينك واليأس منهم برؤية عجزهم عن ضرورياتهم فضلا عن غيرهم ولبعضهم.

1- سورة غافر الآية: 19.   2 - سورة ق الآية: 16.

سوى الله لاتسأله في الدهر حاجة ولا تقصدنـه راجيـا نيل خـيره

فمن لم يكن يقوى على نفع نفسه فكيف يرجى النفـع منه لغـيره

﴿وإن يمسسك الله بضرّ﴾ الآية، إذ لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، فلو جتمع أهل السموات وأهل الارض على أن ينفعوك بما لم يقدره الله لك لم يقدروا على ذلك وبالعكس. وإما بامتلاء القلب بمحبة الله وعظمته حتى لا يبقى للغير فيه نصيب، فإن المحبّ الصادق لا يرى ساعيا إلا فيما يرضى المحبوب وما احسن قول الرفاعي :

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

وإما بإسقاط نفسك من عينك بأن لا ترى لها قيمة ولا مرتبة فلا تبالي بأي حالة يراك الخلق عليها ومن ثم كان الخمول من أعظم قواعد الطريق. اهـ منه اهـ وقوله (دأب) أي الطمع عادة (من ينافق) أي الذي ينافق لأن طمعه في الخلق وخوفه منهم يحمله على الكذب وعلى خلف الوعد وعلى خيانة الأمانة وهذه علامة النفاق كما قال صلى الله عليه وسلم: (**علامة المنافق ثلاث. إذا حدث كذب. وإذا وعد أخلف. وإذا أؤتمن خان**) كما في صحيح البخاري. (أعماله) أي المرائي أو المنافق (قذرة) **أي** ممقوتة شرعا وعقلا وعادة (كالجيفه) أي الميتة منتنة (عند جميع الأولياء) أي أولياء الله الذين والوه بامتثال أمره واجتناب نهيه وهم الذين وصفهم الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿**ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون**﴾ (1) الآية (عيفه) نعت أو وصف للجيفة أي فهو معاف كالجيفة، لما أنه موجب لمقت الله تعالى وذلك لأنه أي الرياء تعلق بالخلق وإعراض عن الخالق وذلك مضاد لحقيقة الإيمان التي تقتضي المعزة أعني رفع الهمة إلى المولى وطمأنينة القلب إليه والثقة به دون من سواه. و لله در القائل:

1- سورة يونس الآية 62

لاتخضعن لمخلوق على طمع   فإن ذلك وهن منك في الدّين
واسترزق الله ممافي خزائنه   فإن ذلك بين الكاف والنون
واعلم بانك لا تنال خردله   إلا بإذن الذي سوّاك من طين اهـ

قوله (ومن يرم) أي يقصد (بعمل) أي من الأعمال الصالحة شيئا (خسيسا) أي من متاع الدنيا الخسيسة القدر عند الله . لما في الحديث (**الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة**) الحديث. (فـ) أي فالذي يقصد بأعماله الصالحة الدنيا الخسيسة ما صدر منه ذلك إلا لكونه (هو خسيس) الهمة ضعيف العقل والدين والمروءة وهكذا (لم يزل نحيسا) أي خسيس القدر وعند الله وعند أوليائه لأن نحس ضد سعد كما في المنجد. ((موعظة)) قد ورد في ذم الدنيا آيات وأحاديث وأخبار فمن الآيات قوله تعالى: ﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون** ﴾ (1) وقوله تعالى: ﴿ **اعلموا أنما الحياة الدينا لعب ولهو زينة وتفاخر بينكم**﴾ (2) الآية ومن الأحاديث قوله صلى الله عليه وسلم: (**الدنيا خضرة حلوة وأن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون. فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**) رواه البخاري. إلى غيره من الأحاديث وأما الأخبار فكثيرة جدا. منها ما روي أن أسعد الناس في الدنيا أرغبهم عنها. وهي الغاشة لمن انتصحها. والمغوية لمن أطاعها. والخاسر من إنقاد لها والفائز من أعرض عنها. طوبى لعبد اتقى ربه وقد قدم توبته من قبل أن ينتقل منها إلى الآخرة

1- سورة يونس الآية: 24.   2- سورة الحديد الآية: 20

ليصبح في بطن موحشة مظلمة لا يستطيع أن يزيد في حسنة ولا ينقص من سيئة. ثم ينشر فيحشر إما إلى جنة يدر نعيمها أو نار لا ينفك عذابها. وفي صحف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام. يقول الله عز وجل يادنيا ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم إني قذفت في قلوبهم بغضك والصد عنك ما خلقت خلقا أهون علي منك إني قضيت عليك يوم خلقتك أن لاتدومي لأحد ولا يدوم لك أحد. و لله درّ القائل:

إن لله عبادا فطنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا	أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا	صالح الأعمال فيها سفنا

وقد قيل لزاهد أي خلق أصغر فقال الدنيا لأنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ومن هوانها عند الله انّه خلقها و لم ينظر إليها ولا يعصى إلا فيها. ولا ينال ما عنده إلا بتركها. وإذا أردت أن تزهد فيها فانظر هي عند من وفي يد من وقال علي كرم الله وجهه : "حلالها حساب وحرامها عقاب ومن طلبها فاتته. ومن نظر إليها اعمته. ومن استغنى فيها فتن. ومن افتقر فيها حزن ". وقال الإمام مالك رضي الله عنه. " الدنيا تخرج حلاوة الإيمان من القلب " وقال حاتم الأصم : " الدنيا مثل ظلك إن تركته تراجع وإن طلبته تباعد " وقال بعض الحكماء " أكرموا من له بيت في الأصل. ومن له مروءة. من له مكانه في العلم. ولايغرنكم سوء حالهم وانقلاب الزمان بهم. فإن الكاسر يجبر كما يكسر ويكسر كما يجبر. وما أعطى الدهر شيئا بيمينه إلا استلبه بشماله. وذكر في الخبر عن عيسى عليه الصلاة والسلام أنه كان ذات يوم ماشيا إذ نظر إلى امرأة عليها من كل زينة فذهب ليغطي وجهه عنها فقالت اكشف عن وجهك فلست بامرأة أنا الدنيا فقال لها ألك زوج فقالت لي أزواج كثيرة، فقال أكل طلقك أم كلا قتلت فقالت بل كلا قتلت. فقال لها حزنت على أحد منهم، فقالت هم يحزنون علي ولا أحزن

عليهم ويبكون علي ولا أبكي عليهم . واعجبا للمتأخرين كيف لا يعتبرون بالمتقدمين" وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوهة الخلقة لا يراها أحد إلا كرهها فتشرف على الخلائق فيقال لهم أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفتها فيقال لهم هذه التي تفاخرتم بها وتحاربتم عليها .ثم يؤمَرُ بها إلى النار. فتقول يارب أتباعي وأصحابي وأحبابي فيلحقون بها. ومعنى إلقاؤها في النار لكي يراها أهلها ويرون هوانها على الله تعالى . اهـ من فتح الرحيم الرحمان لدى قول ابن الوردي.

اطرح الدنيا فمن عادتها　　　تخفض العالي وتُعلي من سفل

أي أترك الدّنيا الخسيسة السّفيهة وخسّتها كانت عادتها أن تخفض العالي أي تهينه وتحقره وتعلي من سفل أن ترفع الذي سفل اهـ وممّا ورد من النّظم في ذمّ الدّنيا قول القائل :

سألت عن الدّنيا الدنية قيل لي　　　هي الدّار فيها الدّائرة تدور

إذا ضحكت أبكت وإن أحسنت أست　　　وإن عدلت يوما فسوف تجور

والقائل :

إنّما الدّنيا غرور ومحنة　　　فالسّفيه والجهول من يصطفيها

ما مضى فات والمؤمّل غيب　　　ولك السّاعة التي أنت فيها

والقائل:

أرى طالب الدّنيا وإن طال عمره　　　ونال من الدّنيا سرورا وأنعما

كبان بنى بنيانه فأتمّه　　　فلمّا استوى ما قد بناه تهدّما

والقائل:

هي الدّنيا تقول لطالبها　　　حذار حذار من بطشي وفتكي

فلا يغرركم منّي ابتسام　　　فقولي مضحك والفعل مبكي

ولله درّ الملاّح حيث قال في تخميسه:

إنّما الأيام في حالتها طبعها جلب الأذى في ذاتها تتبــع التّنغيص في لذاتهــا

إطــرح الدّنيـا فمـن عادتها تخفض العالي وتعلي من سفل اهـ

ثم قال النّاظم يصف الرّياء:

إِنَّ الرِّيَا المَذْكُــورُ فِي العِبَادَهْ وَغَيْــرِهَا لَــمْ يَكُ فِيهِ عَادَهْ

فَالمُتَوَسِّمُ يَــرَى الحَــوَالِكَ عَلى المُرَائِي انسَدَلَتْ هُنَالِكَ

وَمِهْنَــةً وَكِسْفَةَ الــهَوَانِ بِحَسَبِ القَصْــدِ الذِي يُعَانِي

أخبر رحمـه الله بـأنّ الرّيـاء (المذكـور) أي الـذي تقـدّم ذكـره (في العبـادة وغيرها) أي لم تكن فيـه أي في الرّيـاء (عـادة) أي عـادة معهـودة ولا لـه وجـه في عرف ولا شرع وعليه (فالمتوسّم) أي المتّسم به (يـرى) أي ينظـر لطمـاس بصيرتـه (الحوالك) أي الظّلام وهو ظلام الجهالة (على المرائي) أي مرآة قلبه (انسدلت) أي جرت ذيولها عليها (هنالك) اي عند ذلك أي الطمع في الخلائق الذي انسدل على بصيرته وأظلمها ورحم الله البوصيري إذ قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكــر الفم طعم الماء من سقــم

(و)أي والمتسم بـه تلحقـه (مهنـة)أي يصير مهانـا عنـد النـاس لما علم بالضرورة أن من طمع في الناس هان عليهم (و) المتسم به تلحقه (كسـفة الهـوان) مأخوذ من كسفت الشمس إذا ذهـب ضوءهـا فهـو تشبيه.بليغ لصـاحب الريـاء الناشئ عن الطمع لكسف نور بصيرته حيـث تعلق بـالمخلوق دون الخـالق وذلـك (بحسب القصد)أي الكسف والهوان يكون على حسب القصد (الذي يعاني)

أي يقصده و يهدف إليه اهـ والله أعلم وأحكم . ولّما أنهى الكلام على الرّياء، شرع يتكلّم على الحسد فقال :

فصل في الحسد

أي في شوم الحسـد .قبحـه ومضـارّه. وأتبعـه للرّيـاء لقربـه منـه في أشنـع المعاصي وأكبرها لأنّ المرائي يقصد بأعماله رضـاء النّـاس ولـو بسـخط الله تبـارك وتعالى. والحاسد يتسخطّ قدر الله وقسمته كما سيأتي فتنبّه فقال:

الحَسَـدُ الشَّـرُ الـذِي تَتَّسِعُ　　خِـرَقَـةُ عَلَـى الـذِي يُرَقِّعُ

(الحسد) هو تمنّي زوال النّعمة على الغير. وقال أبو حامد الغزالي رضي الله عنه لا حسد إلاّ على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك نعمة فلك فيها حالتان. إحداهما أن تكره تلك النّعمة وتحبّ زوالها وهذه الحالة تسمّى حسدا. فحدّ الحسد إذن كراهة النّعمة وحبّ زوالها على المُنعم عليه. والحالة الثّانية هي التي تسمّى غبطة. وهي أن لا تحبّ زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشاهي لنفسك مثلها. وقال قبل هذا إعلم أن الحسد أيضا من نتائج الحقد. والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه والغضب أصل أصله. ثمّ إنّ للحسد من الفروع الذّميمة ما لا يكاد يحصي. وقد ورد في ذمّ الحسد خاصة أخبار كثيرة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:(**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب**). وقال صلّى الله عليه وسلّم في النّهي عن الحسد وأسبابه وثمراته: (**لا تحاسدوا. ولا تقاطعوا. ولا تباغضوا. ولا تدابروا. وكونوا عباد الله إخوانا**) إلى غير ذلك. إلى أن قال: قال بعض السّلف: (أوّل خطيئة هي الحسد حسد إبليس آدم عليه السّلام على رتبته فأبى أن يسجد له. فحمله على الحسد والمعصية). وحُكى أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلّب وكان يومئذ على واسط فقال: (إنّي أريد أن أعظك بشيء. فقال وما هو. قال آياك والكبر فإنّه أوّل ذنب عصي الله به. ثم قرأ ﴿ **وإذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس**﴾ (1) الآية وإيّاك والحرص فإنّه أخرج آدم من الجنّة. أمكنه الله من جنّة عرضها السّماوات والأرض يأكل منها إلاّ شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله تعالى منها ثمّ قرأ: ﴿ **اهبطوا منها**﴾ (2) الآية. وإيّاك والحسد فإنّما قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ:﴿ **واتل عليهم نبأ ابنى آدم**﴾ (3) الآية. وإذا ذكر أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأمسك. وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا ذكرت النّجوم فاسكت) اهـ.

1- سورة البقرة الآية: 24.　2- سورة البقرة الآية: 38.　3- سورة المائدة الآية: 27.

ـ فائدة وموعظة عظيمة ـ قال أبو بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول:(أحسن إلى المحسن بإحسانه. فإنّ المسيء سيكفيكه إساءته)، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام، فسعى به إلى الملك فقال: إنّ هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أنّ الملك أبخر. فقال له الملك وكيف يصحّ ذلك عندي، قال فادعوه إليك فإنّه إذا دنى منك وضع يده على أنفه لئلا يشمّ رائحة البخر. فقال له انصرف حتّى أنظر. فخرج من عند الملك. فدعى الرّجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرّجل من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال. أحسن إلى المحسن بإحسانه فإنّ المسيء سيكفيكه إساءته. فقا له الملك أُدن منّي فدنا منه فوضع يده على فيه مخافة أن يشمّ الملك منه رائحة الثّوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلاّ قد صدق. قال وكان الملك لا يكتب بخطّه إلاّ جائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطّه إلى عامل من عمّاله. إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إليّ. فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرّجل الذي وشى به إلى الملك فقال ما هذا الكتاب. قال خطّ الملك لي بصلة. فقال هبه لي. فقال هو لك. فأخذه ومضى به إلى العامل. فقال العامل. في كتابك أن أذبحك وأسلخك. قال إنّ الكتاب ليس لي. فا لله ا لله في أمري حتى تراجع الملك. فقال ليس لكتاب الملك مراجعة. فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به. ثم عاد الرّجل إلى الملك كعادته. وقال مثل قوله فعجب الملك وقال. ما فعل الكتاب. فقال لقيني فلان فاستوهبه منّي فوهبته له. قال الملك إنّه ذكر لي أنّك تزعم أنّي أبخر قال . ما قلت ذلك. قال: فلم وضعت يدك على فيك. قال لأنّه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمّه. قال صدقت إرجع إلى مكانك فقد كفى المسيئ إساءته اهـ منه الجزء الثالث رقم (188).

فالحسد حرام بالكتاب والسنة والإجماع. أمّا الكتاب فقوله تعالى: ﴿**أم يحسدون النّاس على ما آتاهم الله من فضله**﴾ (1) والحديث المتقدّم وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم: (**الحسد يأكل الحسنات**) الحديث. والإجماع على تحريمه. وفيه آفتان كما في ابن حمدون. دينية ودنيوية. أمّا الدّينية فلأنّ الحاسد متسخّط لقضاء الله تعالى كاره نعمته التي قسّمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته وذلك تخطئة لما هو عين الحكمة والصّواب. وإساءة الأدب على ربّ الأرباب. ولقد أحسن القائل:

ألا قل لمن ظلّ لي حاسدا   أتدري على من أساءت الأدب
أسأت على الله في حكمه   إذا أنت لم ترض لي ما وهب
فجازاك عنّي بأن زادني   وسدّ عليك وجوه الطّلب

وأمّا الدّنيوية فلأنّ الحاسد مهما تجدّدت النّعمة على المحسود إزدادغمّه وحزنه وربّما كان في ذلك حتف أنفه كما قيل :

أصبر على مضض الحسو   د فإنّ صبرك قاتله
كالنّار تأكل بعضها   إن لم تجد ما تأكله

اهـ

وقال الشّاعر:

دع الحسود وما يلقاه من كمد   يكفيك منه لهيب النّار في كبده
إن لمت ذا حسد فرّجت كربته   وإن صمتّ فقد عذّبته بيده اهـ

وأنشد في الإحياء:

لا مات حاسدوك بل خلدوا   حتّى يروا فيك الذي يكمد
لا زلت محسودا على نعمة   فإنّما الكامل من يحسد اهـ

1- سورة النساء الآية: 54.

وأصله بالنّسبة للمال خوف الفقر الذي هو من سوء الظّنّ با لله. وطول الأمل فيحسد النّاس على شراء الرّخيص والبيع بالغالي وعلى مشاركتهم له في حرفته اهـ منه.

وعليه فحيث كانت فيه آفتان دينية ودنيوية فهو كما قال النّاظم (الشّرّ الذي تتّسع خرقه على الذي يرقّع) ثم قال:

وَهْـوَ مِـنَ الكَبَـائِرِ المُصْلِيَهْ   نَـار الجَحِيـمِ وَهِيَ المُخْزِيَهْ

(و) أي والحسد (هومن) الذّنوب الكبائر (المصلية نار الجحيم) أي التي توجب لمرتكبها الإحراق بنار الجحيم (وهي) أي الذّنوب الكبائر (المخزية) أن التي توجب لمرتكبها الخزي في الدّنيا والآخرة فخزي الدّنيا هو ما يصيب الحاسد من الغمّ والحزن والذّلّة وضيق الصّدر. كما قال إمامنا مالك رحمه ا لله :

إنّي لأرحـم حـاسدي لفرط ما   ضاقت صدورهم من الأوغـار

نظروا صنيع ا لله بـي فعيونهـم   فـي جنّـة وقلوبهـم في نـار

لا ذنب لي قد رمت كتم فضائلي   فكأنّمـا علقتهـا بسنـار

وأمّا في الآخرة فالإصلاء بنار الجحيم إن لم يتب. أويعفو ا لله عنه اهـ ثمّ أشار إلى ذلك بقوله :

صَـاحِبُـهُ يُمْنَـعُ خَيْـرَ الآخِرَةِ   وَخَيْـرَ دُنْيَاهُ بِمَـا قَـدْ غَامَرَهُ

وَحَسَنَـاتُهُ تَكُـونُ كَـاهِبَا   يَـاكُلُهَـا حَسَـدُهُ الـذّي رَبَا

وَيَبْتَلِيـهِ ا للهُ بِـالغُمُـومِ   وَالشُّـؤمِ وَالأَحْـزَانِ وَالهُمُومِ

لأنّـه لَـمْ يَـزَلِ المَحْسُودُ   فِـي نِعَـمٍ عَطَـاؤُهَا مَمْـدُودُ

(صاحبه) أي الحسد (يمنع خير الآخرة) لأنّه متسخّط لقضاء ا لله تعالى كما تقدّم (و) أي ويمنع كذلك (خير دنياه) (بـ)سبب (ما قد غامره) لأنّ الحاسد مهما تجدّدت النّعمة على المحسود إزداد غمّه إلخ ما تقدّم (و) أي وتصير (حسناته) أي الحسود بأن (تكون كاهبا) أي لا عبرة بها والهباء هو ما يرى في شعاع الشّمس

الدّاخل من الكوّة للبيت. شبّه الله تعالى به أعمال الكفّار بقوله عزّ وجل ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا﴾ (1) أي في عدم الإنتفاع بها. والنّاظم رحمه الله شبّه كذلك أعمال الحاسد بالهباء وذلك لاعتراضه على الله في قسمته. ولأن حسناته (يأكلها حسده) أشار بهذا إلى الحديث المتقدّم وهو قوله صلّى الله عليه وسلّم (**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب**) وقوله (الذّي ربا) أي زاد وكثر (ويبتليه الله بالغموم) لما تقدّم من أنّ الحاسد مهما تجدّدت النّعمة على المحسود زاد غمّه وحزنه (و) أي ويبتليه الله تعالى (بالشّؤم) أي المصائب التي تصيبه من احتراق القلب والغموم (و) أي ما يصيبه من (الأحزان) إذ الحزن هو غمّ يلحق النّفس لفوات نفع في الماضي (و) أي ومن (الهموم) التي تتوالى عليه. فكلّ من الغموم والأحزان والهموم ألفاظ مترادفة متقاربة في المعنى وحقيقتها هي المصائب التي تنزل بالحاسد وذلك (لأنّه لم يزل المحسود في نعم) كما تقدّم في قول القائل . فجزاك عنّي بأن زادني البيت ولذا قال النّاظم (عطاؤها ممدود) أي متزايد اهـ ثمّ قال:

فَـلاَ يَسُـودُ الحَـاسِدُ الغَشُومُ فِـي قَـوْمِهِ لأَنَّـهُ مَـذْمُومُ

(فلا يسود الحاسد) يشير إلى حديث (الحسود لا يسود) (الغشوم) أي الجهول المعترض على الباري سبحانه وتعالى في قسمته (في قومه) أي عشيرته وقرابته وذلك لأنّه (مذموم) أي شرعا وعقلا وعادة اهـ ولذا قال:

لَوْ عَبَدَ الحَسُودُ أَلْفَ عَامِ إِزَاءَ بَيْتِ رَبِّهِ الحَرَامِ

وَمَاتَ دُونَ تَوبَة لَـدَخَلا دَارَ البَوَارِ ذَاتِ حَرْقٍ وصلاَ

أي فحيث كان الحسد محرّما كتابا وسنّة وإجماعا كما علمت ممّا تقدّم فـ (لوعبد الحسود ألف عام) أي لو قدر أنه عاش ألف عام وقلبه مملوء بالحسد وكانت عبادته (إزاء) أي حذاء (بيت ربه الحرام) أي الكعبة المشرّفة (ومات مصرّا على الحسد (دون توبة) أي بشروطها المعلومة وهي النّدم على ما فات

1- سورة الفرقان الآية: 23.

والنّية أن لا يعود إلى ذنب فيما بقي من عمره وردّ الممكن من المظالم كما قال الشيخ ابن عاشر. وتوبة من كلّ ذنب يجترم البيتين وقال ناظم أسهل المسالك

وشرطها عن ذنبه أن يقلعا من فوره والعزم أن لا يرجعا وردّ ظلم ممكن والنّدم اهـ

(لدخلا) ألفه للإطلاق أي لدخل الحسود (دار البوار) أي الهلاك وهي (ذات حرق) أي احتراق (وصلا) أي وذات صلاء أي إحراق ما. قال تعالى: ﴿ **فأما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلّى سعيرا** ﴾ (1) الآية اهـ ثمّ قال :

وَجْهُ الحَسُودِ لاَيَزَالُ فِي سَوَادْ وَذِلَّةٍ وَمَهْنَةٍ عَلَى الأَبَادْ

لأَنَّهُ يَعْتَرِضُ الإِلَهَا فِي حُكْمِهِ فَسُلِبَ انْتِبَاهَا

أَوْلَى لَهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ أَوْلَى لَهُ أَوْلَى لَهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ أَوْلَى لَهُ

(وجه الحسود لا يزال في سواد) أي لما يظهر عليه من سوء سريرته التي أسرّها. قال سليمان التّيمي إنّ الرّجل ليصيب الذّنب في السّرّ فيصبح وعليه مذلّة. اهـ نقله صاحب الزّواجر. ولما ورد من أسرّ سريرة أظهرها ا لله عليه.

(و) أي لا يزال الحسود في (مذلّة) كما تقدّم فيصبح وعليه مذلّة (ومهنة) أي حقارة ومهانة عند النّاس لما ظهر عليه من أثر سريرته السّيّئة (على الأباد) أي على الدّوام أي مادام مصرًا على الحسد. وذلك (لأنّه يعترض الإلها) سبحانه وتعالى (في حكمه) أي لأنّ الحاسد متسخّط لقضاء ا لله تعالى . وهو عين الإعتراض عليه في حكمه. كأنّه يقول له لما قسمت هكذا (فـ) أي فحيث نسب الباري تبارك وتعالى إلى الجور بسبب الإعتراض عليه في حكمه أي قضائه وقدره الذي قدر (سلب) أي سلبه تعالى (انتباها) أي إلى التّوبة من الحسد. ولذا قال (أولى له إن لم يتب أولى له) البيت أي أولى له أي أحقّ له بدخول دار البوار ذات إحراق وصلا) إن لم يتب ومات مصرًا على الحسد. نسأل ا لله السّلامة من هذا العضال الذي قال فيه نبيّنا وحبيبنا سيّدنا محمّد صلّى ا لله عليه وسلّم:

1- سورة الإنشقاق الآيات : 10 ، 11 ، 12.

(دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء. والبغضاء هي الحالقة. أما أني لا أقول تحليق الشعر ولكن تحليق الدين) نقله صاحب الترغيب والترهيب اهـ.

ـ ثم أختم هذا الفصل بحمكة جليلة وموعظة سنية ـ

أنقلها من كتاب الزواجر . نصها. وعن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر الصادق فقلت له يا ابن رسول الله أوصني . قال ياسفيان: (لامروءة لكذوب. ولا راحة لحسود. ولا إخاء لملول. ولا سؤدد لسيئ الخلق . قلت ياابن رسول الله زدني. قال ياسفيان كف عن المحارم أي محارم الله تكن عابدا وارض بما قسم الله لك تكن مسلما، واصحب الناس بما تحب أن يصحبوك به تكن مؤمنا. ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره. أي للحديث . والمرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. وشاور في أمرك الذين يخشون الله. قلت ياابن رسول الله زدني. قال سفيان من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى طاعة الله. قلت ياابن رسول الله زدني. قال أدبني أبي بثلاث . قال لي أي بني إن من يصحب صاحب السوء لا يسلم. ومن يدخل مدخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم. اهـ منه الجزء الأول (18) اهـ

ولما أنهى الكلام على الحسد وشؤمه وأضراره. شرع يتكلم على حب الرياسة فقال:

فصل في حب الرياسة الذي هو أصل العلل القلبية كلها

يشير بهذا لما قاله الشيخ ابن عاشر

واعلم بأن أصل ذي الآفات حب الرياسة وطرح الآتي

فقال :

حُبُّ الرِّيَاسَةِ بِدَارٍ فَانِيَهْ أَصْلُ الشُّرُورِ كُلِّهَا عَلاَنِيَهْ

(حبّ الرّياسة) الذي هو نوع من الكبر بل هو الأصل لجميع أمراض القلوب. من رياء وسمعة وحسد وبعض إلخ كما قال النّاظم . هو أصل العلل القلبية كلّها . وحب الرّياسة في الدّنيا هو الذي قيل فيه . أنّه آخر ما ينزع من قلوب الصّدّيقين. والدّليل على ذلك قوله صلّى ا لله عليه وسلّم:(**حبّ الدّنيا رأس كلّ خطيئة**). وعن الدّنيا عبر (بدار فانية) قال ابن حمدون ولا منافاة بين حبّ الرّياسة وحبّ الدّنيا وبين قول ابن عطاء ا لله في الحكم. " أصل كلّ معصية وغفلة وشهوة الرّضا عن النّفس. وأصل كلّ طاعة ويقظة وعفّة عدم الرّضا منك عنها " لأنّ من رضي عن نفسه أحبّ المدح والثّناء والرّياسة والجاه وتجبر وسعى فيمن لم يبادر إلى خدمته. ومن رضي عنها عظّمها وقلّدها فيفسد نظره ويتصوّر له الحقّ باطلا و الباطل حقّا. فيرى أنّه من الصّالحين وذوي الدّين. وهو في الواقع من أعصى العاصين. ويرى أنّه من ذوي العقل والرّأي والإصابة. وهو في نفس الأمر الضّد. ومن رضي عنها تكلّف بذل المجهود في تطريز مجلس علمه إن كان ينسب إلى العلم ويطمع في أخذه ليستحسن قوله. ويثني على فهمه وإدراكه. ويستغرب حفظه وتحصيله. ويخاف من الإعتراض والتّعقّب أو أن ينسب إلى تقصير. فينتصر لرأيه وقوله بما لا يعلم حقيقته. ويتكلّم بما لا يحسنه. ويعار من ظهور الحقّ على غير يديه. ومن رضي عنها أحبّ الدّنيا بقدر رضاه عنها تكون شفقته عليها وتعظيمه شأنها. فيدعوه ذلك إلى السّعي في المآكل التي تناسبها في نظره و الملبس الذي تستحقّه. والمسكن الذي يليق بها. والذّخائر والنّفائس التي تشتهيها. وتتعلّق بها. فيحبّ الدّنيا على حسب ذلك. وناهيك بما يترتّب على حبّها من المفاسد والعيوب. بتضييع الحدود والتّقلّب في الحرام. والإستهانة بالأوامر والنّواهي . فمن أحبّ رياسة الدّنيا يرائي ويحسد ويعجب بنفسه. فلذلك جعل النّاظم ذلك (أصل الشّرور كلّها) اهـ وقوله (بدار فانيه) أي بدار الدّنيا المحكوم عليها بالفناء بقول

الله تعالى ﴿كلّ من عليها فان﴾ (1) سورة الرّحمان رقم 26 فهو إذا أي حبّ الرّياسة (أصل) لجميع (الشّرور) أي أمراض القلوب كما تقدّم. وقوله (كلّها) توكيد أكّد به تلك الشّرور. وقوله (علانيه) أي ظاهرا لكلّ ذي لبّ لأنّه أي حبّ الرّياسة يتولّد منه ما ذكر من المفاسد وغيرها من بغض النّاس واحتقارهم والسّخرية بهم ورؤية الفضل على الغير إلخ ثم قال مناديا لطالب الرّفعة على سبيل الوعظ والإنكار:

يَاطَالِبَ الرِّفْعَةِ فِي دَارِ الفَنَا ... تَحْسِبُ مِنْ جَهْلِكَ أَنْ تَبْقَى هُنَا

لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ لَكُنْتَ مُعْرِضَا ... عَنْ حُبِّهَا وَ لَمْ تُوَجِّهْ غَرَضَا

وَكُنْتَ تَقْنَعُ بِخَفْضِ الدُّونِ ... وَبِالخُمُولِ وَبِكُلِّ الهُونِ

(ياطالب) يا حرف نداء للبعيد. نادى به المصنّف طالب (الرّفعة) أي العلو وذلك لبعده عن الطّريق السّوي. لأنّ طلب العلو من شأن المتجبّرين. كفرعون وقارون وأضرابهما قال تعالى: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ (2) ﴿فحشر فنادى فقال أنا ربّكم الاعلى﴾ (3) ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ (4) ﴿وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا﴾ (5) إلى غير ذلك ما حكى الله عنه من التّجبّر والتّكبّر والفساد في الأرض. وقال تعالى حاكيا من تجبّر قارون: ﴿إنّ قارون كان من قوم موسى﴾ (6) الآية. وعليه فمن طلب الرّفعة والعلو والرّياسة في دار الفناء فهو شبيه بفرعون وقارون واضرباهما. أعاذنا الله من ذلك. وقوله (في دار الفنا) أي الدّار التي لا بقاء فيها لأحد. كما تقدّم. أوأنّك (تحسب) أي تظنّ ويتخيّل لك (من جهلك) أي المركب من الجهل وجهل الجهل. فالجهل هو

1- سورة الرحمن الآية: 26. 2- سورة القصص الآية: 04. 3- سورة النازعات الآيتان: 23، 24.
4- سورة القصص الآية: 38. 5- سورة غافر الآية: 37. 6- سورة القصص الآية: 76.

جهلك عن الدّاء العضال الذي أقعدك وهو حبّ الرّياسة وطلب العلو. وجهل الجهل. جهلك عن جهلك بذالك. ومن أجل هذا سوّلت لك النّفس الأمّارة بالسّوء والشّيطان اللّعين (أن تبقى هنا) أي في هذه الدّار الفانية بحيث لا ترحل منها. وهذا ظن كاذب وزعم فاسد. وهو الذي صيّرك لا تسمع ولا تعقل ولا ترى ولا تبصر ولا تعتبر بمن مضى. ولذا قال (لوكنت تعقل لكنت معرضا عن حبها) أي عن دار الفنا وعن حبّ الرّياسة وطلب الرّفعة فيها (ولم توجه) أي في طلبها (غرضا) أي سببا وحبا فيها. ولكنت من الرّجال الذين قال القائل فيهم ... (إنّ لله عبادا فطنا الأبيات الثلاثة المتقدّمة (و) أي وأن كنت تعقل لـ(كنت تقنع بخفض الدّون) أي القليل من الدّنيا وبالتّواضع. فإنّ القناعة في الحقيقة هي الغنا وأنّ التّواضع هو الرّفعة. و لله در القائل:

وجدت القناعة كنز الغنا ... فصرت باذيالها أستمسك

فألبسني جاهها حلّة ... يمرّ الزّمان فلا تنتهك

فصرت غنيا بلا درهم ... أتيه على النّاس تيه الملوك

و القائل ومعتقد أنّ الرّياسة في الكبر . البيتين المتقدّمين اهـ (و) أي ولكنت تقنع (بالخمول) أي خمول ذكرك وخفض جناحك للرّفيع والوضيع. قال صاحب الحكم. أدفن وجودك في أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا تيمّ نتاجه. (و) أي ولوكنت تعقل لرضيت (بكل الهون) أي الهوان بحيث لا يكون لنفسك عندك قيمة ولا رفعة و عزّ. ﴿**إنّ العزّة لله جميعا**﴾ (1) وفي الحديث. (**من تواضع لله رفعه ا لله**) أو كما قال اهـ ثم ضرب مثلا للدّنيا وسرعة انقضائها فقال :

إِنَّ الدِّيَارَ إِنْ تَصَدَّعَتْ وَلَمْ ... يُؤمَنْ سُقُوطُهَا فَمَنْ بِهَا يَلِمْ

فَضْلاً عَنْ أَنْ يَجْعَلَهَا دَارَ مُقَامْ ... وَمَنْ يَرُمْهَا فَهْوَ أَحْمَقٌ عَامْ

1- سورة

أشار رحمه الله بهذا المثال المحسوس إلى (أن الديار إن تصدعت) أي تشقّقت جدرانها و لم يؤمن سقوطها أي على ساكنها أو داخلها لينزل بها (فمن) أي من الذي (بها يلم) أي يدخلها أو يجلس بها فضلا عن أن يسكنها ويطيب قراره بها كما قال (فضلا عن أن يجعلها دار مقام) أي دوام (ومن) أي الذي (يرمها) أي يقصدها من مقام بها ويطمئن إليها.ويجعلها دار مقام بعدما تبين له قرب خرابها (فهو أحمق) والأحمق هو الذي ليست له ملكة يملك بها نفسه عند الغضب أو هو فاسد العقل إلخ وقد كنت بيّنت بعض ما للأحمق من القبائح لدى قول المصنّف: مصدره الحمق والخبال إلخ.

وقوله (عبام) نعت لأحمق. إذ العبام هو الأحمق الجاهل. اهـ ثم لمّا بيّن قبح طالب رفعة وقلّة عقله أشار إلى ما يرغب فيه أهل العقول الكاملة وهو ما يبقى ويدوم فقال:

رَغْبَةُ كُلِّ العُقَلاَ فِي البَاقِيَات   الصَّالِحَاتِ السَّالِمَاتِ النَّافِعَات

قَدْ قَصَدُوا رِيَاسَةَ البَقَاءِ   وَأَعْرَضُوا عَنْ رَفْعَةِ الفَنَاء

أخبر رضي الله عنه بأن رغبة جميع العقلاء فيما يبقى ولذا قال (في الباقيات الصالحات)رغبة فيما عند الله تعالى ووطأوا أنفسهم على دوام الأعمال الصالحات رجاء ادخارها عنده جل وعز لقوله : ﴿**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**﴾ (1) وقوله (السالمات)أي من الرياء والسمعة وغير ذلك مما يفسدها .و اذا سلمت أي الأعمال الصالحات مما يفسدها فهي (النافعات)أي التي تنفع صاحبها . وهؤلاء العقلا (قد قصدوا)أي وجهوا هممهم وطلبوا (رياسة البقاء) أي الدّار الآخرة (وأعرضوا) أي رفعوا هممهم (عن رفعة الفناء) أي عن رفعة الدّنيا الفانية اهـ ثمّ قبّح وشنّع كذلك على من يحبّ زهو العاجل فقال:

1- سورة الكهف الآية: 46.

فَـإِنَّمَـا يُحِـبُّ زَهْوَ العَاجِلْ مَـنْ نَسِـيَ ا اللهَ وَيَـومَ الأَجِـلْ

فَـحُبُّكَ الدُّنْيَا أَسَاسُ الذَّنْـبِ وَكُـلُّ وَصْمَةٍ وكُـلُّ سَبِ

أَمَـا عَلِمْـتَ أَنَّهَا دَارُ الغُرُورِ دَارُ البَلاَيَا والرَّزَايَـا والشُّـرُورِ

فَاعْتَبِـرِ الأُمُـورَ بِـالحَقَـائِقْ وَانظُـرْ إِلَى أَسْـرَارِهَا الدَّقَائِقْ

تَرْغَبْ فِي الآخِرَةِ رَغْبَةَ الهُدَاةْ فَيَصْلُحُ الحَالُ وَيُجْمَعُ الشَّتَاتْ

وَتَسْتَـرِيحُ مِـنْ أَسَى التَّدْبِيرِ وَ الحِرْصِ مَـعْ إِلَهِـكَ القَدِيرِ

فَصَيِّرِ الهَمَّيْـنِ هَمًّـا وَاحِدًا لأَنَّـهُ العَـذَابُ إِنْ تَعَـدَّدَا

أشار رحمه ا لله إلى أنّه (إنّما يحبّ زهو العاجل) أي الدّنيا السّريعة الفنا والإنقضاء. (زهو) أي زينة الحياة الدنيا. يشير به إلى قوله تعالى:﴿**إعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة**﴾ (1) الآية سورة الحديد (العاجل) يشير به إلى قوله تعالى:﴿**من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء**﴾ (2) الآية . الإسراء 18 وللراغب في زهرتها وسرعة انقضائها ضرب ا لله سبحانه لها مثلا فقال:﴿ **إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض**﴾ (3) الآية سورة يونس.24 إذا فهمت هذا علمت أنه لا يرغب فيها إلا(من) أي الذي(نسي ا لله) مشتق من قوله تعالى:﴿ **ولا تكونوا كالذين نسوا ا لله**﴾ أي تركوا طاعته ﴿**فأنساهم أنفسهم**﴾ (4) أن يقدموا لها خيرا قاله ذو الجلالين. الصاوي والتقدير فأنساهم تقديم خير لأنفسهم فثمرة نسيانهم ا لله نسيان أنفسهم أي فترك حقوق ا لله خسرانهم وهو نظير قول ا لله تعالى:﴿ **وإن أسأتم فلها**﴾ (5) ﴿**ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه**﴾ (6) ﴿**فمن كفر فعليه كفره**﴾ (7) لأنه المستغني عن ما

1- سورة الحديد الآية: 20.

2- سورة الإسراء الآية: 18.

3- سورة يونس الآية: 24.

4- سورة الحشر الآية: 19.

5- سورة الإسراء الآية: 07.

6- سورة محمد (ص) الآية:38.

7- سورة فاطر الآية: 39.

كل ما سواه. اهـ منه ج4 رقم 164. (و) أي ونسي (يوم الآجل) أي يوم القيامـة . يوم الجزاء و الثواب والعقاب. اليوم الذي من زهد في الدنيا ورغب فيها كان من المفلحين بوعده تعالى :﴿ **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مومـن فأولئك كان سعيهم مشكور**﴾ (1) سورة الإسراء إذا فهمت هذ ا (فحبك الدنيا) الفانيـة ورغبتك فيها هو (أساس الذنب) الذي ينى عليـه صرحـه (و) أي وحبك الدنيا هو أيضا (أساس كل وصمة) أي عيب لمـا ورد حبك الشيء يعمي ويصم (و) وهو أساس (كل سب) أي قول قبيح لطمس بصيرة المحب لها وصمام أذنيه. (و) (وأما علمت) ممـا تقدم (أنهـا دار الغـرور) أي لإغوائها للمتعلق بها بزخارفها وزينتها (دار البلايا) أي الإختبار قـال تعـالى :﴿**ولنبلونكـم حتـى نعلـم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم**﴾(2) سورة القتـال31 ﴿ **ونبلوكـم بالشر و الخير فتنة**﴾ (3) سورة الأنبياء (و) وإنها دار (الرزايا) أي المصـائب (و) أي وأنهـا (دار الشرور) والشرور ضد الخيور كما في الآية المذكورة. ويرحم الله من قال:

إنـي بليـت بـأربع ما سلطوا علـي إلا لمحنـتي وبـلائي

إبليـس والـدنيا ونفسي والهوى كيـف الخـلاص وكلهم أعدائي

إبليس يسلك فـي طريق مهالكي والنـفس تأمـرني بكـل شقائي

وزخارف الدنيا تقـول أما ترى حسـني وفـخر مـلابسي وبهائي

وجنودهم دارت بسـور مدينتي يـاعدتي ومؤملـي ورجـائي اهـ

وإذا علمت أيها السالك إلى الله أنها دار الغرور والإبتلاء (فاعتبر الأمور) التي تعرض لك أوتـرد عليك (بالحقـائق) لا للظواهـر. وذلك بأن تزنها بالميزان الشرعـي. كما قال ابن عاشر.ويزن الخاطر بالقسطاس(و) أي وإذا وزنتها بالميزان

1- سورة الإسراء الآية: 19.

2- سورة محمد (ص) الآية: 31.

3- سورة الأنبياء الآية: 35.

المذكور فـ (انظر إلى أسرارها) الموضوعة فيها والتي تنتج منها وهـي قـوس الدقـائق أي الحقائق لآن فائدة الشيء فيما وضع له والفائدة من الثمـار القلـب لا الخشـوع فتنبه. فإنك إذا نظرت إلى الأسرار واعتبرت الحقـائق (ترغـب في الآخـرة) لعلمـك أنها الدار الباقية وحينئذ ترغب فيها و (رغبة الهداة) أي الذين هداهـم ا لله وشـرح صدورهم بالإسلام قـال تعـالى :﴿ **فمـن يـرد ا لله أن يهديـه ا لله يشـرح صـدره للإسلام**﴾ (1) الآية سورة الأنعام وإذا رغبت في الآخرة رغبة من ذكر فإنك تعمل لها وتتجافى عن دار الغرور (فيصلح الحـال) أي حـالك أي برغبتـك في الأعمـال الصالحات التي تدخرها عند ا لله كما أمر جل علاه ﴿**وأقرضوا ا لله قرضـا حسـنا وما تقدموا من خير تجدوه عند ا لله هـو خـيرا وأعظـم أجـرا**﴾ (2) الآيـة سـورة المزمل رقم 20 (و) وإذا أصلح ا لله حالك فإنه تبـارك وتعـالى(يجمـع الشـتات) أي شتات العقل (و) وإذا حصل لك ذلك فإنك (تستريح) من تعب الدنيا براحة قلـب (من أسى التدبير) وذلك حيث رغبت فيما عند ا لله وعلمت أنه المدبّر الحكيم كما هو المطلوب منك قال صاحب الحكـم. إذا كـان لابـد مـن التدبـير فـادبر في عـدم التدبير اهـ

(و) أي وتستريح من (الحرص مع إلهك القدير) أي حيث سلمت أمرك إليـه وعلمت علم اليقين أنه وحده تعالى المدبر القدير. قـال تعـالى: ﴿ **يدبـر الأمـر مـن السماء إلى الأرض**﴾ (3) لأنه لا معقب لحكمه ولا راد لأمـره فـاترك التدبـير مـع إلهك (وصير الهمين هما واحدا) بأن لا تجعل مع إلهك تدبير. ولا تهتـم بـرزق ولا تفكـير. قـال تعـالى:﴿ **وإن يمسسـك ا لله بضـر فـلا كاشـف لـه إلا هـو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قديـر**﴾ (4) الأنعام الآية 17 وفي الحديث الذي

1- سورة الانعام الآية: 125.
2- سورة المزمل الآية: 20.
3- سورة السجدة الآية: 05.
4- سورة الأنعام الآية: 17.

رواه الترميذي ونصه عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: (**ياغلام إني أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله . وإن استعنت فاستعن بالله. وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا عل أن ينفعوك بشي لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**). وفي رواية غير الترميذي. (**إحفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك. وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**). اهـ من الأربعين النووية.

وقوله: (لأنه العذاب) أي الإهتمام بالرزق والحرص في طلبه مع علمك بضمانة الله تعالى وأنه لا يصيبك إلا ما قدره لك وهذا معنى قوله: (إن تعددا) أي تشتت الهم في الحرص على طلب اهـ

فائدة وتنبيه

إعلم أن الإهتمام بالرزق وشدة الحرص في طلبه الذي ينشأ عنه خوف الفقر والطمع في غير الله تعالى سببه الغفلة. إذ لا أحد غير الله يملك ضرا ولا نفعا، أو يستطيع جلبا أو دفعا. إلا أن يجري الله على يده شيئا قال تعالى: ﴿**إن الله هو الرزاق**﴾ (1) ﴿**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**﴾ (2) وفي الحديث الصحيح (**إذا وقعت النطفة في الرحم نادى الملك أي ربٌ أذكر أو أنثى أشقي أو سعيد فما الرزق وما الأجل فيكتب في بطن أمه**) وفيه أيضا (**ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس**) هو أن يكون الإنسان راضيا بما قسم الله له كأنه واجد أبدا لا يسأل الإزدياد إلا لحاجة. قال بعضهم:

1- سورة الذاريات الآية: 58.　　　2- سورة هود الآية: 06.

غنى النفس ما يغنيك عن سد خلة فإن زاد شيء عاد ذاك الغنى فقرا

وقال الشاعر:

تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فإنك لا تدري أتصبح أو تمس

وليس الغنى عن كثرة المال إنما يكون الغنى والفقر من قبل النفس اهـ

و لله در القائل:

ياطالب الرزق والأرزاق قد قسمت بين الخلائق لم تنقص و لم تزد

أتعبت نفسك فيما لست تدركه وضاع عمرك في هم وفي نكد

لو طرت بين السماء والأرض مجتهدا في شربة الماء غير الرزق لم تجد

هون عليك فإن الرزق عن قدر يأتي ولو أنه في جبهة الأسد اهـ

والقائل :

لو أن في صخرة في البحر راسية صما ململة ملسا نواحيها

رزقا لعبد يراه الله لانفلقت حتى تودي اليه كل ما فيها

أوكان فوق طاق السبع مسلكها لسهل الله في المرقي مراقيها

حتى ينال الذي في اللوح خط له فإن أتته وإلاسوف ياتيها اهـ

وقد عمت البلوى بالإهتمام بالرزق وداؤه استحضار وقوع القسمة الإلهية والفراغ منها كما قيل :

قلت قولا باختصار وهو صدق لا محالة

من له الغيب في شيء لم يمت حتى يناله

فإن من استحضرذلك لم يهتم . وفي التنزيل . ﴿**نحن قسمنا بينهم معيشتهم**﴾ (1) الآية. اهـ كما في ابن حمدون ثم أشار النّاظم إلى علاج هذا لداء العقام فقال:

1- سورة الزخرف الآية: 32.

وَلَيْسَ تُقْلِعُ مِنَ الفُؤَادِ عُرُوقَ هَذَا الحُبِّ وَ الفَسَادِ
إِلاَّ بِتَقْصِيرِكَ لِلآمَالِ بِرُؤْيَةِ القُرْبِ مِنَ الآجَالِ
فَالمَوْتُ وَاعِظٌ كَفَى بِهِ كَفَى إِنْ اعْتَبَرْتَ وَعَقَلْتَ بِالوَفَا
مَنْ ذَا الذِي يَنْجُو مِنَ الحِمَامِ وَلَوْ بِهَا عَمَّرَ أَلْفَ عَامِ
لَوْعَاشَ مَا عَاشَ لَجَاءَه الأَجَلْ بِغَمْرَةٍ وَحَسْرَةٍ لَهُ زَجَلْ
لَوْلاَ الذِي سَبَقَ مِنْ عِلْمِ الإِلَهْ مِنَ العِمَارَةِ لِدُنْيَا ذَاتِ لاَهْ
لَمَا بَنَى العَاقِلُ فِيهَا أَبَدَا لَكِنْ لِغَفْلَةٍ جَرَى مَاقَدْ بَدَا
فَانْظُرْ بِعَيْنِ القَلْبْ لِلْبِلاَدِ وَكَسْفَةُ الفَنَا عَلَيْهَا بَادِ
أَيَرْغَبُ العَاقِلْ فِي المَقَامِ بِمِثْلِ هَذِهِ مِنْ الأَنَامِ
حَتَّى يُؤَمِّلُ بِهَا البَقَاء وَلاَ بَقَاء فِيهَا لاَ بَقَاء

أي (وليس) أي لا (تقلع) أي تذهب (من الفؤاد) أي القلب (عروق هذا الحب) أي حب العاجلة (و) أي وحب (الفساد) الذي هو مرض القلوب (إلا) إبطال للنفي أي لنفي ليس (بتقصيرك للآمال) أي ليس الدواء لهذا المرض العضال إلا تقصير الآمال يشير إلى ما روي عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (**إذا أصبحت فلا تنتظر المسا وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك**) رواه البخاري وهذا معنى قوله (برؤية القرب من الآجال) أي فإنه من رأى أنه إذا أصبح لا يمسي وإذا أمسى رأى أنه لا يصبح كيف يسكن إلى الدنيا ويطمئن إليها ويطول أمله بها. ثم أكد ذلك بقوله (فالموت واعظ كفى به) أي واعظ (كفى) أي يكفي في الوعظ وحده عن قرب الإرتحال من هذه الدنيا الفانية. يشير بهذا إلى حديث (**من لم يتعظ بالموت لا وعظه الله**) ويكفيك الموت واعظا (ان اعتبرت) أي بمن أفناهم الموت(وعقلت) أي نظرت بعقلك وفكرت فيما صاروا إليه مع ماكانوا فيه من سعة الدنيا وقوة البدن وكثرة الأعوان والأنصار وذلك (بالوفاء) الباء للمصاحبة أي وذلك الأتعاظ

والإعتبار يكون مصاحبا بالوفاء للعهد و الثبات عليه. أي العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس المشار إليه بقوله عز وجل : ﴿**يأيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود**﴾ (1) الصاوي أي ما عقده الله وعهده عليكم من التكاليف والأحكام الدينية. ومن هنا قالوا أمور الدين أربعة. الصحة في العقد. والصدق في القصد. والوفاء بالعهد. واجتناب الحد. اهـ منه وذلك لا يحصل إلا بالإضطرار والإلتجاء إليه تعالى كما قال ابن عاشر: ليس الدّوا إلا في الإضرار له وفي الحديث: (**السعيد من وعظ بغيره**).

وإذا اعتبرت بمن مضى علم أنه لا أحد ينجو من الموت كما قال (من ذا الذي ينجو من الحمام) من مبتدأ بمعنى الذي إسم موصول ذا إسم إشارة أي ليس أحد ينجو من الحمام أي القبر أو الموت. وقبر كل ميت بحسبه على حد قوله تعالى: ﴿**وأن الله يبعث من في القبور**﴾ (2) فمن قذف في البحر فهو قبره ومن أكلته السباع فهو قبره أو إلتقمه الحوت. فبطن الحوت قبره. ومن قبر في لحد أو شق من الأرض فهو قبره إلى غير ذلك. (و) أي ولا ينجو أحد من الموت (ولوبها) أي بالدنيا (عمر) أي عاش (ألف عام) أي ولو طالت الأعمار لا بد من الفناء لأنها أي الدنيا ليست دار بقاء لأحد لقوله عز وجل: ﴿**كل من عليها فان**﴾ (3) وقوله ألف عام. أي وأكثر . فان ممن مضى من عمر أكثر من ألف سنة. فسيدنا شعيب رسول الله عمّر ألفا وخمسمائة سنة.وعاد الأولى بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح. عاش ألف ومائتي سنة وتزوج ألف بكر ورزق من صلبه أربعة آلآف ولد من الذكور وكان طول الطويل منهم أربعة أذرع وأربعمائة ذراع ورزقوا من القوة ما لا يرزقه أحد كما قال تعالى: ﴿**وأما عاد فاستكبروا في الأرض وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة**﴾ (4) فلم تكن قوة في

1- سورة المائدة الآية: 01.

2- سورة الحج الآية: 07.

3- سورة الرحمن الآية: 26.

4- سورة فصلت الآية: 15.

الأرض أشد منهم لأنه لو كان هناك قبيلة في الأرض أشد منهم لرد الله عليهم بها فلما لم يكن أشدمنهم إلا الله الذي خلقهم قال أو لم يروا الآية اهـ كما في فتح الرحيم الرحمان. إلى غير ذلك من الجبارة. ورحم الله ابن الوردي إذ قال:

كتب الموت على الخلق فكم فلَّ من جمع وأفنى من دول

أيْن نمرود وكنعان ومن ملك الأهرام من يسمع يخل

أيْن عاد أين فرعون ومن رفع الأهرام من يسمع يخل

أيْن من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكل فلم تغن القلل

سيعيد الله كلا منهم ويجزى فاعلا ما قد فعل

ولذا قال الناظم (لو عاش ما عاش لجاءه الأجل) أي المؤجل له في الأزل قال تعالى: ﴿**فإذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾ (1) (بغمرة) أي مع غمرة أي شدة قال صلى الله عليه وسلم:(**إن للموت لسكرات**) كما في الصحيح (وحسرة) أي ندامة. فإن كان من أصحاب الأعمال الصالحات ندم على التقصير. وإن كان من أصحاب الأعمال السيئات ندم على فعلها وقوله (له زجل) أي أنين وقلقلة من زجل زجلا. رشقه ورماه . دفعه بالرمح طعنه. اهـ منجد.

وحيث كانت الدنيا ليست دار بقاء وعاقبتها الخراب فإنه (لولا الذي سبق من علم الإله) تبارك وتعالى وتقديره وإرادته وحكمته (من العمارة لدنيا) أي هذه الدنيا الفانية التي هي (ذات) أي صاحبة (لاه) أي لهو وشغل عن الله تبارك و تعالى ولذا مدح تبارك وتعالى من لم تشغله عنه فقال: ﴿**رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله**﴾(2) الآية سورة النور ونهى عباده تعالى عن اللهو والإشتغال بها عن ذكره وطاعته فقال عز وجل : ﴿**يأيها الذين ءامنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**﴾ (3) الآية 9 سورة المنافقون فلولا ما ذكر (لما بنى العاقل

2- سورة الأعراف الآية: 34. 3- سورة النور الآية: 37. 4- سورة المنافقون الآية: 09.

فيها أبدا) حيث كان مآلها إلى الفناء والزوال (لكن) حرف استدراك (لغفلة) أي لأجل غفلة يلقيها الله على قلب المعمر للحكمة التي اقتضتها إرادته فيطول أمله. كم قيل .

إذا أراد الله أمرا بامرئ أصم أذنيه وأعمى قلبه وسل منه عقله سل الشعر

حتى إذا أنفذ فيه حكمه رد إليه عقله كي يعتبر اهـ

هذا وقد زين الله سبحانه وتعالى لعباده ما تعمر به الدنيا بقوله تعالى: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة** ﴾ (1) الآية 14 سورة آل عمران.

وحيث كان المزين لهذه الشهوات هو الله تعالى فلا يقدر أحد أن يكره شيئا حببه الله إليه كما قال سيدنا عمر بن الخطاب " اللهم إنا لا نقدر على أن نكره شيئا حببته إلينا ".

ولكن لأجل ما ذكر (جرى) أي صار من عمارتها أي الدنيا (ما قد بدا) أي ظهر اهـ ثم قال مزهدا فيها (أيرغب العاقل في المقام) أي من له عقل سليم في البقاء (بمثل هذه) إشارة إلى الدنيا (من الأنام) أي الخلق (حتى يؤمل بها البقاء) أي يطول أمله حتى يظن البقاء فيها (و) أي وهي (لابقاء فيها) لأحد إذ لو كانت دار بقاء لبقي فيها من مضى من الأمم السالفة ولبقي سيد الخلق الذي خلقت لأجله. قال سيدي البوصيري. لولاه لم تخرج الدنيا من العدم (لابقاء) كرره للتأكيد اهـ وإذا علمت بأنها لا بقاء فيها لأحد وأنها دار غرور وابتلاء كما قال تعالى:﴿ **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا**﴾ (2) سورة الكهف رقم 7 وكما في الصاوي لدى قوله تعالى : ﴿زين للناس﴾ هذه الآية مسوقة لبيان حقارة الدنيا وتزهيد المسلمين فيها ففي الحديث (**ظاهرها غرة وباطنها عبرة**) وقال الشاعر:

1- سورة آل عمران الآية: 14.   2 - سورة الكهف الآية: 07.

هــي الدنيــا تقــول ملء فيها   حذار حذارمن بطشي وفتكــي
فــلا يغرركــم مــنيّ ابتســـام   فقولي مضحك والفعل مبكي

ثم قال :

فَاجْعَلْهَا أَيُّهَـا اللَّبِيـــبُ قَنْطَرَهْ   تَسْلُـكُ مِنْهَـــا لِرُبُوعِ الآخِرَهْ
فَـإِنْ جَعَلْتَهَـا أَخِـي مَطِيَّـهْ   فَنِعْـمَتِ المَطِيَّـــةُ الهَنِيَّـــهْ

(فاجعلها) أي الدنيا (أيها اللبيب) أي العاقل الفطن أي الذي يدرك حقيقة الأمور ويضعها مواضعها (قنطره) أي سبيلا ومسلكا إلى الدار الآخرة بأن تتزود منها بصالح الأعمال لقطع العقبات التي أمامك. على حد قوله تعالى: ﴿ **فلا اقتحم العقبة**﴾ (1) إلى قوله تعالى: ﴿**أولئك أصحاب الميمنة**﴾ (2) الصاوي. العقبة في الأصل هي الطريق الصعب في الجبل واقتحامها مجاوزتها. ثم أطلق على مجاهدة النفس في فعل الطاعات وترك المحرمات والمراد باقتحامها فعلها وتحصيلها والتلبس بها. أو يقال المراد بالعقبة الطريق التي توصل إلى الجنة فإنه ورد أن بين العبد والجنة سبع عقبات والمراد باقتحامها مجاوزتها بفعل الطاعات في الدنيا اهـ منه ببعض اختصار اهـ وكما قال القائل:

إن لله عبادا فُطَنَا ، الأبيات الثلاث السالفة الذكر. وإذا فعلت هذا فإنك (تسلك منها) أي من هذه الدنيا مسلك النجاة وتصل السلامة (لربوع الآخرة) أي دار الآخرة وهي الجنة التي تزودت للوصول إليها وقطعت العقبات التي بينك بينها وذلك حيث جعلت الدنيا مطية إليها كما قال (فإن) أي فإنك إن (جعلتها) أي الدنيا (أخي) المسلم (مطيهْ) أي ناقة كماء أو سفينة صالحة حسناء وأحسنت الركوب عليها. كما قال سيدي البوصيري . أفلا أنطوي لها في اقتضا. البيت وأدلجت مع من أدلج كما قال البوصيري أيضا . حمد المدلجون غبّ سراهم البيت وما هذه الناقة أو السفينة إلا المواظبة على الأعمال الصالحات الخالصة لله تعالى بالسعي والمجاهدة في النهار والقيام بالليل. كما قيل:

1- سورة البلدة الآية: 11.   2- سورة البلد الآية: 18.

بقــدر الكـد تكتسـب المعالي   فمــن طلــب العلا سهر الليالي

تــروم العــز ثــم تنام ليلا   يغـوص البحر من طلب اللآلي

وقيل " اتخذ الليل جملا تدرك به أملا " . ولبعضهم:

من شـاء أن يحتوي أمله جـمـلا   فليتخـذ ليلـه في دركها جـملا

أقلل طعامك كي تحظى به سهرا   إن شئت ياصاحبي أن تبلغ الكملا

فإن قطعت أمواج بحار الدنيا المتلاطمة بالأعمال الصالحات (فنعمت المطيـة) أي المركب الذي سرت عليه وأصبت عن قوسه غـرض القـرب كمـا قـال سيدي البوصيري. فأصبنا عن قوسها غرض القـرب البيـت أشـار بهـذا إلى حديـث(**نعم الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجوا مـن الشر**) اهــ وقولـه (الهنيه) نعت أو صفة للمطية اهـ ثم قال مشيرا لحالة من اغتر بها و لم يأخذ الزاد منها:

وَإِنْ جَعَلْتَهَــا أَخِــي عِمْرَانَا   تَهَمَّــدَتْ وَأَعْقَبَــتْ خُسْرَانَــا

أي (و) إنك (إن جعلتها أخـي) المسـلم (عمرانـا) أي دار بقـاء فقـد خـاب أملك وساء عملك حيث طال أملك وخرجت منها بلا زاد و(تهدمت) أي فنيـت لأنها ليست دار بقاء (وأعقبت) أي تركـت لك ولدا يسمى (خسرانا) أي خسـارة لرأس مالك الذي هو العمر. كما تقدم من قول من قال. العمـر أغلـى بضاعـة إلخ وقول من قال. أليس من الخسـران أن ليـالي تمر بـلا نفـع وتحسـب مـن عمـري. فليراجعه في محله من شاء. ثم قال:

فَإِنَّهَا إِبْنَــتُ إِبْلِيسَ الرَّجِيــمْ   مُحِبُّهَا يُصَاهِـرُ الرِّجْـسَ الأَثِيمْ

يَكْفِيكَ هَذَا زَاجِرًا إِن اِزْدَجَرْتْ   يَكْفِيكَ هَذَا وَاعِظًا إِنْ اِتَّعَظْـتْ

(فإنها) أي الدنيا (إبنت إبليس الرجيم) يشـير بهـذا والله أعلـم إلى مـا ورد عن سيدي ابن مدين شعيب دفين تلمسان يحكي أن ولده شكا إليه من الوساوس . قال له رضي الله عنه هاهو إبليس قد سبقك يشتكي منك ومـن أصحـابك قـائلا بكم تزوجتم إبنته وأردتم أن تمنعوه مـن الدخـول لدارهـا. فابنتـه الدنيـا ومسـكنها

قلوبكم . فأما أن تطلقوا إبنته وإلا فلا بد من الدخول لبيتها. أوكما ورد فإني كتبته من حفظي فربما وقع فيه نقص أو زيادة أو تقديم أو تأخير اهـ (الرجيم) أي المطرود من رحمة الله. فإذن (محبها) أي الدنيا (يصاهر) إبليس (الرجس) أي النجس الخبيث (الأثيم) أي المرتكب أكبر الإثم أي الكبر الذي أوجب له الطرد واللعنة. ويؤيّد هذا ما في الزواجر هي اقتراف الكبائر مانصه . وقد روي أن نوحا وجد معه إبليس في السفينة فقال : لم دخلت . قال لأصيب قلوب أصحابك حتى يكونوا معي ولا يكون معك إلا أبدانهم . قال. أخرج منها ياعدو الله فإنك رجيم . فقال إبليس خمس أهلك بهن الناس وسأحدثك بثلاث منهن دون اثنتين . فأوحى الله لنوح صلى الله على نبينا وعليه مره يحدثك بالثنتين ولا حاجة لك بالثلاث . قال له أما الثنتان لا يكذباني هما الثنتان لا يخلفاني بهما أهلك الناس. الحرص . والحسد. بالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما . وبالحرص أصبت حاجتي من آدم لأنه أبيح له الجنة كلها إلا شجرة واحدة فلم يصبر عنها. اهـ إلى أن قال. ومن أعظمها المال إذا مازاد على الحاجة والقوت فهو مستقر الشيطان . فإن من ليس معه ذلك فقلبه فارغ فلو وجد مائة دينار من طريق انبعث من قلبه عشر شهوات كل شهوة منها تحتاج إلى مائة دينار. فيحتاج إلى تسع مائة أخرى . وقد كان قبل ظفره بالمائة مستغنيا فلما وجد المائة ظن أنه استغنى وقد بان له أنه صار محتاجا لتسعمائة لشراء دار وأمة وأثاث . وكل شيء من ذلك يستدعي شيئا آخر يليق به وذلك لا آخرله فيقع في هاوية لا آخر لها إلا قعر جهنّم . ولما ضجرت شياطين إبليس من عدم ظفرهم من الصحابة رضوان الله عليهم بشيء وشكوا إليه. قال لهم رويدا عسى تفتح لهم الدنيا فلتصيبوا حاجتكم منهم اهـ

قلت ويؤيد هذا الحديث الصحيح الوارد في صحيح البخاري ونصه **(لو أن لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب)**.اهـ

ولذا قال الناظم (يكفيك هذا) أي ما تقدم من الوعظ والإرشاد (زاجرا) عن حب الدنيا والميل إليها والإغترار بزينتها وبهجتها (إن ازدجرت) أي انتبهت من غفلتك . و(يكفيك هذا واعظا) عن حبها وعن ارتكاب المعاصي كالحرص عليها والحسد الموجب للرغبة فيها(إن اتعظت) أي بما جرى لمن غرته الدنيا.

ـ **فوائد ومواعظ** ـ : يكفينا وعظا قوله صلى الله عليه وسلم: (**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما**) وقوله صلى الله عليه وسلم: (**أزهد في الدنيا يحبك الله**) لأن الله تعالى يحب من أطاعه ومحبته ومحبة الدنيا لا تجتمع كما دلت عيله النصوص والتجربة والتواتر ولذا قال صلى الله عليه وسلم : (**حب الدنيا رأس كل خطيئة**) وإنه لا يحب الخطايا ولا أهلها. ولأنها لهو ولعب وأن الله تعالى لا يحبهما ولأن القلب بيت الربّ لا شريك له فلا يحب أن يشركه في بيته حب الدنيا ولا غيرها. قيل أوحى الله إلى داود عليه السلام : (**ياداوود إني حرمت على القلوب أن يدخلها حبي وحب غيري، ياداوود إن كنت تحبني فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبي وحبها لا يجتمعان في قلب واحد**) اهـ ومن مضراتها أن لذاتها شاغلة للقلوب عن الله ومنقصة للدرجات عنده وموجبة لطول الحبس و الوقوف في ذلك الموقف العظيم للحساب والسؤال عن شكر نعيمها. ومنها كثرة التعب والتذلل في تحصيلها وكثرة عيوبها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الأراذل في طلبها وحقارتها عند الله ولذا قال الفضيل : " لوأن الدنيا بحذافيرها عرضت علي لا أحاسب عليها لتقذرتها كما أتقذر الجيفة " اهـ بخ من كتاب المجالس الفنية. عن الأربعين النووية اهـ ثم قال:

وَقَدْ بَسَطْتُ القَوْلَ فِي ذَا الفَصْلِ   لأنَهُ الأَصْلُ لِسُوءِ الفِعْلِ
وَقَدْ جَلَبْتُ فِيهِ مَا أَدْنَاهُ   يُقْصِي أخَا النَهْيَةِ عَنْ دُنْيَاهُ
وَيَجْعَلِ الهَمَّ إِلَى أُخْرَاهُ   فَيَتَهَيَّأُ إِلَى عُقْبَاهُ
لَوْ حَدَثَ الفُهُومُ وَالتَحْقِيقُ   وَسَاعَدَ القَدَرُ وَالتَوْفِيقُ

وَحَيْثُ حَرَّضْتُ عَلَى التَّخَلّي فَسَأُحَرِّضُ عَلَى التَّحَلّي
لأَنَّ مَنْ أَرَادَ حَرْثَ فَدَّانْ أَنْقَاهُ مِنْ حَشِيشِهِ بِفَيْسَانْ

(وقد بسطت القول) أي بإسهاب وتفصيل (في ذا الفصل) أي الباب وقد تقدم معنى الفصل والباب لغة واصطلاحا (لأنه) أي هذا الفصل هو(الأصل لسوء الفعل) كما قال الشيخ ابن عاشر. رأس الخطايا هو حب العاجلة البيت(وقد جلبت) أي جمعت (فيه) أي في هذا الفصل (ما) أي شيء (أدناه) أي أقله (يقصي) أي يبعد (أخا) أي صاحب (النهية) أي العقل الذي ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح. وهذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ **إن في ذلك لآيات لأولي النهى**﴾ (1) (عن) حب (دنياه) أي بإخراجها من قلبه (و) أي وإذا بعد عن حب الدنيا فلابد أن (يجعل الهم إلى أخراه) حيث صار الهم واحدا وإذا صار الهم واحدا (فـ) أي فلابد أن (يتهيأ) أي يستعد بالأعمال الصالحات (إلى عقباه) أي أخراه حيث طلق الدنيا ولم يبقى للآخرة ضرة ولكن هذا كله بعون الله، لا يتأتى ولا يحصل إلا بعون الله تبارك وتعالى ومساعدة الأقدار ولذا قال:(لوحدث الفهوم) لو أحدث الله تعالى الفهم إلى (الفهوم) التي يفهم العاقل منها ما ينفعه وما يصلحه في دنياه، وينفعه في عقباه(والتحقيق) أي وألهمه تعالى حقيقة الأمر (وساعد القدر) أي المقدر له. وقد قيل من ساعده الوقت فالوقت عليه وقت. ومن لم يساعده الوقت فالوقت عليه مقت. (و) أي وساعده (التوفيق) وهو خلق القدرة على الطاعة فإنه لا حول عن المعصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بتوفيقه. اهـ وقد تقدم قول القائل:

إذا كان عون الله للمرء ناصرا تهيأ له من كل صعب مراده
وإن لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

1- سورة طه الآية: 54.

ثم قال: (وحيث حرضت على التخلي) أي ولما حرضت أي نصحت على التخلي أي نزع الأمور التي تظلم القلوب من الذنوب، لأنها أي الذنوب تكسف نور القلب كما في نصيحة سيدي أحمد بن عبد العزيز

واعلم بأن كدر الذنوب يكسف نور العلم في القلوب

ألا ترى الذبال في المصباح إذا صفا أرضاك في الإصباح

وإن يكن بوسخ ملطخا كسف نوره لذاك اللطخا إلخ

وإذا كسف نوره فلا يصلح بدخول الأنوار والأسرار التي ترد عليه بواسطة الملائكة كما قال الشافعي:

شكيت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي

وبعدما حرض على التخلي شرع يحرض على التحلي فقال (فسأرحض على التحلي) أي التجمل بالأعمال الحسنة وما ينور القلوب من أعمال الطاعات ومكارم الأخلاق. وذلك لا يصلح إلا بعد التخلي عن الرذائل. ثم ضرب لذلك مثلا محسوسا فقال(لأن من أراد حرث فدان) فلا بد له من أن يقلع ما فيه من النباتات السابقة فيه كما قال (أنقاه من حشيشه) أي النابتة فيه (بفيسان) أي أو غيرها من آلات الحرث اهـ ولما أنهى الكلام على حب الرياسة الذي هو رأس الخطايا شرع يتكلم على صحبة الشيخ العارف بتلك الأمراض القلبية التي لابد من المصاب بها من العلاج ولا يصح العلاج إلا بفحص طبيب عارف لتلك الأمراض. فقال :

فصل في صحبة الشيخ السالك العارف للمسالك

أي ني م يجب على المريد من (صحبة) أي ملازمة (الشيخ) أي المربي (السالك) إلى الله (العارف للمسالك) أي الطرق التي توصل إلى الله تعالى. والأصل في صحبة الشيخ قوله تعال:﴿**واتبع سبيل من أناب إلي**﴾ (1) فقال:

1- سورة لقمان الآية: 15.

لأَبُدَّ مِـنْ صُحْبَـةِ شَيْـخٍ سَالِكْ   قَـدْ عَـرَفَ الطُّـرُقَ وَالمَسَالِكْ

وَعَـرَفَ الأَوْعَـارَ وَالأَوْهَـادَا   وَقَطَعَ الأَغْـوَارَ وَالأَنْجَـادَا

وَعَـرَفَ المَنَـاهِلَ المَـورُودَه   وَعَـرَفَ السَّبَاسِـبَ المَقْصُودَه

وَعَقَبَـاتِهَـا وَأَيَّ أَرْضٍ   رَبَّضَ فِيهَا فَاتِـكٌ ذُو رَبْـضِ

(لابد) أي لا مفر ولا مهرب (من صحبة شيخ) يفطمك عن هوى نفسك. فإنك لا تعرف عيب نفسك من نفسك (سالك) إلى الله تعالى (قد عرف) أي حقق قبلك (الطرق و المسالك) الموصلة إلى الله لما أنه سلك فيها وعلم فيها من المعاطب والمهالك فإنك إذا صحبته في سفرك سلك بك (المسالك) التي لا شوك فيها ولا وعر ولا عقارب ولا سباع. كما قال ابن عاشر. يصحب شيخا عارف المسالك يقيه في طريقه المهالك . (وعرف الأوعار) أي الطرق الصعبة التي فيها المضار وإذا كان عارفا بها فإنه يجنبكها ويسلك بك الطريق المعبدة السهلة التي لا خوف فيها ولا صعوبة. والشيخ يعني بالأوعار الأماكن الصعاب مثل الجبال المرتفعة التي من رام الصعود إليها فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة (و) أي ويجنبك كذلك (الأوهادا) أي الأماكن المنخفضة التي من رام الهبوط إليها فقد ألقى بنفسه إلى التهلكة كذلك. وقوله(وقطع الأغوار والأنجادا) أي سلك بك مجنبك الأغوار التي هي الأوهاد . ومجنبك الأنجاد التي هي الأماكن الصعاب أي التي يصعب الصعود إليها(و) أي وقد (عرف المناهل) جمع منهل وهو محل مقيل المسافر أو مبيته. والمنهل أصله المورد ثم نقل لمكان نزول المسافر وإن لم يكن به ماء . قاله الشيخ سيدي محمد عليش لدى قول الشيخ خليل (بمنهل زالت به) اهـ (المورودة) أي التي يردها المسافر للورود أو النزول بها. (و) أي وقد (عرف) السباسب المقصودة أي الأسباب المقصودة من سلوك هذا الطريق (و) أي وعرف عقباتها أي الأماكن الصعبة بها (و) أي وعرف (أي الأرض) أي موضع منها (ربض) أي عطن فيها أي في تلك الأرض على فريسته (فاتك) أي فتاك (ذو ربض) أي

صاحب ربض أي المكان الذي يأوي إليه أي السبع. ففي المنجد ربضت ربضا وربوضا وربضة. الدابة بمعنى بركت الإبل. ربض الأسد على فريسته والقرن على قرينه برك. وربض ربضا وربوضا فلانا أو المكان ـ آوى إليه. ربضه بالمكان تبثه فيه. الدواب ـ أواها في المربض. والرّبّاض الأسد اهـ منه بخ والمعنى وسلك بك أي الشيخ كذلك مجنبك من أي أرض أو أي مكان يسكنه السبع أو يأوي إليه لتسلم في طريقك من افتراسه اهـ ـ **تنبيه** ـ إعلم أيها السالك بأن ليس المقصود بالسبع السبع الحيواني، وإنما المقصود بالسبع إبليس اللعين. ومربضه الذي يأوي إليه هو القلب وفريسته النفس الأمارة بالسوء والمقصود بالأوعار والأوهاد إلخ مكائد النفس والشيطان أعانني الله وإياك على قهرهما ونجاني وإياك من كيدهما آمين. اهـ والله أعلم.

ثم لما كان لابد من صحبة شيخ كما تقدم وكان لصحبة الشيخ شروط لا يحصل الفلاح والنجاح إلا بها نبه الشيخ إلى بعضها فقال :

بِشَرْطِ أَنْ يَتْرُكَ الإِعْتِرَاضَا	**مُسْتَسْلِمًا وَتَارِكًا أَغْرَاضَا**
وَيَتْرُكَ التَوَقُّفَ المَذْمُومَا	**فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ عُمُومَا**
وَكُنْ بِحِجْرِ الشَّيْخِ مِثْلَ الطِّفْلِ	**بِحِجْرِ أُمِّهِ تَفُزْ بِالوَصْلِ**
وَلاَ تَقُلْ لِمَ وَلاَ هَلاَّ وَلاَ	**عَلاَمَ ذَا فَالبَحْرُ وَاسِعُ الحَلاَ**
وَكُنْ مُرَاقِبًا لَهُ فِي الحَالِ	**عَسَى تَرَى المَدَدَ فِي الأَحْوَالِ**
وَاطْلُبْ حُلُولَ الشَّيْخِ فِي البَالِ تَكُنْ	**فِي بَالِه بَعْدُ وَعَنْكَ لَمْ يَغِن**
وَلاَ تَقُلْ طَلَبْتُهُ فَلَمْ أَجِدْ	**لَهُ وُجُودًا فِي زَمَانِي وَفُقِدْ**
فَأَدِلاَّءُ الحَقِّ لاَ تَزُول	**وَأَنْجُمُ الطَّرِيقِ لاَ تَفُولُ**
فَاصْدِقْ تَرَ الصَّادِقِ مِثْلَ الشَّمْسِ	**وَقْتَ الضُحَى تُضِيئ دُونَ لُبْسِاهـ**

أي صحبة الشيخ تكون بشروط منها (أن يترك) أي المريد (الإعتراضا) أي على الشيخ أي فيما يأمر به أو ينهى عنه أو يظهر من أحواله. فإن كثيرا من

المريدين سقط بسبب الإعتراض على الشيخ كما قيل . وما وصل من وصل إلا بالحرمة. وما سقط من سقط إلا بترك الحرمة . وعليه فكن أيها المريد (مستسلما) لما يصدر منه ملقيا إليه زمامك كأنك ميت بين يدي الغاسل. (و) كن (تاركا أغراضا) أي أغراضك التي تعرض لك وتحبها (و) أي وكذلك من الشروط التي تلزم المريد أن (يترك التوقف المذموما) أي المذموم صاحبها عند السادات الصوفية (في أمره ونهيه عموما) أي فيما أمره به الشيخ أو نهى عنه عموما أي جميعا. وسواء وافقك رأيك أم لا.

رحم الله ناظم الهدية إذ قال .

وأعظم الأسباب للفتوح إطاعة المعلم النصوح

إلخ الباب

(وكن) أيها المريد (بحجر الشيخ مثل الطفل بحجر أمه) يتصرف فيك كيف شاء بأن تلقي إليه زمام نفسك كما أن الطفل في حجر أمه تقلبه كيف تشاء من غير اختيار منه فإنك إذا فعلت ذلك (تفز بالوصل) أي الوصول إلى الله تبارك وتعالى (ولا تقل لِمْ) أي إذا أمرك الشيخ بأمرٍ (ولاهلاّ) أي هذا الأمر والفعل (ولا علام ذا) أي هذا الفعل فقد ورد أن من قال لشيخه لِمَ لم يفلح أبدا ذلك لأن البحر الذي يغترف فوق ظنك كما قال (فالبحر واسع الخلا) فما عليك إلا أن تتواضع وتخضع وتعلم أن العز هوفي التذلل له. كما قال الشافعي رضي الله عنه.

أهين لهم نفسي فهم يكرمونها ولن تكرم النفس التي لاتهينها
تذلل لمن تهوى لتنهز فرصة فكم عزة قد نالها المرء بالذّل

ويقال شوق الشوق به تطيب المحبة و الذوق ومن هذا ترى الأشباح تابعة للأرواح كما قيل :

ومازال بي شوق إليك يقودني يذلل مني كل مُمْتَنِعٍ صعب
إذا كان قلبي سائر بزمامه فكيف لجسمي بالمقام بلا قلب

ومن أحسن ما قيل في أدب المريدين قول الشيخ الجكني:

إذا هديت لشيخ واعتصمت به فثق بنيلك نصر الله والأملا
لا تيأسنّ وظن السوء جنبه واسلم له النفس والأولاد والشغلا
وصن علومك وابغ مالديه ولا تبغ النزاع ولا المراء والجدلا
لا ترغبنّ رجوعا إن نزلت به وكن كميت إذا في القبر قد نزلا
وكن أديبا ذليلا واستغيثن به لا تزهدن إذا ترى به خللا
والأمروالنهي بادر إن بليت به فانهض وكن سريعا ولا تكن كسلا
وظن خيرا بما تراه فاعله من بحر كنز علوم الله مافعلا
واقصد شمائله واحمل نكايته فلا تخل أبدا نداءه زللا
واحفظ رعايته واحفظ ودائعه تشهد مشاهدة تكمل كما كملا
وعد زيارته ترى زيادته تفرج الهم والكروب والعللا
واسلك مسالكه واقصد مقاصده كل المواهب أن حصلت ذا حصلا
هو الذي اختاره المولى وطهره قد خص بالقرب والتجديد واعتدلا اهـ

وقال ناظم السراج:

وكن مطيعا والتمس رضاه ولا تحاول غير ما اقتضاه

(وكن مراقبا له في الحال) أي في حال تحوله فالحال سمي حالا لتحوله. والمقام سمي مقاما لتبوئه واستقراره. وقد يكون الشيء بعينه حالا ثم يصير مقاما. مثل أن يبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ويتعاهد الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس إلى أن تداركه المعونة من الله الكريم. ويغلب حال المحاسبة وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها المحاسبة. فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال ثم يحول حال المراقبة للتناوب السهو والغفلة في باطن العبد. إلى أن ينقشع ضباب السهو والغفلة ويدارك الله عبده بالمعونة. فتصير المراقبة مقاما بعد أن كانت حالا. ولا يستقر مقام المحاسبة قراره إلا بنازل حال المراقبة. ولا يستقر مقام المراقبة

قراره إلا بنازل حال المشاهدة . فإذا منح العبد بنازل حال المشاهدة استقرت مراقبته وصارت مقامه. ونازل المشاهدة أيضا يكون حالا يحول بالإستتار ويظهر بالتجلي. ثم يصير مقاما وتتخلص شمسه عن كسوف الاستتار. ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادة وترقيات من حال إلى حال أعلى منه. كالتحقق بالفناء والتخلص إلى البقاء. والترقي من عين اليقين إلى حق اليقين. وحق اليقين نازل يخرق شغف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي**) قال سهل بن عبد الله للقلب تجويفان. أحدهما باطن. وفيه السمع والبصر. وهو قلب القلب وسويداؤه. والتجويف الثاني .ظاهر القلب وفيه العقل. ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين. وهو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزله الصقال الذي في سواد العين. ومنه تنبعث الاشعة محيطة بالمرئيات. فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعة العلوم المحيطة بالمعلومات. وهذه الحالة التي خرقت شغف القلب ووصلت إلى سويدائه وهي حق اليقين أسمى العطايا وأعز الأحوال وأشرفها. ونسبة هذه الحالة من المشاهدة كنسبة الآجر من التراب إذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم ــ آجر. فالمشاهدة هي الأول والأصل يكون منها الفناء كالطين ثم البقاء كاللبن. ثم هذه الحالة هي آخر الفروع. اهـ من الإحياء الجزء الخامس رقم 225 فإنك إذا راقبته في جميع الأحوال فقد سلكت طريق الرجا المحمود فـ (عسى) حرف ترجي والرجاء تعلق القلب بمطموع يقع في المستقبل مع الأخذ في سببه. وحيث كان رجاؤك محمودا فإنك ولا شك (ترى المدد) أي الزيادة في إصلاح حالك وتنوير باطنك (في الأحوال) أي في تقلب تلك الأحوال. (و) أي وإذا رأيت ذاك المدد فـ (اطلب حلول الشيخ في البال) أي في قلبك بأن يكون الشيخ حاضرا في بالك دائما وأبدا. وإذا كان حاضرا في بالك. (تكن) أنت كذلك في باله حاضرا (بعد) أي بعد حضوره في بالك (وعنك لم يعن) أي لم يغب أو لم يبعد. يشهد لهذا ما في الإحياء ونصه. فالمريد الصادق إذا

دخل تحت حكم الشيخ وصحبه وتأدب بآدابه يسرى من باطن الشيخ حال إلى باطن المريد. ويكون مقال الشيخ مستودع نفائس الحال. وينتقل الحال من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال. ولا يكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه. فبالتألف الإلهي يصير بين الصاحب والمصحوب امتزاج وارتباط بالنسبة الروحية والطهارة الفطرية. ثم لا يزال المريد مع الشيخ كذلك متأدبا بترك الإختيار حتى يرتقي من ترك الإختيار مع الشيخ إلى ترك الإختيار مع الله. ويفهم من الله كما كان يفهم من الشيخ. ومبدأ هذا الخير كله الصحبة والملازمة للشيوخ. وكان قال قبل هذا بقليل. والمقصود الكلي هو الصحبة. وبالصحبة يرجى للمريد كل خير. وروي عن أبي يزيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان.

وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي علي الدقاق أنه قال: (الشجرة إذا أنبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر). وهو كما قال. ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال. ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين. والغرس إذا نقل من موضع إلى موضع آخر يكون أحسن حالا وأكثر ثمرة لدخول التصرف فيه. وقد اعتبر الشرع وجود التعليم في الكلب المعلم وأكل ما يقتله بخلاف غير المعلم.

وسمعت كثيرا من المشائخ يقولون. من لم ير مفلحا لا يفلح. ولنا في رسول الله إسوة حسنة وأصحاب سول الله صلى الله عليه وسلم تلقوا العلوم والآداب من رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما روي عن بعض الصحابة علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء حتى الخراءة. اهـ منه ج (5)

(و) أي وإياك (لاتقل طلبته) أي الشيخ المربي (فلم أجد له وجودا في زماني) أي هذا الزمان الذي أنا فيه (و) أي وأنه أي الشيخ المربي (فقد) أي عدم وجوده. فهذا تقول باطل واعتقاد فاسد (فأدلاء الحق لا تزول) لقول النبي صلى

الله عليه وسلم. (**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لا يضرهم من خالفهم**) الحديث وقوله (**الخير في وفي أمتي إلى يوم القيامة**) وقوله صلى الله عليه وسلم (**أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أو آخره**) اهـ (و) أي وكذلك (أنجم الطريق) التي يهتدي بها السالك إلى لله في ظلمات الجهل والضلال (لاتفول) أي لا تغيب للأحاديث المذكورة والأخبار والآثار الواردة عن السلف والخلف في ذلك. ويرحم الله ابن الوردي إذ يقول:

لاتقل قد ذهبت أربابه ‏ كل من سار على الدرب وصل

ولذا قال الناظم (فاصدق) أي في طلبك بالسعي وحسن النية (تر الصادق) أي الشيخ المربي الذي تطلبه ظاهرا (مثل الشمس وقت الضّحى) فإنها وقت الضحى تكون في غاية الصفا والظهور ولذا قال (تضيء دون لبس) أي دون اختفاء عن الأعين لرفعها على الجدران والأماكن المرتفعة ويشهد لوجود الشيخ المربي وعدم فقده ما في الإبريز من سؤال ورد على الشيخ سيدي مولاي عبد العزيز من بعض الفقهاء في جملة أسئلة. نص المقصود منها باختصار بعض السؤال.

ونصه سأله رضي الله عنه بعض الفقهاء عما قيل ان التربية انقطعت. إلى أن قال فمنها سيدي ما نقل عن الشيخ زروق رضي الله عنه. انقطعت التربية بالإصطلاح. و لم يبق إلا التربية بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان. هل ذلك خاص بزمانه أوهي منقطعة إلى نزول سيدنا عيسى عليه السلام. فإن قلتم انقطع فما سبب قطعه. وأن قلتم هوباق فمن الشيخ الذي تعطى له روح المريد يتصرف فيها بالخلوة وكيف يشاء. عينه لنا في أي إقليم وبلاد وممن نجح على يديه أحد من العباد. اهـ .

فأجاب رضي الله عنه. بأن المقصود من التربية هو تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها. حتى تطيق حمل السر وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها. وقطع علائق الباطل عن وجهتها. ثم قطع الباطل عنها تارة يكون بصفائها في أصل

خلقتها بأن يطهّرها الله بلا واسطة وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة الذين هم خير القرون. فقد كان الناس في تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه. إذا ناموا ناموا عليه. وإذا استيقظوا استيقظوا عليه. وإذا تحركوا تحركوا فيه. حتى أن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم الأنادر متعلقة بالله وبرسوله. باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما فلهذا كثر فيهم الخير واسطع في ذواتهم نور الحق. وظهر فيهم من العلوم وبلوغ درجة الإجتهاد مالا يكيف ولا يطاق. فكانت التربية في هذه القرون غير محتاج إليها. وإنما يلقى الشيخ مريده وصاحب سرّه ووارث نوره فيكلمه في أذنه فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوفها إلى نهج الرشاد.

وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه أعني قطع الظلام من الذّوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيات وكسدت الطويات وصارت العقول متعلقة بالدنيا باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات واستفاء اللذات. فصارالشيخ صاحب البصيرة يأتي مريده ووارثه فيعرفه وينظر إليه فيجد عقله متعلقا بالباطل ونيل الشهوات ، ويجد ذاته تتبع العقل في ذلك ، فتلهو مع اللاّهين ، وتسهو مع السّاهين وتميل مع المبطلين. وتتحرك الجوارح في ذلك حركة غير محمودة. من حيث أن العقل الذي هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق. فإذا وجده على هذه الحالة أمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الأكل. فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم في عداد الموتى. وبالذكر يزول كلام الباطل و اللهو واللغو الذي كان في لسانه. وبتقليل الأكل يقل البخار الذي في الدم فتقل الشهوة فيرجع العقل إلى التعلق بالله وبرسوله. فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء أطاقت ذاته حمل السر. فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة. ثم بقي الأمر على هذا مدة إلى أن اختلط الحق بالباطل والنور بالظلام فصارأهل الباطل يُربون من يأتيهم بإدخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق. وقد يضيفون إلى ذلك

عزائم واستخدامات تفضي بهذا إلى مكرمن الله تعالى واستدراجات. وكثر هذا الأمر في الأعصار التي أدركها الشيخ زروق رضي الله عنه وأدركها شيوخه فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية التي كثر فيها المبطلون. وأن يقفوا بالناس في ساحة الامن التي لا خوف فيها ولا حزن وهي اتباع السنة والكتاب. اللذين لا يضل من اهتدى بهما. فكلامهم رضي الله عنهم خرج مخرج النصيحة والإحتياط. ولم يريدوا رضي الله عنهم الإنقطاع رأسا لتربية الحقيقية وحاشاهم من ذلك فإن نور النبي صلى الله عليه وسلم باق. وخيره شامل. وبركته عامة. إلى يوم القيامة. وأما قولكم فمن الشيخ إلخ.

فجوابكم أن الشيخ الذي يلقى إليه بالقياد هو العارف بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم الذي سقيت ذاته من نوره صلى الله عليه وسلم حتى صارت على قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأمدّه الله تعالى بكمال الإيمان وصفاء العرفان. فهذا هو الذي يلقى إليه بالقياد وتنبغي محبته. وتنتفع خلطته فإنه تجمع العبد مع ربه ويقطع عنه الوساوس في معرفته ويرقيه في محبّة النبي صلى الله عليه وسلم وأما قولكم فعينوه لنا في أي إقليم أو بلد. فجوابه أن الموصوف المذكور متعدد والحمد لله في البلاد والعباد. فلا تخرج عن أهل السنة والجماعة.واطلبه تجده. ف﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**﴾(1) اهـ منه رقم 350 الى 352)

ـ تتمة ـ الشيخ من حيث هو ينقسم إلى خمسة أقسام شيخ إرشاد و هو العالم القاصد وجه الله. وشيخ تربية وهو ذو البصيرة والتجربة والمعرفة بعلم المعاملة. وشيخ ترق وهو ذو البصيرة النافذة والنور التام والهمة العالية بحيث يغني بالنظرة لمن هيء لذلك. وشيخ الحرفية وهو العارف لاسم الله الأعظم الممد لغيره بمعرفته. والشيخ الجامع وهو المحصل لهذه المراتب كلها المتصف بجميعها. اهـ وقد تحصل من صحبة الشيخ العارف للمسالك ثلاثة فوائد. الأولى صحبة المشائخ

1- سورة النحل الآية: 128.

والإقتداء بهم. والأصل فيه قوله تعالى: ﴿**واتبع سبيل من أناب إلي**﴾ (1) قال زروق والإنابة لا تكون إلا بعلم واضح وعمل صحيح وحال ثابت لا ينقضه كتاب ولا سنة. الثانية أنه إنما يصحب من توفرت فيه شروط الشيوخة وكانت فيه الأهلية لها بأن يكون عارفا كاملا قد سلك طريق الحق ووصل إلى حضرته فتنور وصار ذا بصيرة وهمة عالية سامية لا تعلق له بغير الله. ولااعتماد له على سواه. مصون السر عن الإلتفات إلى الخلف مرفوع الهمة عن تأميلهم اكتفاء بالحق متحققا بالحقيقة في جميع الأحوال متوسّما بالشريعة في الأقوال والأفعال. قال الشريشي في الرائية.

وللشيخ آيات فإن لم تكن له ... فما هو إلا في ليالي الهوى يسري

إذا لم يكن علم لديه بظاهر ... ولا باطن فاضرب به لجج البحر

وإن كان إلا أنه غير جامع ... لوصفيهما جمعا على أكمل الأمر

فأقرب أحوال العليل إلى الردى ... إذا لم يكن منها الطبيب على خبر اهـ

وعلامة هذا الحال والتحقيق بهذه الخلال الزهد في الدنيا وفي الجاه بين الخلائق وإخلاص رغبته لجناب مولاه بحيث لا يلهج إلا به ويذكره مع مصاحبة السنة لأفعاله. والعناية الربانية لأحواله. والإذن له في تربية الخلق من شيخ كامل ذي بصيرة نافذة. ولا يقال أين من هذا وصفه. لأنا نقول قال في لطائف المنن ونقله في ك لا يعوزك وجود الدالين وإنما يعوزك وجود الصدق في طلبهم. جد صدقا تجد مرشدا اهـ ومفهوم قول الناظم. الشيخ السالك العارف للمسالك. أنّ من ليس كذلك لا تطلب صحبته بل تجب مجانبته وهجرته لسريان دائه للصاحب. ومشاركته له في سوء العواقب. ومن هنا حذر الناصحون من الدخول في الطريق في هذا الزمان والإستناد فيه إلى أحد ممن يظن أنه من أهل هذا الشأن لكثرة الغلط وفقد شيخ يلقى المرء إليه قياده ويقتفيه. بل لا ترى إلا المريدين المبطلين. و لله در أبي مدين إذ يقول في رائيته:

1- سورة لقمان الآية: 15.

واعلم بأن طريق القوم قد درست   وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

على أن كثيرا ممن تقدم عصره من المشائخ كسيدي محمد الهواري دفين وهران وسيدي يوسف الفاسي كان يقول أن الشيخ مفقود في المغرب إلا أن قولهم هذا ليس بقاطع وإنما هو إخبار بالواقع . وفضل الله غير مؤقت بزمان، ولا محصور في أوان. ـ **الفائدة الثالثة** ـ بيان فائدة الصحبة وهي أن من شأن الشيخ لكونه عارفا بطريق السلوك أن يحمي المريد من كل ما يمنعه من الوصول إلى الله تعالى من أنواع الجهل والغرور. ودواعي الهوى الموقعة في ظلمة القلب وإطفاء النور.

قال في لطائف المنن شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى. شيخك هو الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيك أنوار ربك. نهض بك إلى الله فنهضت إليه. وسار بك حتى وصلت إليه. ولا زال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه. فزج بك في نور الحضرة وقال ها أنت وربك اهـ انتهى من ابن حمدون ببعض اختصار اهـ

ولما أنهى الكلام على صحبة الشيخ السالك. شرع يتكلم على محاسبة النفس فقال:

فصل في محاسبة النفس قبل الحساب الأكبر

أي فيما يطلب من السالك من محاسبة النفس قبل الحساب الأكبر الذي هو حساب القيامة. وقد أطال الإمام الغزالي في الإحياء الكلام على محاسبة النفس في كتاب المراقبة والمحاسبة وذلك أثناء الربع الثالث من الكتاب المذكور قال رحمه الله قال الله عز وجل: ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا**﴾ (1) وقال:﴿**ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه**﴾ (2) وقال: ﴿**يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم**﴾ (3) فعرف أهل البصائر من جملة

1- سورة الأنبياء الآية: 47.   2 - سورة الكهف الآية: 49.   3- سورة الزلزلة الآية: 06.

العباد أن الله لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب وتحققوا أنهم لا ينجيهم من ذلك إلا لزوم المحاسبة وصدق المراقبة ومطالبة النفس في الأنفاس و الحركات ومحاسبتها في الخطرات واللحظات. فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه وحضر عند السؤال جوابه. فمن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت في عرصات القيامة وقفاته.

فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجيهم منه إلا طاعة الله تعالى وقد أمرهم بالصبر والمرابطة فقال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا**﴾ (1) فرابطوا أنفسهم أولا بالمراقبة. ثم بالمحاسبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاتبة.

فكانت لهم في المرابطة ستة مقامات ولابد من شرحها وبيان حقيقتها وفضيلتها وتفصيل الأعمال فيها وأصلها المحاسبة ولكن كل حساب فيه مشارطة ومراقبة. ويتبعه عند الخسران معاتبة ومعاقبة. فلنذكر شروح هذه المقامات. إعلم أن مطلب المتعاملين في التجارات عند المحاسبة سلامة رأس المال ثم الربح. وكما أن التاجر يستعين بشريكه فيسلم المال إليه حتى يتجر فيه ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة ورأس ماله العمر. وإنما مطلبه وربحه تزكية النفس إذ به فلاحها. ففلاحها بالأعمال الصالحات. والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستخدمها فيما يزكيها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله. وكما أن الشريك يصير خصما ومنازعا لا يجازيه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه أو يعاقبه رابعا. فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويشترط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ويجزم عليها الأمر بسلوك تلك الطريق ثم لا يغفل عن مراقبتها لحظة، فإنه لو أهملها لم ير منها إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا

4- سورة آل عمران الآية: 200.

خلا له الجو وانفرد بالمال. ثم بعد الفراغ فينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها فإن هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى. فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا الحقيرة الفانية. فحتم على كل مؤمن أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها فإن كل نفس من نفائس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها. فإذا أصبح وفرغ من فريضة الصبح فينبغي له أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس ويقول لها ما لي بضاعة إلا العمر فإن فنى فني رأس المال ووقع اليأس من التجارة وطلب الربح. وهذا اليوم الجديد أمهلني الله فيه فإيّاك أن تضيعيه ثم يستأنف لها وصية أخرى في أعضائه العين والأذن واللسان والفرج والبطن واليد والرجل. فإذا وصى نفسه وشرط عليها ما ذكرنا فلا يبقى إلا المراقبة لها عند الخوض في الأعمال فإنها إن تركت طغت وفسدت. وكما أن العبد يكون له وقت أول النهار ويشارط نفسه فيه على سبيل التوضيح بالحق. فكذلك ينبغي أن تكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التاجر في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصا على الدنيا الفانية. ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح و الخسران لتتبين له الزيادة من النقصان. فإن كان ثم فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان ثم خسران طالبه بضمانه وكلفه تداركه في المستقبل. فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي. وموسم هذه التجارة النهار و معالجة نفسه الأمارة بالسوء فيحاسبها على الفرائض فإذا أداها على وجهها شكر الله تعالى عليها ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء. وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل .وإن ارتكب معصية اشتغل بعقابها وتعذيبها ومعاتبتها.ولا يمهلها لئلا تتأنس بفعل المعاصي ويعسر عليه فطامها. فإذا أكل لقمة شبهة لشهوة نفس فينبغي أن يعاتب البطن بالجوع.وإذا نظر إلى محرم فينبغي أن

يعاقب العين بمنع النظر. وكذلك ينبغي أن يعاقب كل طرف من الأطراف بمنعه من شهواته هكذا كانت عادة سالكي الآخرة. وإن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤدّبها بتثقيل الأوراد عليها ويلزمها فنونا من الفضائل جبرا لما فات وتداركا لما فرط ويقبل على نفسه فيقرر عندها جهلها وحماقتها ويقول لها ما جعلك تتدعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقا. أما تعرفين مابين يديك من الجنة والنار وأنك صائرة الى إحداهما لا محالة على القرب .فما بالك تفرحين وتضحكين وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم فأراك ترين الموت بعيدا ويراه الله قريبا .أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب . ويحك جرأتك على معصية الله.إن كانت لاعتقادك أن الله تعالى لايراك فما أعظم كفرك .وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد حمقتك وما أقل حياؤك ويحك لو واجهك عبد من عبيدك بل أخ من إخوانك بما تكرهينه كيف كان غضبك عليه أو مقتك له فبأي جسارة تتعرضين لمقت الله تعالى وغضبه .انظر تمام كلامه اهـ قاله الشيخ ميارة في الكبير اهـ ولذا قال الناظم مشيرا لتلك المحاسبة الدقيقة.

يَأَيُّهَا السَّالِكُ حَاسِبْ نَفْسَكَ	**مِنْ قِبْلِ أَنْ تَدْخُلَ فِيهَا رَمْسَكَ**
وَقَبْلَ أَنْ تُنَاقَشَ الْحِسَابَا	**فَلاَ تَرَى هُنَالِكَ العِتَابَا**
فَحَاسِبِ النَّفْسَ عَلَى الأَنْفَاسِ	**وَعَنْ نَّعِيمٍ بَعْدَ سُوءِ الْبَاسِ**

(يا أيها السالك) إلى الله (حاسب نفسك) على ما فعلته في جميع النهار والليل (من قبل أن تدخل فيها رمسك) أي قبرك (و) أي ومن قبل (أن تناقش الحسابا) أي على ما فعلته من خير أو شر قال تعالى: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره**﴾(1) الآية (فـ) أي فإن حاسبت نفسك كما تقدم في كل ليلة وكنت إن

1- سورة الزلزلة الآية: 07.

وجدت خيرا حمدت الله وزدت في العمل شكرا لله تعالى على إعانته وتوفيقه لـك فإنك(لا ترى هنالك) أي في القبر والحشر وعند العرض والميزان وغير ذلك من أهوال يوم القيامة (عتابا) أي توبيخا. وقوله (فحاسب النفس على الأنفاس) هو عطف بيان أكد به قوله (حاسب نفسك) أي حاسبها على الأنفاس أي على كل نفس صدر منها هل كان فيما يرضي الله أو فيما يغضبه. فإن كان فيما يرضيه تعالى أشكره بالثناء عليه والزيادة في العمل. وإلا فتب إليه تعالى قبل أن يسخط عليه. وكذا بإجبار النقص إن وقع في فرض أو نفل (و) أي وحاسبها أيضا (عن نعيم) أنعم به تبارك وتعالى عليك (بعد سوء البأس) أي بعدما أصابك البأس الشديد، من هم أو مرض أو حزن أو فقر أو غير ذلك مما يسوء. وجاء الفرج منه تعالى وأبدل لك المرض بالصحة والهم براحة البال.والحزن بالفرح. والفقر بالغنى إلخ فهذا معنى قوله. فحاسب النفس على الأنفاس . البيت والله أعلم.

ويرحم الله ابن عاشر حيث قال:(يحاسب النفس على الأنفاس) البيت. والأنفاس كما قال ابن عباد أزمنة دقيقة تتعاقب على العبد ما دام حيا. ويرحم الله ابن حمدون إذ يقول:

العمـر أغلى بضاعة فاصرفه في الله طاعة
واربأ بنفسك عن أن تكون ممن أضاعه

وقال الشاعر:

أليس من الخسران أن لياليا تمر بلا نفع وتحسب من عمري

وقال آخر:

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس عليه من الإنفاق في غير واجب

ولأجل هذا عظمت مراعاة السلف الصالح رضي الله عنهم لأنفاسهم ولحظاتهم وبادروا إلى اغتنام ساعاتهم وأوقاتهم، ولم يضيعوا أعمارهم في البطالة والتقصير، ولم يقنعوا من أنفسهم لمولاهم إلا بالجد والتشمير. وقد قال سيدنا علي

رضي الله عنه: (بقية عمر المؤمن ما لها ثمن يدرك فيها ما فات ويحي ما أمات) وقد نظمه بعض الشعراء فقال:

بقية العمر عندي ما لها ثمن عليه من الإنفاق في غير واجب

يستدرك المرء فيها ما أفات ويحيي ما أمات ويمحو السوء بالحسن

ولأجل محافظتهم على الأوقات لا يرتكبون المباحات إلا بنية تقلبها قربة فتكون من المندوبات أو الواجبات ولذا لم يكن في طريق القوم مباح كما قال في المدخل. وانظر شرح الحكم عند قوله ما فات من عمرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له اهـ قاله ابن حمدون رقم 160. ولذا قال الناظم:

مَا نَفَسٌ إِلاَّ عَلَيْكَ طَاعَةْ وَأَدَبٌ فِيهِ وَفِيهِ نِعْمَةْ

وَكُلُّ نِعْمَةٍ عَلَيْكَ شُكْرُهَا فَسَلْهَا عَنْ ذَاكَ وَدَاوِمْ زَجْرَهَا

(ما نفس) أي ليس يمضي عليك نفس تتنفسه (إلا) و لله (عليك) فيه (طاعه) تؤديها لها تعالى لأنك ما خلقت إلا لذلك ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ (1) (و) أي وما من نفس إلا و لله عليك فيه (أدب) تتأدب (فيه) مع الله تعالى (وفيه) أي في ذلك نفس (نعمه) بل نعم لا تحصى منها أنه لو أمسك عليك الهواء ساعة أو أدنى لَمِتَّ حتف نفسك إلى غير ذلك من عظائم النعم ودقائقها التي لا تحصى قال تعالى:﴿ **وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾ (2) (و) أي وإذا تقرر هذا فإن (كل نعمة عليك شكرها) أي صرفها في طاعته تعالى إذ الشكر هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. أو هو صرف جميع النعم فيما خلقت له من واجب ومندوب ومباح. وهذا هو الشكر اصطلاحا وأما عرفا فهو أمر دال على تعظيم منعم اهـ وإذا كان كذلك (فسلها عن ذاك) أي عن ما فعلت في تلك النعمة (وداوم زجرها) أي مراقبتها وحسابها وتكليفها لإجبار النقص إن وقع كما تقدم من كلام الغزالي رحمه الله وكما قال سيدي محمد ابن سعيد البوصيري. وراعها وهي في الأعمال سائمة، الأبيات الثلاث.

1- سورة الذاريات الآية: 56.

2- سورة إبراهيم الآية:34 .

ثم حيث كانت النفائس والدقائق لا تكاد تنحصر حفظا لكثرتها أرشد الشيخ المؤلف رحمه الله إلى ما يعين على ضبط ذلك فقال:

وَاكْتُبْ إن اسْتَطَعْتَ مَا تُجْرِمُهُ ... مِنَ الجَرَائِم وَمَا تَخْدُمُهُ
وَاعْرِضْهُ فِي المَسَا عَلَى حِسَابِكْ ... تَعْلَمْ بِمَا اجْتَمَعَ فِي وِطَابِكْ
فَإِنْ رَأَيْتَ الخَيْرَ فَاحْمَدْ رَبَّكَ ... وَإِنْ رَأَيْتَ الشَّرَّ فَاعْتِبْ نَفْسَكَ

(واكتب) أيها السالك ما يصدر منك من قول أو عمل (إن استطعت) ان تكتب (ما تجرمه) أي ما ترتكبه وتفعله (من الجرائم) أي القبائح واكتب كذلك (ما تخدمه) أي من طاعة. وجواب الشرط محذوف أي فافعل على حد قوله تعالى: ﴿ **فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتاتيهم بآية**﴾ (1) (و) أي وإن كتبته فـ (اعرضه في المسا) أو العشية أو الليل (على حسابك) أي زمامك الذي كتبت فيه ما أحسنت وما أسأت وحينئذٍ (تعلم) علم يقين (بما اجتمع في أوطابك) أي أفعالك من خير او شر (فإن رأيت) أي وجدت في صحيفتك التي عرضتها على حسابك (الخير) وهو ما يمدح فاعله شرعا (فاحمد ربك) أي على توفيقه وإعانته لك فإنه لولا توفيقه وإعانته لك لما قدرت على فعل مثقال ذرة من خير. ثم اعلم بأنك لا تقدر على شكر تلك النعمة لأنه ما من نفس إلا و لله عليك فيه نعمة كما تقدم. ومهما شكرت نعمة فذلك الشكر نفسه نعمة. كما قيل:

إذا كان شكر نعمة الله على نعمة ... له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر اهـ

كما في التتائي (فإن رأيت) أي وجدت في عرضك (الشر) وهو ما يذم فاعله شرعا عكس الخير(فاعتب نفسك) أي عاتبها بما تقدم ذكره على ارتكاب الشر الذي هو من الموبقات وشدد عليها في العقاب. ثم اهرع إلى التوبة والإستغفار كما قال:

وَاسْتَغْفِرِ اللهَ مِنَ الْخَطَايَا ... وَتُبْ إِلَى اللهِ مِنَ البَلاَيَا

1- سورة الأنعام الآية: 35.

(واستغفر الله) الغفور كما وصف نفسه تبارك وتعالى ﴿ **غافر الذنب**﴾ (1) وكما حكى عن سيدنا نوح في قوله لوقمه:﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا**﴾ (2) أي اطلبوا منه محو ذنوبكم. بأن تؤمنوا به وتتقوه فليس المراد بالإستغفار مجرد قول استغفر الله، فمن لازم الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا. عن الحسن أن رجلا شكا إليه الجدب فقال: استغفر الله. وشكا إليه آخر الفقر فقال استغفر الله. وشكا إليه آخر قلة النسل وشكا إليه آخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالإستغفار. فقال له الربيع بن الصبيح أتاك رجال يشتكون إليك أبوابا ويسألونك أنواعا فأمرتهم كلهم بالإستغفار فتلى الآية اهـ كما في الصاوي. وقوله (من الخطايا) أي الذنوب(وتب إلى من البلايا) تبارك وتعالى توبة نصوحا كما امر وارج القبول قال تعالى:﴿ **يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم**﴾ (3) الآية 8 سورة التحريم. وقال تعالى:﴿ **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات**﴾ (4) الآية سورة الشورى و التوبة النصوح هي الندم على ما فات و النية على ألا يعود إلى ذنب فيما بقي من عمره كما قال سيدي عبدالرحمان الأخضري وكما قال ابن عاشر .وتوبة من كل ذنب يجترم تجب فورا .البيتين . اهـ وقوله (من البلايا)أي الخطايا اهـ ثم أشار الى ان من فعل ما ذكر نجا ومن لا فلا فقال:

مَنْ حَاسَبَ النَّفْسَ نَجَا مِنَ الحِسَابْ   مَنْ أَهْمَلَ النَّفْسَ شَقِي فِي الَمآبْ

(من)أي الذي (حاسب النفس)أي على الأنفاس (نجا) أي سلم (من الحساب)أي حساب يوم القيامة الذي أشار إليه بالحساب الأكبر الذي عاقبته العذاب والفضيحة على رؤوس الأشهاد .كما قال صلى الله عليه وسلم جوابا لأمنا عائشة رضي الله عنهاحين قالت له أليس الله يقول: ﴿ **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ ذلك العرض وأما من نوقش الحساب عذب.ذكر ذلك في صحيح البخاري أما العرض فهو تكرمة للمؤمن. وهو المسمى بحديث النجوى الذي قال

1- سورة غافر الآية: 3.
2- سورة نوح الآية: 10.
3- سورة التحريم الآية: 8.
4- سورة الشورى الآية: 25.

فيه صلى الله عليه وسلم :(**إن الله ليضع كنفه أي ستره على عبده المؤمن في الحشر .ويقول له ياعبدي فعلت ذنب كذا في يوم كذا فيقول له نعم و لا يزال يقرره إلى أن يقول له سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**) الآية أو كما قال اهـ ببعض اختصار وحين تلا صلى الله عليه وسلم حديث النجوى فرح الصحابة رضوان الله عليهم فرحا شديدا كما حكى عنهم في الصحيح.

ـ **تنبيه** ـ ففي ستر الله لعبده المؤمن في المحضر عن الناس مع شدة الضيق كما ورد أنه يعلو القدم ألف قدم وعدم سماع ذنوبه لهم. وإضافته له بقوله ياعبدي من تكريم المؤمن والتنويه بقدر منزلته عند الله ما لا يدخل تحت حصر. ومن أجل ذا قال سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه. الناس يفرون من الحساب وأنا أطلبه فإنه لو قال لي في أثناء محاسبته تعالى ياعبدي مرة واحدة لكانت تلك الإضافة إليه خيرا لي من نعيم الجنة. لأن السيد إذا قال لعبده ياعبدي بياء الإضافة ذلت تلك الإضافة على عتقه. أو كما قال فإني كتبته من حفظي بعد مدة طويلة من مطالعتي له اهـ

وهذا الستر الجميل والخطاب الجليل يحصل للمؤمن من الإستقامة على التقوى، ومراقبة المولى. فإن من راقبه خافه كما أمر:﴿ **وخافون إن كنتم مومنين**﴾ (1) ومن راقبه وخافه أحسن في المعاملة التي يعامله تعالى بها. ومن آمن وأسلم وأحسن فقد استكمل الإيمان الدين. كما قال ابن عاشر الدين ذي الثلاث خذ أقوى عرائك. ومن استمسك بالعروة الوثقى نجا. قال تعالى:﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويومن با لله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها**﴾ (2) سورة البقرة 256. الإنفصام القطع بغير بينونة والإنقصام بالقاف القطع مع البينونة. فالتعبير بالإنفاصم أبلغ كذا في الصاوي.

1- سورة آل عمران الآية: 175.   2- سورة البقرة الآية: 256.

ومن خافه تعالى في الدنيا أمنه في الآخرة كما في الحديث القدسي: ﴿ **لاأجمع على عبدي أمنين ولا خوفين من خافني في الدنيا أمنته في الآخرة ومن أمنني في الدنيا خوفته في الآخرة**﴾ أو كما قال (من أهمل النفس) أي أطلق عنانها وتركها تسرح في أودية المعاصي كيف شاءت (شقيَ في المآب)أي العقبى وهي الآخرة التي يرجع فيها إلى الله تعالى. والإشارة بهذا إلى آخر الحديث المذكور وهو من أمنني في الدنيا خوفته في الآخرة اهـ فالله سبحانه وتعالى أعلم.

ـ **فائدة** ـ من روح البيان عند قوله تعالى:﴿**قل لعبادي الذين آمنوا**﴾ (1) الآية مع نصه شرف الله عباده بهذه الياء وهي خير لهم من الدنيا وما فيها. لأن فيها إضافة إلى نفسه والإضافة تدل على العتق لأن رجلا لو قال لعبده يابن أو ولد لا يعتق ولو قال يابني أو ولدي يعتق بالإضافة إلى نفسه كذلك إذا أضاف الله العباد إلى نفسه فيه دليل أن يعتقهم من النار ولا أشرف من العبودية كما قال أبو يزيد البسطامي المتقدم. وعن علي رضي الله عنه:(كفاني شرفا أن تكون لي ربا وكفاني عزا أن أكون لك عبدا) اهـ ولما أنهى الكلام على محاسبة النفس، شرع يتكلم على حكم الخواطر التي تخطر على قلب المرء فقال.

فصل في حكم الخواطر الأربعة

أي في تفصيل الخواطر الأربعة التي تخطر على القلب فقال:

إنَّ الخَوَاطِرَ إلَى الإنْسَانِ ... أرْبَعَةٌ تَخْطُرُ فِي الجَنَانِ

رَبَّانِيٌّ مَلَكِيٌّ نَفْسَانِي ... وَبَعْدَهَا المُجَعْجِعُ الشَّيْطَانِي

أخبر رضي الله عنه بأن الخواطر التي تخطر على قلب الإنسان تنحصر في أربعة كما قال:(إن الخواطر إلى الإنسان أربعة) وقوله (تخطر) أي تجري وتحدث (في الجنان) أي القلب أحدها (رباني) والثاني(ملكي) والثالث (نفساني) والرابع

1- سورة إبراهيم الآية: 31.

هو الذي أشار إليه بقوله (وبعدها) أي وبعد الثلاثة (المجعجع) أي الموسوس الغرور وهو (الشيطان) وعني بقوله (المجعجع) والله أعلم أي المروع والمخوف والمزين للإنسان المعاصي قال الله تعالى: ﴿ **إنما ذالكم الشيطان يخوف أولياءه** ﴾ (1) الآية وقال تعالى: ﴿**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم**﴾ (2) الآية وقال تعالى: ﴿ **إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا**﴾ (3) أي تهيجهم إلى المعاصي أي تغريهم بتزيين الشهوات لهم (أزا) مفعول مطلق لتؤزهم والأز يطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهيج والإزعاج وهو المراد هنا. اهـ صاوي . ثم بين الخواطر الأربعة بنشر مشوش فقال:

فَالمَلَكِي بِالخَيْرِ يَأْتِي أَبَدَا	**وَالصِدْقُ وَالتَّصْدِيقُ لِلْحَقِّ بَدَا**
وَخَاطِرُ النَفْسِ بِشَهْوَةٍ وَفِي	**عَمَى العَوَاقِبِ بِخَيْرٍ لاَ يَفِي**
وَخَاطِرُ الشَّيْطَانِ بِالشُّرُورِ	**وَالمَيْنِ وَالتَكْذِيبِ وَالفُجُورْ**
وَالخَاطِرُ الرَّبَّانِي بِالتَعْيِينْ	**لِطَاعَةٍ تَصْلحُهُ فِي الحِينْ**
فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ تَرَدَّدَتْ	**عَلَى القُلُوبْ أَبَدًا وَخَطَرَتْ**
بِحَسَبِ التَّقْدِيرِ تَجْرِي فِي القُلُوبْ	**فِي عِلْمِ ذِي التَّدْبِيرِ عَلاَّمِ الغُيُوبْ**

أي فالخاطر الملكي علامته الأمر (بالخير) لكن ليس محصورا في طاعة بعينها بل يأمر بإحداث طاعة لله تعالى تنفي الغفلة عن القلب وتكون زادا للآخرة (يأتي به) أي بذلك الخاطر (أبدا) أي دائما. والخير ما يحمد فاعله شرعا. (و) أي ومن الخير الذي يحمد فاعله شرعا ويلقيه الملك على قلب الإنسان (الصدق) أي في القول. وسيأتي الكلام على الصدق في محله إن شاء الله (و) أي ويأتي أي يخطر أي يزين للإنسان (التصديق) للحق وللرسل عليهم الصلاة والسلام. فقوله (بدا) أي ظهر خاطر الملكي بهذا. (و) أي وأما (خاطر النفس) فعلامته أنه يخطر

1- سورة آل عمران الآية: 175. 2 - سورة الأنفال الآية: 48.

3- ورة مريم الآية: 83.

(بشهوة) خاصة تحملك عليها ولا تنثني عنها بل تقف لك بالمرصاد وتنازعك وتحاربك على فعلها. ولذا قال:(وفي عمى) أي عماها تسرح وتمرح . وعلامته أي الخاطر النفساني أيضا أنه في (العواقب) أي عواقب الأمور (بخير لايفي) أي يأتي بل لا يأتي إلا بالشر. وهو ما يذم فاعله شرعا عكس الخير وأما (خاطر الشيطان) فيأتي (بالشرور) المحضة أي الغرور والمعاصي لكن لا يقف مع الإنسان في معصية بعينها بل إن لم يطعه في تلك المعصية التي طلبها منه إنتقل إلى غيرها لأن غرضه الإظلال فحسب حرصا منه على إبرار قسمه الذي قصه الله تبارك وتعالى علينا في سورة الأعراف: ﴿ **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم**﴾ (1) الآية هذا وإنه تبارك وتعالى يحذرنا منه بقوله جل وعلا: ﴿ **ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾ (2) وقد أعلمنا تبارك وتعالى بعداوته وأمرنا أن نتخذه عدوا بقوله جل من قائل: ﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا**﴾ (3) وقوله (والمين والتكذيب والفجور) أي ومن الشرور وسوسته (بالمين) أي الشك أي ما يلقيه في قلب الإنسان من الشكوك والأوهام الباطلة (والتكذيب) أي بالقدر أو غير ذلك (والفجور) أي الفسوق اهـ (و) أي وأما (الخاطر الرباني) أي علامته أن يخطر على قلب المرء المحظوظ بعناية الله إنشاء وإحداث طاعة أي (بالتعيين لطاعة) إقتضتها حكمته وإرادته من ذلك العبد وتلك الطاعة (تصلحه في الحين) أي الزمان الحاضر وفي الآتي إن وفقه الله للدوام عليها إلخ وهذا البيت لم يوجد في النسخة التي بيدي. فلعل الناظم أغفله. فسبحان المنزه عن السهو والذهول والغفلة. فزدته على حسب فهمي السقيم تتميما للخواطر الأربعة التي ترجم إليها. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق اهـ

1- سورة الأعراف الآية: 16. 2- سورة فاطر الآية: 5. 3- سورة فاطر الآية: 6.

(فهذه أربعة) أي عدد الخواطر كما تقدم لا خامس لها (ترددت) أي توالت (على القلوب) بحيث لا يخلو القلب عن واحد منها (أبدا) أي دائما (و) أي وأنها أي تلك الخواطر الأربعة (خطرت) أي وساوسها بحيث لا ينفك القلب عن واحد منها لكن (بحسب التقدير) أي المقدر في سابق علم الله على العبد (تجري) أي تلك الخواطر (في القلوب) كما (في علم ذي التدبير) أي المدبر فالله تبارك وتعالى والمقدر للأمور. قال تعالى: ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الأرض** ﴾ (1) قدر الخير والشر وأرادهما إلا أن الخير قدره وأراده وأمر به. والشر قدره وأراده ونهى عنه. وكل عبد من عباده أقامه فيما يسره له ففي صحيح البخاري روي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في جنازة في بقيع الغرقد فجعل ينكت الأرض بعود في يده ثم رفع رأسه فقال: (**ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مقامها من الجنة أو النار**) فقال الصحابة رضوان الله عليهم أفندع العمل ونتكل على كتابنا فمن كان منا من أهل الجنة صار إليها ومن كان من أهل النار صار إليها. فقال لا إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله ثم قرأ ﴿ **إن سعيكم لشتى فأما من أعطا واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى** ﴾ (2) الآية أو كما قال اهـ

وهو تعالى (علام الغيوب) أي المغيبات أي في حق غيره وأما هو تعالى فليس في حقه غيب اهـ ثم بعد ما ذكر الخواطر الأربعة ومراتبها وخطراتها من جهة النفس والشيطان على القلوب. نبه رحمه الله على الدواء وأرشد إلى استعماله. فلله دره فقال :

فَخَاطِرُ النَفْسِ وَخَاطِرُ الشَّيْطَانْ	**اَرْدُدْهُمَا فَوْرًا وَعَنَّ عَن شَنَانْ**
مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزِنْ بالقُسْطَاسْ	**الطَّائِفْ الهَاجِسَ بِالوَسْوَاسْ**
وَاَقْبِلَ بشَاهِدِ الكِتَابِ ضِدَّهُ	**وَاعْمَلْ بِذَاكَ لِتَنَالَ رُشْدَهُ**
وَالجَأْ إِلَى مَوْلَاكَ عِنْدَ رَدِّ مَا	**يُرَدُّ وَاحْمَدْهُ بضِدٍّ قَدْ سَمَا اهـ**

---

1 - سورة السجدة الآية: 5

2- سورة الليل الآية : 4،5،6،7.

(فخاطر النفس) أي ما يخطر على قلبك مما علمت من هواجسها (وخاطر الشيطان) أي المعلوم مما تقدم (أردد هما فورا) أي بسرعة وأعرض عنهما. فإنك إذا تماديت معهما ولو لحظة ألقياك في بحر الظلمات وأورداك موارد المهالك(وعنَّ) أي أعرض عما يخاصمانك فيه وخالفهما فيما يريدانه منك. كما قال سيدي محمد بن سعيد البوصيري. وخالف النفس والشيطان . البيتين وقوله (عن شنان) أي خصومة. قال تعالى: ﴿**ولا يَجْرِمَنّكم شنئان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقو ا الله**﴾(1) سورة المائدة آية رقم 8.

وهذا (من بعد أن تزن) ما ألقيا في قلبك (بالقسطاس) أي الميزان الشرعي مأخوذ من قوله تعالى ﴿**وزنوا بالقسطاس المستقيم**﴾ (2) سورة الإسراء رقم 35. أي الميزان العدل. ففي البخاري (القسطاس، العدل بالرومية. والذي يوزن هو (الطائف الهاجس) أي الوارد على القلب (بالوسواس)الذي أمرنا ا لله تبارك وتعالى أن نستعيذ منه في سورة قل أعوذ برب الناس السورة ولذا قال الناظم (واقبل بشاهد الكتاب ضده) أي ضد ما يلقيه اليك ذلك الهاجس الموسوس واعمل بذاك) أي برد ذالك الخاطر واستعمال ضده (لتنال) أي لكي تنال (رشده) أي شاهد الكتاب. (و) أي وإذا عملت بذلك وطردته وذهب عنك (الجأ إلى مولاك) أي ا لله تعالى بالاضطرار إليه والإفتقار والانكسار لأنه تبارك وتعالى عند المنكسرة قلوبهم كما في الحديث القدسي . واسأل منه أن يحفظك ويقيك من خاطر النفس والشيطان (عندرد ما يرد) أي على قلبك من ذلك الطائف الهاجس. وإذا وقاك ا لله منه واذهب عنك اللعين مطرودا مدحورا فاذكر تلك النعمة العظيمة (واحمده) أي بالحمد اللغوي والعرفي على عصمته لك من إغوائهما وإبدال ما هجسا به من الغواية والغرور (بضد) أي بطاعة وحمد لله تعالى وذلك الضد الذي وفقك ا لله له وقاومتهما به فضل عظيم (قدسما) أي علا. اهـ وا لله سبحانه وتعالى أعلم ولما أنهى الكلام على الخواطر شر ع يتكلم على حفظ الفرائض.

1- سورة المائدة الآية: 08. 2- سورة الإسراء الآية: 35.

فصل في حفظ المفروض

أي المحافظة على الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده فقال:

إِعْلَمْ بِأَنَّ الفَرْضَ رَأْسُ المَالِ ... وَالنَّفْلُ فِي الأَمْثَالِ رِبْحٌ تَالِ

فَالرِّبْحُ لاَ يُمْكِنُ دُونَ الرَّأْسِ ... وَالفَرْعُ لاَ يُوجَدُ دُونَ الأُسِّ

وَأَعْظَمُ الأُجُورِ أَجْرُ الفَرْضِ ... فَحَافِظَنْ عَلَيْهِ دُونَ رَفْضِ

وَمَا أَتَى يَكْفِي مِنَ النَّوَافِلِ ... بَعْدَ أَدَاءِ فَرْضِكَ المُقَابِلِ

وَالرِّبْحُ مُجْبِرٌ لِرَأْسِ المَالِ ... إِنْ لَمْ تَعَمَّدْ تَرْكَهُ فِي الحَالِ

أي (إعلم) أيها السالك إلى الله تعالى (بأن الفرض) هو (رأس المال) وإذا علمت أنه رأس مالك فحافظ عليه. قال الشيخ ابن عاشر. ويحفظ المفروض رأس المال. والنفل ربحه به يوال. وإليه أشار الناظم بقوله (والنفل في الأمثال ربح تال) أي موال لرأس المال وناتج عنه وذلك لأن بالمحافظة على رأس المال يتأتى الربح. ولذا قال (فالربح لا يمكن دون الرأس) أي رأس المال واستشهد على ذلك بقوله(و) أي وكما أن (الفرع لا يوجد دون الأس) أي الأصل وهو من المعلوم بالضرورة (و) أي وأعلم بأن (أعظم الأجور) أي الثواب على الأعمال (أجر الفرض) لما في الحديث القدسي وهو (**وما تقرب إليّ عبدي بشيئ أحب إليّ مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به. ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه. ولئن استعاذني لأعيذنه**). رواه البخاري.

وإذا علمت ذلك (فحافظن عليه) أي على الفرض من (دون رفض) أي ترك. ويفهم منه أن المطلوب الإبتداء بالفرض وأن لا يشتغل بنفل حتى يفرغ من الفرض لأن الفضل لا يصح إلا بعد حوز السلامة. كما لا يخلص الربح للتاجر إلا بعد حصول رأس المال. فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل أبعد وإلى الإغترار أقرب. ففي الحكم ، من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات

والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات هكذا نقله ابن حمدون فانظره اهـ (و) أي وأن حفظت على أداء الفرائض فإنه يكفيك (ما أتى) منك من النوافل(بعد أداء فرضك) أي المفروض عليك (المقابل) أي الموالي للفرض. والمعنى وا لله أعلم فإنك أن حفظت على أداء الفرائض فإنه يكفيك من النوافل ما أتيت بها مقابلا للفرض الذي أديته. كما قال ابن عاشر. ويحفظ المفروض رأس المال. والنفل ربحه به يوالي. أي يوالي كل فرض بنفل تابع له (و) أي وأعلم بأن (الربح) الحاصل (ومجبر لرأس المال) أن وقع نقص فيه لكن بشرط (إن لم تعمد تركه في الحال) أي في الوقت أما إن تعمدت أيها المكلف ترك الفرض لزعمك أن النفل ينوب عنه فقد أخطأت وابتعدت عن الطريق بزعمك الفاسد. لما تقدم من قول المصنف، فالربح لا يمكن دون الرأس. والفرع لا يوجد دون الأس فافهم وتنبه. وا لله في عوني وعونك انتهى

ولما أنهى الكلام على حفظ الفروض شرع يتكلم على فضل الذكر ومافيه من الخصال المحمودة فقال

فصل في ذكر الله تعالى

يشير المصنف بهذا الفصل إلى أن الإكثار من الذكر لله تعالى هو أساس الطريق الموصلة إلى ا لله

الذِّكْرُ رُكْنٌ قَدْ قَوِيَ فِي الطَّرِيقْ	**فَهْوَ لِكُلِّ سَالِكٍ نِعْمَ الرَّفِيقْ**
لأَنَّهُ يَجْمَعُ بِالمَذْكُور	**إن سَاعَدَ التَّوْفِيقُ فِي المَسْطُور**
وَالذِّكْرُ مِفْتَاحُ القُلُوبِ جَالِبْ	**أَسْرَارَغَيْبِ المَلَكُوتِ غَالِبْ**
لأَنَّهُ يُمَزِّقُ الحِجَابَا	**وَيَهْدِمُ الأَطْوَادَ وَالأَعْقَابَا**

أخبر رضي ا لله عنه بأن (الذكر ركن) أي أساس (قد قوي) أي ذلك الأساس وإذا كان الأساس قويا متينا ثبت الصرح الطويل (في الطريق) أي الموصلة

إلى ا لله تعالى لأن الذكر أحب الأعمال إليه قال سيدنا معاذ بن جبل رضي ا لله عنه أن آخر كلام فارقت عليه رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم أن قلت أي الأعمال أحب إلى ا لله، قال« **أن تموت ولسانك رطب من ذكر ا لله.** » اهـ وعنه رضي ا لله عنه قال ما عمل آدمي **عملا أنجى له من عذاب ا لله من ذكر ا لله** اهـ (فهو) أي الذكر (لكل سالك) إلى ا لله تعالى (نعم الرفيق) أي أفضل وأحسن رفيق في الطريق لما ورد أنه خيرلأعمال وأزكاها وأقوى الاسباب لرفع الدرجات. للحديث الذي يقول فيه رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم.« **ألا أ نبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخيرلكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم** »، **قالوا، بلى قال** « **ذكر ا لله،** » رواه احمد وابن ابي الدنيا والترميذي وغيرهم، كما في شرف المحمدية اهـ.

وفي شرح السيد مولاي أحمد بن محمد عجيبة الحسني، على الحكم لدى قول صاحب الحكم. لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع ا لله فيه،لأن غفلتك عن وجود ذكر أشد من غفلتك في وجود ذكر، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة. ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عما سوى المذكور، وما ذلك على ا لله بعزيز، مانصه قلت الذكر ركن قوي في طريق القوم وهو أفضل الأعمال قال ا لله تعالى ﴿ **فاذكروني أذكركم** ﴾ (1)، وقال تعالى ﴿**يأيها الذين امنوا اذكروا ا لله ذكرا كثيرا**﴾(2) والذكر الكثير ان لا ينساه ابدا، قال ابن عباس رضي ا لله عنه كل عبادة فرضها ا لله تعالى جعل لها وقتا مخصوصا وعذر العباد في غير أوقاتها الا الذكر لم يجعل ا لله له وقتا مخصوصا قال تعالى

1- سورة البقرة الآية: 152. 2 - سورة الأحزاب الآية: 41.

﴿**اذكروا ا لله ذكرا كثيرا**﴾ (1) وقال تعالى ﴿ **فإذا قضيتم الصلاة فـاذكروا ا لله قياما وقعودا وعلى جنوبكم**﴾ (2)، وقال رجل يا رسول ا لله كثرت علـى شعائر الإسلام فأوصيني بامر ادرك به ما فاتني وأوجز، **فقال: لا يزال لسانك رطبا بذكر الله**، وقال عليه الصلاة والسلام، **لو ان رجلا في حجره دراهم يقسـمها، وءاخـر يذكر ا لله لكان الذاكر لله أفضل**، وقال صلى ا لله عليـه وسـلم، **ألا أنبئكـم بخير أعمالهم، الحديث المتقدم.**

وعن علي كرم ا لله وجهه قلت يا رسـول ا لله أي الطرق أقرب إلى ا لله وأسهلها على عباده وأفضلها عند ا لله تعالى، فقال ياعلى، عليك بمداومـة ذكـر الله، فقال على :كل الناس يذكرون ا لله فقال صلى ا لله عليه وسـلم، يـاعلى لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الارض من يقول ا لله فقال له علـى :كيف ذكر يارسول ا لله فقال له صلى ا لله عليـه وسـلم، غمـض عينيـك واسمـع منـى ثلاث مرات ثم قل مثله وأنا أسمع، فقال صلـى ا لله عليـه وسـلم، لا إلـه إلا ا لله ثلاث مراب مغمضا عينيه ثم قالها علي كذلك .ثم لقنها علـى للحسـن البصـري ثم الحسن لحبيب العجمي، ثم حبيب لداود الطائ. ثم داود لمعروف الكرخي، ثـم معروف للسرى، ثم السرى للجنيد ثم انتقلت إلى أرباب التربية، فلا مدخـل علـى الله إلامن باب الذكر، فالواجب على العبـد أن يستغرق فيـه أوقاتـه، ويبـذل فيـه جهده، فإن الذكر منشور الولاية، ولابد منه في البداية والنهاية، فمن أعطى الذكـر فقد أعطى المنشور ومن ترك الذكر فقد عزل وانشدوا.

والذكــر أفضـل باب أنت داخله ... لله فاجعـل له الأنفاس حراسا

هـ منه بخ وذلك (لأنه يجمع بالمذكور) أي ا لله تعالى، لأن العبـد يستفيد بـالذكـر خصـوصيــة لا أشـرف منها عنده، ولا أعز منها لديه، وهي معية الحق سبحانه

1- سورة الأحزاب الآية: 41. 2- سورة النساء الآية: 103.

وتعالى وذكره في الملأ الأعلى كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله، **أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملائه، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**، رواه البخاري ومسلم.

وذلك الجمع بالله (إن ساعد التوفيق) الذي هو خلق القدرة على الطاعة، وكان ذلك مسطر (في المسطور) أي المكتوب في اللوح المحفوظ أوفي صحيفة ذلك العبد السابقة التي كتبت وهو في بطن أمه، كما تقدم في الحديث الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، أوأهل النار، إلى أن قال فيسبق عليه الكتاب اخ اهـ (و) أن (الذكر مفتاح القلوب) أي لأنه ينور القلب ويحييه ويزيل رانه، ويهديه إلى الحق، وغير الذاكر قلبه مظلم خراب وهوميت، لما روى عن أبي موسى رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم:(**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت**) رواه البخاري ومسلم، وأنه (جالب اسرار غيب الملكوت غالب)أي أن الذكر يجلب أسرار غيب الملكوت في الغالب لحضور القلب مع الله فيه ولأنه يصقل القلوب ويجلوها كما قال صلى الله عليه وسلم: (**إن لكل شيء صقالة وان صقالة القلوب ذكر الله**) الحديث. وإذا كانت المرآة صافية تظهر فيها الصورة على ماهي عليه، وإذا كانت ملطخة فبالعكس، كما قال سيدي أحمد بن عبد العزيز في نصيحته. واعلم بأن كدر الذنوب، الأبيات الثلاثة المتقدمة الذكر. اهـ وذلك (لأنه) أي الذكر حيث كان مفتاحا للقلوب وجالبا لأسرار الغيوب فإنه (يمزق) أي يخرق (الحجابا) أي حجاب الغفلة الحاجب للقلب عن النظر لأسرار غيب الملكوت (و) أي أنه أي الذكر (يهدم الأطواد) أي الجبال العظام وهذا تشبيه بالغ شبه به الذنوب الكثيرة والأدران المتكاثرة على القلب بالجبال العظام فلله دره ما

أحسنه من تشبيه، (و) أي ويهدم (الأعقابا) أي العقبات والصعوبات التي تعرض لسالك في طريقه إلى الله تعالى. اهـ

ثم أشار إلى بساطه وشرطه ونتيجته فقال

بِسَاطُهُ التَّقْوَى والاسْتِقَامَه ... ثَمَرُهُ الأَنْوَارُ وَالسَّلاَمَه

وَشَرْطُهُ الحُضُورُ مَعَ مَذْكُورِهِ ... سُبْحَانَهُ وَالعِلْمُ فِي حُضُورِه

نَتِيجَةُ الأُنسُ بِهِ تَعَالَى ... وَغَيْبَةٌ فِي قُرْبَةٍ إِتِّصَالاَ

وَالكَشْفُ وَالشُّهُودُ وَالتَّكْلِيمُ ... والسِرُ والوُصُول والتَكْرِيمُ اهـ

(بساطه) أي الذكر أي فراشه أو كرسيه الذي يجلس عليه أي يستقر ويثبت عليه أن وجد الذاكر اعده وهيأه هو التقوى التي هي اجتناب وامتثال في الظاهر والباطن. كما قال شيخنا سيدي عبد الواحد ابن عاشر، وحاصل التقوى اجتناب وامتثال، البيتين واعلم أن التقوى في عرف الشرع هي وقاية الإنسان نفسه عما يضره في الآخرة، قال البيضاوي والتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقي، والوقاية فرط الصيانة، ولها ثلاث مراتب، الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبرى من الشرك وعليه قوله تعالى ﴿**وألزمهم كلمة التقوى**﴾(1) والثانية التجنب عن كل ما فيه إثم من فعل وترك حتى الصغائر عند قوم وعليه المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا**﴾ (2) والثالثة، أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته**﴾ (3). اهـ وفي تفسيرا بن جوزي، درجات التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى (يايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) اهـ وفي تفسير ابن جوزي. درجات التقوى خمس. أن يتقي العبد الكفر وذلك مقام الإسلام. وأن يتقي المعاصي والمحرمات

---

(1) سورة الفتح الآية: 26. (2) سورة الأعراف الآية: 96. (3) سورة آل عمران 102.

وهو مقام التوبة، وأن يتقي الشبهات وهو مقام الورع وأن يتقي المباحات وهو مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير ا لله قلبه وهو مقام المشاهدة.

وقد نظما الشيخ سيدي عبد القادر بن شقرون فقال

مراتب التقوى لخمس قسمت   كفر حرام شبهة قد علمت

ثم مباح لحظ غير ا لله   فلا تكن عن ذكره باللاهي

إسلامنا الاول ثم توبه   وورع زهد فشاهد قربه اهـ

وأما البواعث على التقوى فعشرة كما قال ابن الجوزي أيضا وهي: خوف العقاب الدنياوي والأخروي. ورجاء الثواب الدنياوي والاخروي، فهذه أربعة وخوف الحساب، والحياء من نظر ا لله وهو مقام المراقبة، والشكر على نعمه بطاعته والعلم لقوله تعالى ﴿**إنما يخشى ا لله من عباده العلماء**﴾ (1) وتعظيم إجلال ا لله وهو مقام الهيبة، وصدق المحبة فيه، لقول القائل

تعصى الإلـه وأنت تظهر حبه   هذا لعمرى في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيع اهـ

وقال آخر

قالت وقد سألت عن حال عاشقها   با لله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ   وقلت قف عن ورود الماء لم يرد اهـ

نقله الشيخ ميارة في الكبير اهـ (و) أي وبساطه أيضا (الاستقامة) أي مع ا لله تعالى قال عز وجل ﴿**إن الذين قالوا ربنا ا لله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة**﴾(2) الآية قالوا ربنا ا لله اعترافا بربوبيته وإقرارًا بوحدانيته (ثم استقاموا) أي ظاهرا وباطنا

---

(1) سورة فاطر : الآية: 28.

(2) سورة فصلت الآية: 30.

بأن فعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات، وداموا على ذلـك إلى الممـات، قـال عمـر بـن الخطاب رضي الله عنه، الإستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تـزغ زوغـان الثعلب، اهـ كما في الصاوى اهـ وقال بعض الحكماء علامة الذي اسـتقام، أن يكـون مثله كمثل الجبل، لأن الجبل له أربع علامات، أحدها، أن لا يذيبه الحـر، والثانيـة، أن لا يجمده البرد والثالثة، أن لا تحركه الريح، والرابعـة، أن لا يذهـب بـه السـيل، فكـذا المستقيم إذا أحسن إليه إنسان لا يحمله إحسانه عـن الميـل إليـه بغير الحـق كمـا يفعلـه ارباب الجاه والمناصب في هذا الزمان فانهم بالشيء اليسير من الدنيا الواصل اليهم مـن يد رجل او امرأة يتخطون الحد ويتركون الإستقامة. وليس الإتعاظ وقبول النصح مـن شأنهم. والثاني اذا أساء إليه انسان لا يحمله ذلك أن يقول بغير الحق والثالث أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى، والرابع، أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله اهـ من روح البيان اهـ اذا تمهد هذا، فالتقوى والاستقامة بمعنى واحد اهـ (ثمره) أي الذكر الذي يثمر من اشجاره هو (الانوار) التي تتوالى على قلب الذاكر، لما تقـدم في حديـث **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت،** (و) أي النوع الثاني من ثمـره (السلامة) اي من وسواس الشيطان وارتكاب الذنوب، فقد ورد أن المومن إذا كان في ثلاثة فهو في حرز من الشيطان المسجد، وتلاوة القرآن، والذكـر، وفي الحديـث الـذي رواه الترميذي والنساي والحاكم. قال صلى الله عليه وسـلم، **إن الله أوحـى إلى يحي ابن زكرياء بخمس كلمات أن يعمل بهن ويأمربني إسرائل أن يعملـوا بهـن، فكأنـه أبطأبهن، فأتاه عيسى فقال: إن الله أمرك بخمس كلمات أن تعمل بهـن وتـأمر بـني إسرائل أن يعملوا بهن، فإما أن تخبرهم وإما أن أخبرهم، فقال يأخي لا تفعـل فـإني أخاف إن سبقتني بهن أن يخسـف بـي وأعـذب، قـال فجمـع بـني اسـرائل في بيـت المقدس حتى امتلأ المسجد وقعدوا على الشرفات، ثم خطبهم فقال ـ إن الله أوحـى إلى بخمس كلمات أن اعمـل بهـن وآمـر بـني إسـرائل أن يعملـوا بهـن، أولهـن: لا**

تشركوا با لله شيئا فإن مثل من اشرك با لله كمثل رجل اشترى عبدا من خالص ماله بذهب اورق، ثم أسكنه دارا فقال: اعمل وارفع إلى فجعل يعمل ويرفع إلى غير سيده، فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك، فإن ا لله خلقكم ورزقكم فلا تشركوا به شيئا فاذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا فإن ا لله يقبل يوجهه إلى وجه عبده مالم يلتفت، وأمركم بالصيام ومثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة مسك كلهم يحب أن يجد ريحها، وإن الصيام أطيب عند ا لله من ريح المسك، وأمركم بالصدقة، ومثل ذلك كمثل رجل اسره العدو فما وثقوا يده إلى عنقه وقربوه ليضربوا عنقه، فجعل يقول هل لكم أن افدي نفسي منكم، وجعل يعطي القليل والكثير حتى فدى نفسه، وآمركم بذكر ا لله كثيرا ومثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا في أثره حتى أتى حصنا حصينا فأحرز نفسه فيه، وكذلك العبد لا ينجو من الشيطان إلا بذكر ا لله، اهـ كما في شرف الأمة المحمدية. اهـ

فهذا بساط الذكر الذي يجلس عليه فلابد للذاكر من حضوره، (و) أي واما شرطه الذي يلزم من وجوده الوجود فهو (الحضور مع مذكوره) أي بأن يكون الذاكر حاضر القلب في حال ذكره لله (سبحانه) تنزيها له تعالى عن الغفلة والذهول، (و) أي ومن شرط الذكر (العلم) أي بأن يكون الذاكر عالما بأنه (في حضوره) تعالى وإذا حصل الحضور مع المذكور والعلم بأنه في حضرته (ينتج الانس به تعالى) أي فلا يبقى غير ا لله في القلب انس ولا تعلق بغيره تعالى (و) أي وإذا وقع ذلك الحضور والشهود والانس فإنه ينتج (غيبة في قربه) تعالى أي بحيث يغيب الذاكر عن الأكوان بالكلية ويكون ذلك (اتصالا) أي مواصلة دائمة مع مذكوره.

(و) أي وينتج ذلك الحضور (الكشف) عن مايصدر من الانس والغيبة في حضو (و) أي وينتج كذلك (الشهود) أي للمذكور تعالى (و) أي وينتج (التكليم) أي المكالمة والخطاب معه تعالى(و)أي وينتج أي الذكر المعهود (السر) أي بين العبد

الذاكر وبين المذكور تعالى (و) أي وينتج (الوصول) إلى حضرته تعالى (و) أي وبعد الوصول إلى حضرته تعالى يحصل (التكريم) من المذكور تعالى ولاشك، لما في آخر الحديث القدسي (**وحق على المزور أن يكرم زائره**) انتهى — **فائدة** — دواء القلب خمسة، قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين. اهـ

ولما أنهى الكلام على الذكر شرع يتكلم على مجاهدة النفس فقال:

فصل في مجاهدة النفس

الفصل تقدم معناه لغة وإصطلاحا، وقوله (في مجاهدة النفس) أي رياضتها وحملها على مشقة العبادة والطاعات البدنية، لأنها تنفر بطبعها منها، لحبها للراحة والشهوات والملاهي، والعبد مطالب بردها عن ذلك وبجهادها عن قطع مألوفاتها وهذا الجهاد لا ينقطع إلا بالموت ومن أجل ذلك سمى النبي الله عليه وسلم جهادها بالجهاد الاكبر بقوله حين رجوعه من بعض غزواته (**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**) **فسأله بعض الصحابة فقال، ما الجهاد الأكبر فقال صلى الله عليه وسلم، (جهاد النفس)** أو كما قال اهـ

ثم قال الناظم

جِهَادُكَ النَفْسَ بِفِعْـلِ الأَمْر ... وَتَـرْكِ المَنْهِـيِّ دُونَ عُـذْر

وَقَطْعُـكَ المَألُـوفَ لِـلأَمَّارَهْ ... وَخَـرْقُكَ العَوَائِـدَ السَّيَّارَهْ

فَـلاَ تُسَامِحْهَا بِفِعْلِ الرُّخَص ... فَالاَمْرُ جِدٌّ فَنَّـهُ ذُو غِصَـص

بِذَاكَ قَتْلُهَا وَفِـي القَتْل حَيَاة ... فَالقَتْل مَقْـدَعُ أُنوفِ لِلطُغَاةْ

فَلاَ يَصِحُ عَمَـلُ الـزَبيقْ ... إِلاَ بِقَتْلِـهِ عَلَـى التَحْقِـيق

أخبر رضي الله عنه بأن جهادك للنفس يكون (بفعل) أي بامتثال (الأمر) المأمور بفعله بلسان الشرع (و) أي وبـ (تركك المنهى) أي المنهى عنه بخطاب الشرع أي حكم الشرع، ابن عاشر الحكم في الشرع خطاب ربنا المقتضي فعل المكلف، ويكون ذلك الفعل والترك ظاهرا وباطنا فتصير الأقسام أربعة وهي التي يبلغ بها العبد حقيقة التقوى وقد تقدمت مسائل التقوى بأبسط عبارة لدى قوله (بساطه التقوى) فليراجعه من شاء، وقوله (من دون عذر) أي من دون عذر في ارتكاب المنهيات لقوله صلى الله عليه وسلم (**وإذا نهيتكم فانتهوا**) وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري (**مانهيتكم عنه فاجتنبوه**).اهـ (و) الواو حرف عطف أي ويكون جهادك للنفس بـ (قطعك المالوف) أي ما ألفته من البطالة والراحة والشهوات المحرمات والمكروهات (لـ) أي للنفس (الأمارة) أي بالسوء، فهذا أحد أوصافها، ثم اعلم أن النفس واحدة ولها صفات فأول أمرها تكون أمارة بالسوء تدعو إلى الشهوات وتميل إليها ولا تبالي، وهذه نفس الكفار والعصاة المصرين، فإذا أراد الله لها بالهدى جعل لها واعظا يأمرها وينهاها فحينئذ تصير لوامة تلوم صاحبها على ارتكاب الرذائل فينشأ عن ذلك مجاهدته وتوبته ورجوعه إلى خالقه، فإذا أكثر عليها واستمر صارت مطمئنة ساكنة تحت قضاء الله وقدره راضية بأحكامه فتستحق من الله العطايا والتحف قال تعالى ﴿ **يأيتها النفس المطمئنة أرجعي إلى ربك راضية مرضية**﴾ (1) الآية وهذا مقام الواصلين هكذا قاله الصاوى في سورة يوسف، وقال في سورة القيامة، إن الصوفية قسموا النفس إلى سبعة أقسام الاول، الأمارة وهي نفوس الكفرة ومن حذا حذوهم لا تأمر بخير أصلا، ومع ذلك راضية بأفعالها محسنة لها، الثاني اللوامة وهي التي تلوم صاحبها ولو كان مجتهدا في الطاعة، وهذا مبدأ الخير واصل التوقي، الثالث الملهمة وهي التي الهمت فجورها وتقواها، الرابع، المطمئنة وهي التي اطمئنت با لله وسكنت

1- سورة الفجر الآيتان :27 و28.

تحت مقادره، الخامسة الراضية وهي التي رضيت عن الله في جميع حالاتها السادس المرضية وهي التي جوزيت بالرضا من الله، لأن من رضى له الرضا، السابع الكاملة وهي غاية المراتب، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومأخذ الجميع من القرآن، فالأمارة من قوله تعالى ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾(1) واللوامة من هذه الآية التي هي ﴿**ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾(2) والملهمة من قوله تعالى ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ (3) والمطمئنة وما بعدها من قوله تعالى ﴿**ياأيتها النفس المطمئنة**﴾ (4) الآية. اهـ وفي سورة الفجر فسر المطمئنة بعدة تفاسير، ذو الجلالين، المطمئنة الآمنة وهي المؤمنة الصاوي، هذا قول ابن عباس، وقال الحسن المؤمنة الموقنة، وعن مجاهد الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها وأن ما أصابها لم يكن ليخطأها. وقال ابن عطاء الله العارفة التي لا تصبرعنه طرفة عين، وقيل المطمئنة بذكر الله وقيل غير ذلك، وفي الحقيقة كل من تلك المعاني صحيح لأنه متى ثبت لها الإيمان عند الموت تحققت بذلك الخطاب ﴿**إرجعي إلى ربك**﴾ عند الموت، قال عبد الله بن عمر إذا توفي العبد المومن أرسل الله عزوجل إليه ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال أخرجي أيتها النفس المطمئنة أخرجي إلى روح وريحان وربك عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة، فلا تمر بباب إلا فتح لها ولا بملك الاصلى عليها حتى يؤتى به الرحمان جل جلاله، فتسجد له ثم يقال لميكائل اذهب بهذه النفس فاجعلها مع أنفا؟س المومنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضا وسبعون ذراعا طولا، وينبذ فيه الروح والريحان، فإن كان معه شيئا من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نور مثل نور الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام

1- سورة يوسف الآية: 53. 2 -سورة القيامة الآية: 02.

3- سورة الشمس الآية : 08. 4 - سورة الفجر الآية: 27

فلا يوقظه إلاّ أحب أهله إليه وإذا توفى الكافر أرسل ا لله إليه ملكين وأرسل قطعة من كساء انتن من كل نتن واخشن من كل خشين فيقال أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم وعذاب اليم وربك عليك غضبان. اهـ وماذكره المفسرون أنّ النداء عند الموت أحد قولين والآخر إنه عند البعث. ومعنى قوله: ارجعي إلى ربك أي صاحبك وهو الجسد فيأمر ا لله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد. وبه قال عكرمة وعطاء والضحاك قوله ﴿**فادخلي في عبادي**﴾ الإضافة للتشريف وإلا فالكل عباده، قوله ﴿**وادخلي جنتي**﴾ معهم أي الصالحين لتفوزي بالنعيم المقيم. ولأهل الإشارات تفاسير. منها أن ا لله يناديها في الدنيا بهذا النداء حيث اتصفت بتلك الصفات. يقول لها، ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك بفنائك عما سواه راضية بأحكامه. مرضية له بأوصافك. فادخلي في عبادي الصالحين، أي فكوني معدودة فيهم ومحسوبة منهم، وادخلي جنتي شهودى في الدنيا مادمت فيها وهي الجنة المعجلة. ويقال لها ذلك أيضا عند البعث على التفسير المتقدم. ويراد حينئذ بالجنة جنة الخلود، وفسروا بذلك قوله تعالى ﴿**ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾(1) أي جنة الشهود في الدنيا التي قال فيها العارف ابن الفارض.

أنلنا مع الأحباب رؤيتك التي   إليها قلوب الأولياء تسارع

وجنة الخلود في العقبى، وهذا النداء الواقع في الدنيا يسمعه العارفون إما في المنام أو بالإلهام اهـ منه اهـ (و) أي ومما تجاهدها به (خرقك العوائد) أي التي تعتادها النفس أو العوام وليست من الشرع في شيء وإنما هي بتقليد فعل العوام الجهلة للشرع العزيز. وأكثر تلك العوائد تقليدا للافرنج، وصدق رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم اذ قال (**دب اليكم داء الامم قبلكم**) الحديث اهـ

1- سورة الرحمان الآية :46.

وهذا أي ارتكاب العوائد الفاسدة والتقاليد الأفرنجية كثير ومشاهد وليس الخبر كالعيان. فإذا نظرت بالعين السليمة تجد كثيرا من العوام متشبثين بعادات وتقاليد منكرة يمنعها الشرع العزيز ويألفها الذوق السليم. كالملاهي الملهية التي تقع في الإحتفالات ويختلط فيها النساء والرجال. وغير ذلك من التقاليد والعوائد المنكرة. وإذا نهيتهم عن ذلك يحتجون بقولهم لقد مضى على هذه العادات أزمنة كثيرة وكان فيها علماء وصلحاء ولم ينهو عما نحن نفعله الآن ولو كان منكرا كما تقول لغيروه. بل كان بعضهم يشارك أهل زمنه فيه كسيدي فلان الخ... ورحم الله من قال

لقد صار تغيير المناكر منكرا	لدى عصرنا عند اللئام من الورى
فان قيل هذا لا يحل بشرعنا	يقولون ذاك قاله كل من درا
فكم قد رأينا من فقيه ولم يقل	لنا مثل هذا ان هذا لمفترى اهـ

وأقبح عادة وأسمجها وأشنعها. ما يقع في بعض القصور من هاته المنطقة التواتية ليلة عيد الميلاد النبوي وصبيحتها وهي ليلة الثاني عشر من ربيع الأول. فإنهم يحيون تلك الليلة المباركة التي ورد في فضلها أنها تفوق ليلة القدر. فقد جمع الشيخ سيدي احمد بن يحي الونشريسي في كتابه المعيار بإيثار ليلة مولده عليه السلام باحدى وعشرين وجها. سردها كلها، فليطالعها من شاء من الجزء الحادي عشر من المعيار صفحة رقم(230) بالرقص والتصفيق واختلاط النساء مع الرجال. الرجال يرقصون والنساء يزغردون وهذا مع زعمهم الباطل أنهم يعظمون النبي صلى الله عليه وسلم، والأمر بخلاف ذلك فإنهم وضعوا الإهانة في محل التعظيم، لما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعظم إلا بما هو مشروع وسنة، والرقص والتصفيق ليسا من الكتاب والسنة في شيء، بل الرقص مبدؤه من عبدة العجل، والتصفيق من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وسلم. قال الشيخ ابن الحاج في كتابه المدخل. ولو لم يكن في السماع والرقص شيء يذم إلا أنه أول من أحدثه بنو اسرائل حين اتخذوا العجل إلهامن دون الله تعالى

فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون، فبقي حالهم هكذا إلى أن جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ماذكر الله تعالى في كتابه، فهم أصل لماذكر، وماكان هذا أصله فينبغي بل يتعين على كل عاقل أن يهرب منه ويولى الظهر عنه إن كان عاجزا عن تغييره، وإما إن كان له قدرة على ذلك فيتعين عليه والله الموفق. اهـ

وقال الإمام جمال الدين بن عبد الرحمان بن الجوزي، والتصفيق منكر يطرب ويخرج عن الإعتدال وتتنزه من مثله العقلاء، يتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت من التصدية وهي التي ذمهم الله تبارك وتعالى بها في قوله جل وعلا ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية**﴾(1) فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق، ثم قال رضي الله عنه وفيه أيضا تشبه بالنساء، والعاقل يأنف أن يخرج عن الوقار إلى افعال الكفار والنسوة.

وكان قد قال قبل هذا رضي الله عنه، هذا وأن أهل الأهواء يدعون الشوق والمحبة بالسماع والآلة المطربة ويطربون ويصعقون ويتغشون ويزعمون أن ذلك من شدة حبهم لربهم وشوقهم إليه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا. اهـ منه اهـ

فتبين من هذا أن الراقصين والمصفقين اقتفوا أثر المذكور وقلدوهم في هذا المنكر الشنيع فإنا لله وإنا إليه راجعون. اهـ ولذا قال النظم (السياره) أي التي سرت إليهم من أفعال المذكورين، اهـ وإذا إجتهدت في قطع مألوفاتها وحرق عوائدها ووافقتك على ذلك فراقبها كما تقدم من قول البوصيري، وإن هي استحلت المرعى فلا تسم، فإنها تحسن لك مسائل لا بأس بها والمقصود منها غيرها، من ذلك أنها تنازعك على أن تقف مع الرخص وتترك العوازم فإياك ثم إياك (فلا تسامحها بفعل الرخص) فإنه إن وافقتها على الإقتصار على الرخص، فإنها تزهدك في ترك المستحبات، وإن وافقتها علىترك المستحبات تزهدك في ترك المسنون، ثم في الفرائض.

1- سورة الانفال الآية: 35.

فقد ورد عن بعض العلماء العاملين، إن الله تعالى جعل لكل مومن سبعة حصون، سابعها أدب النفس فقال: فالمؤمن من داخل هذه الحصون وإبليس من ورائها ينبح كما ينبح الكلب والمؤمن لا يبالي به، إلى أن قال: فإن من ترك أدب النفس فإنه يأتيه الخذلان لتركه حسن الأدب مع الله تعالى ولا يزال إبليس يعالجه ويطمع فيه حتى يأخذ منه جميع الحصون ويرده إلى الكفر نعوذ بالله، اهـ بخ من شرحنا على هدية الألباب، فليطالعه من شاء بتمامه رقم (17) من نبراس الأداب اهـ

ولذا قال المؤلف (فالأمر جد فنه) أي الأمر المأمو ربه من جهة الشرع جد لاهزل فنه أي نوعه (ذوغصص) أي صعوبة ومشقات، كماقيل

لاتحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

(بذاك) أي بجهادك لها في قطع مألوفاتها وخرق عوائدها يكون (قتلها) أي ردها عن شهواتها (و) أي وإذا قتلتها بذلك فـ (في القتل) لها (حياة) أي في الحقيقة لما سيؤول اليه أمرها من الحياة الأبدية والنعيم المقيم، فقد ورد من كلام الحكماء، أن من قيدها في طاعة الله فقد أراحها، ولأن بقتل هواها تصير تابعة لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وإذا صار هواها تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم فقد كمل إيمانها كما قال صلى الله عليه وسلم (**لا يكمل إيمان أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جيئت به**). اهـ رواه

(فالقتل مقذع) أي مرغم (أنوف للطغاة) أي العصات المتكبرين الذين اتخذوا إلهم أهواءهم، وأعظم الطغاة النفس الأمارة بالسوء، والله أعلم

(الزبيق الأحمق)، ففي النجيد، الأزبق الأحمق الذي ينتف شعر لحيته لحماقته، المزبزقة والزبيقة هي اللحى المنتوفة، فالشيخ والله أعلم يشير بالزبيق إلى الهوى وإلى حماقته ونتف شعر لحيته، بما قود إليه النفس الشبيهة باللحية من تعيبها وقبح منظرها، وحيث كان الهوى بهذه المثابة فلا يصح اي لا يتأتى منه عمل يصلح النفس ولا

تستريح هي من تعيينه وتقبيحه (إلا بقتله) أي بقطع مألوفاتها وحرق عوائدها (على التحقيق) أي لا الظن والوهم بل لابد من تحقيق القتل بفطمها عن هواها، كماقال سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي في نصيحته.

ولا تظن البرء من أدواكا   إلا بفطم النفس عن هواكا

اهـ ثم قال مشيرا إلى أحوال الجهاد وصفاته ومافي أوائله وأواخره بقوله

إِنَّ الجِهَادَا أَوَّلاً مَرَارَهْ   آخِرُهُ حَلَاوَةٌ سَكَّارَه

إِنَّ الجِهَادَ أَوَّلاً تَطَبُّعٌ   آخِرُهُ طَبْعٌ بِهِ تَنْطَبِعُ

عِنْدَ صَبَاحِ الصُّبْحِ تَحْمِدُالسُّرَى   تَلْقَى عَصَى التَّسْيَارِ فِي ظِلِّ القُرَى

أخبر رضي الله عنه ب(أن الجهاد أولا) أي أول أمره، (مراره) أي مشقة عظيمة لما يكابده المجاهد من ملاقات الصفوف والضرب بالسيوف أو غيرها من آلة الحرب و لكن (آخره حلاوة) أي لما يرجع به المجاهد من إحدى الحسنين قال تعالى ﴿**قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين**﴾(1) إما أجر وغنيمة أو شهادة في سبيل الله، التي تصير صاحبها إلى الحياة الأبدية، بشهادة قوله تعالى ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾(2) الآية وقوله (سكاره) نعت أوصفة لحلاوة أي تلك الحلاوة يلتذ بها الصائر إليها إلتذاذا يغيب بها عقله فرحا وسرورا بقوله تعالى ﴿**فرحين بما آتاهم الله من فضله** ﴾(3) الآية وهذه الحلاوة تنسيه المرارة التي ذاقها أولاعند إبتداء القتال، فكذلك القاتل لهوى نفسه، يجد في أول مجاهدته لها مرارة عظيمة لما يحصل له في فطامه عن شهواتها من المصارعة معها في أول جهاده لها. وهكذا يكون آخره حلاوة لما يعقب ذلك من الراحة الأبدية والنعيم المقيم. اهـ وكما أن الجهاد أولا وآخرا أوله مرارة وآخره حلاوة كذلك (إن الجهاد أولا تطبع) أي في أول أمره تطبع أي تكلف يتكلفه المجاهد(آخره) يصير(طبع) أي طبيعة لا

1- سورة التوبة الآية:52.   2- سورة آل عمران الآية:169.   3- سورة آل عمران الآية:170.

يحس المجاهد معها بمشقة ولا تعب (به) أي بالجهاد أو القتال (تنطبع) أي تصير مطبوعة في المجاهد بحيث تصير عنده الموت أحلى من العسل كما قيل:

نحن بنو الضبة أصحاب الجمال   الموت عندنا أحلى من العسل

ثم استشهد على ذلك ببرهان جار على ألسنة الناس بقوله (عند صباح الصبح تحمد السرى) أي يحمد الذين تسروا بالليل سراهم، كما قال سيدي محمد بن سعيد البوصيري رحمه الله:

حمد المدلجون غب سراهم   وكفى من تخلف الإبطاء

والمعنى أيها السائر بالليل ستحمد سراك اذا أصبحت ونظرت أنك قطعت مسافة طويلة ثم (تلقى عصى التسيار) أي عصاك التي كنت تتوكأ عليها إعانة على التسيار، أي السرعة في المشي وحينماقطعت المسافةبسراك في الليل ووصلت البلد المقصود فانك تضعه مستريحا (في ظل القرى)وحينئذ تستريح من مشقة السفر وتحمد سراك.   اهـ

ولما أنهى الكلام على مجاهدة النفس شرع على الصدق فقال

فصل في الصدق

تعرض المصنف في هذا الفصل لمعاني الصدق وفوائده وما ينتج منه فقال

أوَّلُ الأَمْرِ الصِّدْقُ وَالتَصْدِيقُ   فِيهِمَا الكَمَالُ وَالتَحْقِيقُ

فَالصِدْقُ نُورٌ يُنْتِجُ التَّصْدِيقَا   وَهُوَ يَنْتُجُ لَنَا التَحْقِيقَا

وَالصِدْقُ نُورٌ لاَمِعٌ بَتَّارُ   بِهِ يُصَافِي المَلِكُ الجَبَارُ

وَالصِّدْقُ لاَ تَنْبُوا سُيُوفُهُ وَلاَ   يَكْبُوا جَوَادُ عَزْمِهِ بَيْنَ المَلاَ

وَالصِدْقُ عِزٌّ شَامِخٌ بِهِ العُلاَ   لأَنَهُ يُنْتِجُ أَفْضَلُ الحُلاَ اهـ

أخبر رضي الله عنه بأن (أول الأمر) أي الواجب (الصدق) أي مع الله تعالى في المعاملة معه جل وعلا كما قال الشيخ ابن عاشر، يصدق شاهده في المعاملهْ البيت

وشاهد العبد أي حاضره والمطلع على سره وجهره هو الله تعالى، والمعاملة معاملة العبد ربه، والمعنى أنه يطلب من العبد أن يقصد بطاعته وجه الله تعالى إذ هو المطلع عليه والرقيب عليه، لا الرياء والسمعة ولهذا المعنى عبر بالشاهد ابن حمدون، الصدق يتعدى بنفسه كقوله تعالى ﴿**فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم**﴾(1) وهو باقي منازل الإيمان وتقدم قول الشاعر:

عليك بالصدق ولو أنه　　أحرقك الصدق بنار الوعيد

وابغ رضى الله فأغبى الورى　　من اسخط الله وأرضى العبيد　اهـ

والإشارة بهذا إلى وجوب الإخلاص على العبد في جميع المعاملات والعبادات قال الله تعالى ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾(2) ﴿**ألا لله الدين الخالص**﴾(3) وفي الحديث "**إنما الأعمال بالنيات**"، وفي الرسالة وفرض على كل مؤمن أن يريد بكل قول وعمل من البر وجه الله الكريم ومن أراد بذلك غير الله لم يقبل عمله وفي الحكم: الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها وإخلاص كل واحد على حسب رتبته ومقامه، فإن الناس عامة ويقال لهم ابرار، وخاصة ويقال لهم محبون، وخاصة خاصة ويقال لهم موحدون، فإخلاص الأبرار هو العمل لله بأن لا يكون فيه رياء ولا سمعة ولكن رجاء الثواب وخوف العقاب وهو من التحقيق بمعنى قوله إياك نعبد، أي نفردك بالعبادة لا نشرك غيرك معك، وصاحب هذا المقام حاصل أمره السلامة من الرياء الجلي والخفي مع بقاء رؤيته لنفسه ونسبة العمل وقصد موافقة هواها وإخلاص المحبين هو العمل شكرا ومحبة واجلالا وتعظيما، لانه تعالى أهل لأن يعبد ولو لم يكن ثواب ولا عقاب، وممن اقيم في هذا المقام رابعة رضي الله عنها ومن كلامها في ذلك:

1-سورة محمدصلى الله عليه وسلم : الآية 21 .　　2- سورة البينة الآية 05 .　　3-سورة الزمرالآية 03 .

أحبـك حبيـن حـب الـهوى　　وحبـا لأنـك أهـل لـذاك

فأمـا الـذي هـو حب الهوى　　فشغلـي بذكـرك عمن سواك

وأمـا الـذي أنـت أهـل له　　فكشفك لي الحجب حتـى أراك

فـلا الحمـد في ذا ولا ذاك لي　　ولكن لـك الحمد فـي ذا وذاك اهـ

إلا أن هذا البيت يناسب القسم الثالث وقال الآخر:

كلهـم يعبدون من خوف ناري　　ويـرون النجـاة حظـا جليـلا

أو بإن يدخلـوا الجنـان فيضحوا　　في ريـاض ويشـربوا السلسبيلا

ليس لي في الجنـان والنـار رأي　　انـا لا ابتـغى بحـبي بـديلا

وقال ابن الفارض:

ليـس سؤلى مـن الجنـان نعيما　　غير أنـي أريـدها لأراكـا

وإخلاص الموحدين هو شهود العمل من الله لامن النفس وأنه تعالى المنفرد بتحريك عبده وتسكينه من غير حول منه ولاقوة، وهذا من التقرير بمعنى قوله (وإياك نستعين) إلا بك لا بانفسنا وحولنا وقوتنا.

قال بعض العارفين: صحح عملك بالاخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة، فصاحب هذا المقام يرى أن أعماله القولية والفعلية من باب ثنائه تعالى على نفسه بنفسه وأن نسبة ذلك إلى العبد عناية منه به، إذا أراد أن يظهر فضله عليك، خلق ونسب إليك، ثم ان الظاهر أن مراد الناظم بالصدق في المعاملة مطلق الإخلاص الصادق بمقابل الرياء وغيره وعليه حمله م إلى أن قال ويحتمل أن يكون مراد الناظم بالصدق في المعاملة مساواة السريرة للعلانية، فإن الشخص قد يقف على هيئة الخشوع في صلاته وقلبه غافل عن الصلاة. فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو في الباطن قائم بالسوق بين يدي شهوة من شهواته،ى فهذا غير صادق في عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولامرائياهم، فإن مخالفة الظاهر للباطن إن كان عن

قصد سمي رياء ويفوت به الاخلاص وإن كان من غير قصد فيفوت به الصدق، ولذا قال عليه الصلاة والسلام(**اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة**) وانشدوا :

إذا السر والإعلان في المومن استوى	فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
وإن خالف الاعلان سرا فماله	على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق	ومغشوشه مردود لا يقتضي المنى

ويحتمل وهو الأظهر أن يقصد المعاملة المصطلح عليها عند القوم. قال الشيخ زروق في شرحه على الحكم علوم المعاملة هي ثلاثة، علم التقوى، وعلم الاستقامة، وعلم التوجه، وهي مأخوذة من قوله تعالى ﴿**اتقوا ا لله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا ا لله ان ا لله خبير بما تعلمون ولا تكونوا كالذين نسوا ا لله**﴾ (1) الآية

فالتقوى ترك المحرم وفعل الواجب، والإستقامة مراقبة ا لله في السر والعلانية، والتوجه إفراد القلب له تعالى عن كل شيء سواه، فالأول الإسلام، والثاني الإيمان، والثالث الإحسان، اهـ منه اهـ

(والتصديق) أي لما جاءت به الرسل عليهم السلام (فبهما الكمال) أي كمال الإيمان وضمير التثنية للصدق والتصديق، قال الشيخ سيدي محمد بن ابي زيد القيرواني رضي ا لله عنه، ولا يكمل قول الإيمان إلا بالعمل ولا قول ولاعمل إلا بالنية، ولا قول ولاعمل ولا نية إلا بالموافقة السنة اهـ (والتحقيق) عطف تفسير إذ التحقيق بالصدق والتصديق هو الكمال اهـ

وهنا جرد الشيخ من نفسه سائلا يسأل، هل التصديق والصدق شيئان هما أو شيء واحد، فأجابه بقوله (فالصدق) أي مع ا لله في معاملته ينتج (نورا) أي يتكون منه نور في القلب وإذا أنقد ذلك النور في القلب زالت ظلمته وإذا زالت الظلمة وثبت

1- سورة الحشر الآيتان : 18، 19.

النور فإنه (ينتج التصديقا) بما ورد عن الرسل من الأمور المغيبات التي تسمى بالسمعيات، التي أشار إليها ناظم أسهل المسالك بقوله:

وكل ماقد جاءنا عن النبي من ملك أوأنبيا أو كتب
أو يومنا الآخر أوأمر السما إيماننا غيبا به قد لزما

(و) أي (وهو) أي التصديق (ينتج لنا التحقيقا) أي بالمقامات اليقين وبالتحلي بمقامات اليقين يحصل الكمال كما قال ابن عاشر:

يصير عند ذاك عارفا به حرا وغيره خلا من قلبه
فحبه الاله واصطفاه لحضرة القدوس واجتباه اهـ

(و) أي وكما أن (الصدق) نور التصديق فهو كذلك (نور لامع) أي ذو شعاع يلمع في القلب (بتار) أي قطاع ومبدد للاغيان التي تتوالى على القلب من ران الذنوب والغفلة، و(به) أي بالصدق (يصافي) أي يعامل معاملة المحب لحبيبه (الملك) أي الله تبارك وتعالى المالك المكون للأكوان بأسرها، ﴿**قل اللهم مالك الملك**﴾(1) ﴿ **لله ملك السموات والأرض وما فيهن**﴾(2) ﴿ **له ملك السموات والأرض يحيى** ﴾ (3) الآية إلى غير ذلك من الآيات، وقوله (الجبار) أي الذي جبر خلقه على ما أراد، أي من إسلام وكفر وطاعة ومعصية، فإذا أراد أمرًا فعله لا يحجزه عنه حاجز فهو من صفات الجلال، ويصح أنه ماخوذ من الجبر بمعنى الإصلاح كقولهم جبر الطبيب الكسر أي أصلحه فيكون من صفات الجمال اهـ كذا في الصاوي اهـ (و) أي وأن (الصدق لا تنبوا) أي لا تنكسر (سيوفه ولا يكبوا) أي لا يعي ولا يرجع القهقري (جواد) أي فرس (عزمه بين الملا) أي الخلق بل دائما فرسه سابق وعزمه لاحق (و) أي وأن (الصدق عز) لا يعقبه ذل (شامخ) أي رافع الأنف (به) اي

1- سورة آل عمران الآية : 26. 2- سورة المائدة الآية : 120.

3- سورة الحديد الآية : 02.

بالصدق تنال (العلا) يشهد لهذا ماحصل من العز والعلا للثلاثة المتخلفين عن كذب المنافقين الذين قص ا لله تبارك وتعالى علينا اخبارهم في سورة التوبة بقوله عز من قائل ﴿**لقد تاب ا لله على النبي والمهاجرين والانصار**﴾(1) إلى قوله، ﴿**وعلى الثلاثة الذين خلفوا**﴾ الآية وأعقب سبحانه ذلك بأمره بالصدق فقال تعالى ﴿**يايها الذين امنوا اتقوا ا لله وكونوا مع الصادقين**﴾(2) اهـ وذلك (لأنه) أي الصدق (ينتج أفضل الحلا) ينتج من النتاج أي الولادة ووجه كون الصدق ينتج أفضل الصفات أن من صدق صدق، ومن صدق قفاه واتبع من الصادقين ففاز دنيا واخرى، لما في الحديث، (**لا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند ا لله صديقا**) اهـ واذا كتب من الصديقين فيستحق خلع الحلال والكرامة انتهى وا لله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

ولما أنهى الكلام على الصدق، شرع يتكلم على الخوف والرجا فقال:

فصل في الخوف والرجا

تقدم معنى الفصل، وقوله (في الخوف والرجا) أي في معنى الخوف والرجا وفي ما يطلب من السالك من التحلي بهما لأنهما من مقامات اليقين، اهـ (فالخوف) هو هم يصيب النفس على ما يقع في المستقبل (والرجا) تعلق القلب بمطموع يقع في المستقبل، وهو محمود إن قارنه عمل وإلا فمذموم ويسمى طمع، ففي الحكم العطائقة الرجا ما قارنه عمل وإلا فأمنية . اهـ

1- سورة التوبة الآية : 117، 118.

2- سورة التوبة الآية :119.

فقال:

فَالخَوْفُ وَالرَجَا سُلُوكُ السَالِكْ　　هُمَـا جَنَـاحَـانِ لَـهُ هُنَـالِكْ
فَبِهِمَـا إِلَـى العُـلاَ يَطِـيرُ　　وَبِهِمَـا الفُـؤَادُ يَسْتَنِـيرُ
فَبتَـلاَزُمِهِمَـا صَـحَّ السُّلُوكْ　　مَنْ يَفْقِـدَنْ بَعْضَهُمَا فَفِي حُلُوكْ
قَدْ صَـدَرَا عَنْ الجَلاَلِ وَالجَمَالْ　　وَصِفَى إِلَهِنَا العَلّي ذِي الكَمَـالْ

أخبر رضي الله عنه بأن طريق السالكين إلى الله تعالى لا تقطع إلا بالخوف والرجا، لأن الخوفْ يزعج النفس عن الوقوع في المعاصي، والرجا يحملها على الطاعات ولذا قال (فالخوف) الذي هو أحد أقسام التقوى كما وصفها سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي عنه بقوله: التقوى هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل الخ، في الاحياء الخوف هو عبارة عن تألم القلب وأحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل اهـ.

وينتظم من علم وهو معرفة العبد بتقصيره في حق ربه، وحال وهو ما ينشأ عن ذلك من تألم القلب واحتراقه بما يتوقعه في المستقبل، وعمل وهو المبالغة في اجتناب المعاصي والسيئات، لأنه يكدر جميع الشهوات، ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعو إلى التجافي عن دار الغرور، ولأن الخوف سوط يسوق كما أن الرجاء زمام يقود وعن الخوف يكون الحزن فهما متلازمان، والحزن مفتاح الندم والندم باب التوبة بل معظمها وقطبها الذي تدور عليه، وقد أشار في الحكم إلى سببه ومفاتيحه بقوله أن أردت أن يفتح لك باب الحزن فاشهد مامنك إليه أي موافقة النفس باتباع المعاصي والشهوات ومن وجود التقصير في العمل، ومن إساءت الأدب. وفائدته وثمرته قمع الشهوات، وبذلك تحصل العفة والروع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة المحمودة التي تقرب إلى الله تعالى، قال في الحكم لا يخرج الشهوة من القلب إلاخوفْ مزعج أوشوق مقاق، وقال أبوعلي الدقاق رضي الله عنه، صاحب الحزن يقطع من

طريق الله عز وجل في شهر ما لا يقطعه من فقد حزنه في سنين، اهـ وفي التنزيل ﴿**هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون**﴾ (1) وقال تعالى ﴿ **فلا تخافوهم وخافون إن كنت م مؤمنين**﴾ (2) فأمر به وأوجبه وشرطه في الإيمان، وقال﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان**﴾ (3) وقال ﴿**سيذكر من يخشى**﴾(4) فجعل فضائل الأذكار مخصوصة بالخائفين وقال ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾(5). اهـ

وأما الرجاء فهو إرتياح القلب لانتظاره ماهو محبوب عنده، وإن شيئت قلت الطمع فيما عند الله بشرط العمل في سبب الوصول إليه ولذا قال في الحكم الرجاء ما قارنه عمل وإلا فامنية، وفي التنزيل ﴿**إن الذين آمنوا و هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولائك يرجون رحمت الله**﴾ (6) وذم سبحانه وتعالى قوما عولوا على محض تشوف الثواب والفتح ظنامنهم أن ذلك هو الرجاء المأمور به فسماهم خلفا والخلف الردىء من الناس فقال:﴿ **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفرلنا**﴾(7) وينتظم من علم وهو ما وعد الله العاملين في الجنة، وحال وهو ما ينشأ عنه من ارتياح القلب لذلك وانتظاره، وعمل وهو ما ينشأ عن هذا الحال من الاجتهاد في الطاعات وأفعال الخير لأنها علامات وكل ميسرلما خلق له، وإن أردت أن تعرف قدرك عند الله فانظر فيماذا يقيمك، ومن أحسن العمل إلى الله أحسن الظن به، وفهم من اتيان عمل نكرة في كلام الحكم، أن الرجاء الصادق لا يتوقف على تحصيل جميع الأعمال الصالحة وإلا لم يتصور وجوده من أكثر

1- سورة الأعراف : الآية : 154.

2- سورة آل عمران الآية:175.

3- سورة الرحمن الآية: 46.

4 - سورة الأعلى الآية: 10.

5- سورة النازعات الآيتان : 40، 41.

6- سورة البقرة الآية: 218.

7- سورة الأعراف الآية: 169.

الخلق مع أن أصل معناه حاصل لأكثر الأمة والحمد لله، فإن شعب الخير كثيرة وطرق السعادة منتشرة، وقد أشار في الحكم إلى سبب الرجا ومفاتيحه فقال، إن أردت أن يفتح لك باب الرجا فاشهد ما منه إليك، أي من النعم الدنيوية من إيجاد وإمداد ودفع النقم الدينية والدنيوية قلت أوجلت قاله الشيخ زروق، قول م ويكون بينهما بل يغلب الخوف إلا في حالة المرض فيغلب الرجاء لا خلاف أن المطلوب من المحتضر تغليب الرجاء وحسن الظن لحديث مسلم عن جابر،(**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن با لله**)، لقول القائل:-

يامــن دنـا الموت منه　　　با لله ظنــك حســـن

إن كنــت عبـدا مسيئا　　　فربـــك ا لله محســـن

وهذا الطريق قد نجم لكثير ممن كانوا منكبين على الشهوات، منهمكين في اللذات والزلات، منهم أبونواس الحسن بن هاني الذي بلغ في اتباع الهوى مابلغ حتى قال فيه الشاعر..

إن تكـن ناسكـا فكن كاويس　　　اوتكـن فاتكافكـن كـابن هاني.

ولمامات وجد تحت وسادته بخطه.

يـارب إن عظمـت ذنوبي كثرة　　　فلقــد علمــت بأن عفوك اعظم

أدعـوك رب كمـا أمرت تضرعا　　　فـإذا رددت يدي فمـن ذا يرحم

إن كـان لا يرجـوك إلا محسـن　　　فمن الــذي يرجـو المسيء المجرم

مـالي إليـك وسيلة إلا الرجاء　　　وجميـل ظـني ثـم إنـي مسلم اهـ

قال الطيبي فرؤى في المنام فاخبر أن ا لله غفرله بهذه الأبيات، اهـ وقال ذو النون المصري كان في جواري شاب مسرف على نفسه فمرض ومات وأوصى أن يكتب على قبره هاذان البيتان.

حســن طنــي يالهي　　　فيــك جرانــي عليكا

فــارحم اللهــم عبدا　　　صار رهنـا في يديكـا

قال ذون النون ففعلوا ذلك ثم رأيته في نومي فقلت مافعل ا لله بك قال غفـرلي فقلت بماذا قال بفكرة واحدة خطرت لي عند موتي وذلك أني نظرت في كثرة ذنوبـي وعظم جرمي على نفس فأيقنت بالعقوبة والعذاب ثم نظرت فإذا عفـو ا لله أكـثر مـن ذنوب الخاطئين، وأوسع من إجرام المسـفرين، فحسنت ظنـى بـه فغفـرلي بذلـك اهـ ويرحم ا لله الشافعي حيث قال:

ولـما قسى قلبي وضاقت مذاهبي … جعلـت رجـائي نحو عفوك سلما

تعاظمـني ذنـبي فلمـا قرنته … بعفوك رب كان عفـوك اعظمـا

فما زلت ذا جود وفضل ورحمـة … تجـود وتعفـومنـة وتكـرما اهـ

ومثل المحتضر في ذلك من نزلت به مصيبة وشدة فيطلب منه تغليب جانب الظن أي حسن الظن با لله ليلا يقع في الحزن والتسخط، وفي التنزيل، ﴿**وعسى أن تكرهـوا شيئا وهو خير لكم**﴾(1) وفي الحكم من ظن انفكاك لطفه عن قـدره، فذلـك لقصـور نظره، اهـ ولقد أحسن القائل:

لا تضيقـن بالأمور فقد تكـ … ـشف غمـاؤها بغـير احتيال

ربما تكره النفوس من الأمـ … ـر له فرجة كحـل العقـال اهـ

واختلف في الاولى في حق غيرهما هل تغليب الرجاء على الخوف أو الخوف أو إعتداهما على ثلاثة أقوال (الأول) تغليب حسن الظن دائما وهو قـول ابـن العربي في الفتوحات، قال لأن كل نفس يحتمل أن يكـون آخر أنفاسـك مـن الدنيـا، وقـد قـال المصطفى، لا يموتن الخ ودع عنـك قـول مـن قـال خـلاف هـذا ونحوه للشيخ زروق (والقول الثاني)الأولى تغليب الخوف نسبه ابن حجر لأهل التحقيـق وفهـم حديـث لا يموتن الخ على المحتضر، وفهمه الخطابي على الكناية عن الحث على الأعمـال الصالحة لأنه سبب حسن الظن فكأنه قيل حسنوا أعمالكم تحسن ظنونكم با لله فإن من حسـن عمله حسن ظنه ومن سآء عملـه سـآء ظنـه هـذا كلامـه وهـو موافـق لقـول الحسـن

1-سورة البقرة الآية: 216.

البصري أن قوما ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ليست لهم حسنة يقول أحدهم اني أحسن الظن بربي، وكذب لوأحسن الظن به لأحسن له العمل (القول الثالث) الأكمل استواؤهما في جميع الأحوال وهو قول الصوفية، ومن هذا القبيل لووزن رجاء المومن وخوفه لاعتدلا، وان المؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه لكن هذا لا يستقر عليه إلا الواصلون أهل الرسوخ والتمكين بخلاف أهل الأحوال فإن قلوبهم تتقلب بينهما فتارة يغلب هذا وتارة يغلب هذا أنظر شرح العلامة ابن زكري على الحكم لدى قوله أن لم تحسن ظنك الخ. إذا علمت هذا القول م ويكون بينهما يعني جميع الأحوال إشارة إلى القول الثالث، وقوله بل يغلب الخوف، إشارة إلى القول الثاني، وبل للانتقال. وقوله إلا في حالة المرض صوابه إلا المحتضر ومن نزلت به مصيبة أو شدة كم تقدم إنتهى منه رقم 167 إلى 169 ولذا قال الناظم (سلوك السالك) أي الخوف والرجاء هما طريق السالك إلى الله. و(هما جناحان له) يطير بهما إلى حضرة الرب تبارك وتعالى و(هنالك) أي عند ذلك والوصل إلى الحضرة الربانية يبلغ مقام السالكين. ويجلس على بساط الكرامة مع الجالسين، وإلى هذا يشير المؤلف بقوله (نبهما إلى العلا يطير) (و) أي و(بهما) أي الخوف والرجا (الفؤاد) أي القلب (يستنير) أي يستضيء بشروق الأنوار بعد محو الأغيان، إذا تمهد هذا (فبتلازمهما) أي الخوف والرجاء (صح السلوك) وذلك حيث إستنار القلب واتضح الطريق. وأما (من يفقدن بعضهما) أي أحدهما أي الخوف، أو الرجاء، فالفاقد لأحدهما وأحرى الفاقد لهما (فـ) هو (في حلوك) أي ظلام الجهل يسري والذي يسري في الظلام من غير ما أدلة يستدل بها أو أنجم يهتدي بها فلا ترجى له السلامة، والفاقد لهما أولأحدهما (قد صدار) أي أعرض (عن الجلال) أي جلال الله وعظمته وقهره وكبريائه، وبطشه وشدة عذابه، والصاد عن ذا شبيه بالكفار من وجه أي من

حيث الصد عن الطريق، قال تعالى ﴿**إن الذين كفروا و صدوا عن سبيل ا لله**﴾(1) ومن الصدِّ أيضا الإعراض ومنه قوله تعالى ﴿**ومن أعرض عن ذكرى**﴾(2) الآية، وهذا يختص بمن صد عن الجلال وهو الفاقد للخوف، (و) أي وأما من فقد الرجا فقد صد (عن الجمال) أي الحلم والعفو والغفرة وسعة رحمته تعالى، إلى غير ذلك من صفات جمال ا لله تعالى التي لاطاقة لمخلوق على حصرها، وإذا صد عن الجمال صارمن القانطين وا لله تعالى يقول ﴿**ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون**﴾ (3) وقال تعالى يقص قول سيدنا يعقوب لبنيه ﴿**لا تيئسوا من روح ا لله إنه لا يئس من روح ا لله إلا القوم الكافرون**﴾ (4) وقوله (وصفى الهنا) أي الجلال والجمال من صفات الهنا (العلى) القدر الذي يصغر كل شيء عند ذكره تعالى (ذي) أي صاحب (الكمال) أي الموصوف بصفات الكمال اهـ

ثم قال مشيرا إلى ما ينبغي من تغليب الخوف في حالة الصحة وتغليب الرجا في حالة الإحتضار، بحرف الإستدراك فقال

لَكِنْ بِوَقْتِ المَوْتْ رجح الرَّجَا   وَعِنْدَ كُلِّ شِدَةٍ لاَ تُحْرِجَا

وَرَجِّح الخَوْفَ بِصِحَّةِ الجَسَدْ   فَهُوَ لِنَفْسِكَ الغَوِيَةِ أَسَدْ

(لكن) أيها السالك (بوقت الموت) أي في حالة الإحتضار (رجح) أي غلب الرجا أي حسن الظن با لله لما تقدم بابسط عبارة (و) أي كذلك رجح الرجا (عند كل شدة) تنزل بك وتذكر قوله تعالى ﴿**فان مع العسر يسرا**﴾ (5)(وقوله صلى ا لله عليه وسلم (**لن يغلب عسر يسرين**) وقله (**لودخلت الشدة إلى جُحْرٍ لدخل عليها الفرج أو اليسر وأخرجها**) أو كما قال، وقوله (لاتحرجا) الفه منقلبة عن نون

1- سورة محمد صلى ا لله عليه وسلم الآية: 01.

2- سورة طه الآية: 124.

3- سورة الحجر الآية: 56.

4- سورة يوسف الآية: 87.

5- سورة الإنشراح الأيتان : 05، 06.

التوكيد الخفيفة، أي لا تحرجن أي لا تضق صدار ولا تتحرج من الشدة إذا أصابتك ولا تيأسن من الفرج واليسر، قال الشاعر

فلا تيأس إذا اعسرت يوما ... فقد أيسرت في دهر طويل

ولا تظن بربك ظن سوء ... فإن الله أولى بالجميل

فإن العسر يتبعه يسار ... وقول الله أصدق كل قول اهـ

(و) وأما في حالة الصحة فـ (رجع الخوف في) أي في حال (صحة الجسد) لان الخوف كما تقدم سوط يسوق الخ ولذا قال (فهو) أي الخوف (لنفسك الغوية) اي التي تغويك بإغرائها لك على ارتكاب شهواتها وتازك ازا، اي تزعجك الى المعاصي بحركات شديدة وصوت عال كصوت السبع فهي اذا (اسد) كما قال اي شبيهة بالاسد المفترس. اهـ والله اعلم

ولما انهى الكلام على الخوف والرجا شرع يتكلم على القبض والبسط فقال

فصل في القبض والبسط

أي هذا الفصل في معنى القبض والبسط اللذين نص القرآن الكريم عليهما بانهما بيد الله تعالى كما قال جل جلاله ﴿**والله يقبض ويبصط**﴾(1) والمنصف قسمهما الى قسمين فقال

فَالقَبْضُ قُبْضَانْ فَقَبْضُ نُورْ ... وَقَبضَ شَرٌكَانْ عَنْ دَيْجُورْ

وَالبَسْطُ بَسْطَانْ فَبَسْطُ نُورِ ... وَبَسْطُ شَرٌكَانَ عَنْ غُرُورِ

أشار رحمه الله الى ان القبض قبضان، فاحدهما (نور) أي صاحبه وردت على قلبه انوار ربانية من أسرار الغيب فانقبض بها وصار مشغولا عن الخلق بالخالق، (و) أي والثاني (قبض شر) وهو الوسواس الذي امر الله نبيه سيدنا محمدا صلى الله عليه

1- سورة البقرة الآية: 245.

وسلم وامته بالاستعاذة منه بقوله جل وعلا ﴿**قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس**﴾ السورة، وهذا الشر (كان) ناشيئا عن (ديجور) اي عن ظلام وقع، ففي المنجد (الديجور) الظلام، التراب الاغبر الضارب الى السواد كالرماد اهـ (و) اي وكذلك (البسط بسطان ف) أي فأحدهما (بسط نور) اي فتح وفرح وسرور بالمواهب الواردة على القلب من اسرار الطاعات او الذكر، من الملك العلام فيظهر على من وردت على قلبه تلك الانوار والاسرار بسط وفرح شكر الله تعالى ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾(1) ﴿**قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا**﴾(2) وإلى هذا الفرح يشير صاحب الحكم بقوله: لا تفرحك الطاعة من حيث انها برزت منك وافرح بها من حيث انها برزت من الله إليك الخ، (و) اي والثاني (بسط شر) اي معصية، كبسط وسرور شارب الخمر، والزاني، والمشتغل بألة اللهو والرقص والغنا وغير ذلك ﴿**كل حزب بما لديهم فرحون**﴾(3) إلا أن فرح المشتغلون بانواع الطاعات كالفرح والذوق الذي يحصل لتال القرآن بالتدبير، وكدارس العلم تعلما وتعليما، أو الباحث فيه والمدون له، وكلذة المناجات مع الله تبارك وتعالى في الصلاة، كما قال صلى الله عليه وسلم (**وقرة عيني في الصلاة**) ففرح هؤلاء وأمثالهم فرح محمود، وأما فرح أهل المعاصي بمعاصهم فمذموم عقلا وشرعا، وهذا البسط (كان) ناشيئا (عن غرور) أي عن وسوسة الشيطان الغرور قال تعالى ﴿**ولا يغرنكم بالله الغرور**﴾(4) أي الشيطان. اهـ

ولما قسم القبض والبسط إلى قسمين أشار رحمه الله إلى أن المقصود هنا الكلام على القسم النوراني فحسب فقال:

1- سورة الضحى الآية: 11.

2- سورة يونس الآية: 58.

3- سورة الروم الآية: 32.

4- سورة لقمان الآية: 33.

كَلامَنَــا هُنَــا عَلَــى النُــورَانِي وَلَيْــسَ عَــنُ ضِــدِ لَــهُ ظَلْمَانِي
فَانْ تَكُنْ فِي القَبْضِ يَوْمًا فَاصْبِرَا فَصُبْحُ بَسْطِ مْ إِلَهِــي سَتَــرَى
وَإِنْ تَكُنْ فِي البَسْطِ يَوْمًا فَاضْبِطَا نَفْسَكَ عَنْ عَثَارِ سَبْــطِ وَرَطَــا
اَكْثَــرُ مِــنْ زَلَ عَــنْ المَقَــامِ زَلَ بْــزَهْرِ البَسْــطِ مِــنْ انَامْ
وَالقَبْــضِ لاَحِــظْ لِنَفْسِــكَ بِهِ لأنَــهُ سُــوْطُ لَهَــا فَانْتَبِــهْ
الاَ تَــرَى الإِذْلاَلِ وَصْفَ سَالِكْ مَقَامَــــهُ التَلْــوِينْ فِي المَسَالِــكْ اهـ

(كلامنا هنا) اي في هذا النظم (على) القسم (النوراني) أي من قسمي القبض والبسط (وليس) أي كلامنا في هذا النظم (عن ضدله) أي النوراني (ظلماني) أي القسم الظلماني، والمعنى ليس مقصود الناظم أن يتكلم في هذا النظم على القسمين أشار إليهما بقوله، (فبسط نور، وبسط شر) بل مقصوده الكلام على البسط النوراني فحسب اهـ ثم أرشد السالك إلى ما ينبغي أن يكون عليه في حالة القبض إن أصابه أو في حالة البسط إن أصابه، لان القبض والبسط كلاهما من ا لله تعالى ﴿**وا لله يقبض ويبصط**﴾(1) فقال (فان تكن) ايها السالك (في) حالة (القبض يوما) اي من الايام (فاصبرا) أي اصطبر وكابد ولا تزعج فإن الصبر يعقبه الفرج ولا شك، قال تعالى ﴿**إن ا لله مع الصابرين**﴾(2) وإلى هذا أشار الناظم بقوله (فصبح بسط من الهى سترى) ففي آخر الحديث الذي رواه الترميذي بلفظ ((**احفظ ا لله تجده امامك، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرا** اهـ نقله النووي في الأربعين اهـ.

ـ **فائدة** ـ ورد عن يزيد الرقاشي أنه قال إذا دخل الرجل القبر قامت الصلاة عن يمينه، والزكاة، عن شماله، والبر يظل عليه، والصبر يحاج عنه يقول دونكم

1- سورة البقرة الآية : 245.

2- سورة البقرة الآية: 152

صاحبكم فإن حججتم وإلافإنها من ورائه، يعني إن استطعنتم أن تدفعوا عنــه العـذاب وإلا أنا أكفيكم ذلك وأدفع عنه العذاب، ففي هذه الأخبار دليل على الصبر أفضل الأعمال، وا لله تعالى يقول ﴿**إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾(1) اهـ كما في تنبيه الغافلين، وسيأتي الكلام على الصبر في محله ان شاء ا لله. اهـ

(وإن تكن) أيها السالك (في) حال (البسط يوما) أي من الأيام (فاضبطا نفسك) أي راقب أحوالها واضبط ما يصدر منها من فرح ولا تترك مراقبتها مع البسط طرفة عين ليلا يخرها البسط والسرور إلى حالة بها في هواة، وهذا معنى قوله (عن عثار بسط ورطا) أي أوقع في ورطة أي مهلكة . ثم نبهى على أن (أكثر من زل عن المقام) أي سقط عن مقام أولياء ا لله السالكين إنما (زل) أي سقط (بزهو البسط) أي الفرح والسرور بالنعم، لا من حيث برزت من ا لله إليه، بل سكن إليها واطمئن بها لظنه أنها برزت عن طاعته اهـ وقوله (عن أنام) عائد على أكثر من زل أي من الأنام أي الخلق، (و) أي واعلم بأن (القبض لا حظ لنفسك به) اذهو من ا لله تعالى للافتتان والابتلا، قال ا لله تعالى ﴿ **ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾(2) وقال تعالى ﴿**ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخباركم**﴾(3) ﴿**ونبلوكم بالشر والخير فتنة**﴾(4) إلى غير ذلك من الآيات. ولذا قال المصنف (لأنه) أي القبض (سوط لها) أي امتحان وزجرها شبهه بالسوط بجامع أن كلا من الإمتحان والسوط تأديب، ولذا قال (فانتبه) أي تفطن لهذا التأديب الذي أدبك به المولى جل جلاله، وتفكر وانظر بعقلك تجد هكذا مقام من قطع الطريق، كما قال (ألا ترى) ايها السالك (الاذلال)أي التذلل والخضوع والانكسار(وصف سالك) إلى ا لله (مقامه

1- سورة الزمر الآية: 10.

2- سورة العنكبوت الآيتان : 01، 02.

3- سورة محمد صلى الله عليه وسلم الآية: 31.

4- سورة الأنبياء الآية: 35.

التلوين) اي من الخوف والإنكسار الذي هو الرفعة في الحقيقة، لما في الحديث القدسي (**انا عند المنكسرة قلوبهم**) وقوله (في المسالك) اي في جميع العقبات التي يقطعها في طريقه فعند كل مقام، يرى السالك نفسه مقصرا فيستغفر ا لله ويخضع له متذللا ومنكسرا من تقصيره في وقوفه مع ذلك المقام، وهذا كما قال صلى ا لله عليه وسلم (**انه ليغان على قلبي فاستغفر ا لله**) وهذا الغين غين أنوار لا غين أغيار كما في تفسير الحديث اهـ وا لله اعلم

ثم لمّا انهى الكلام على القبض والبسط شرع يتكلم على الصبر فقال :

فصل في الصبر

الصبر هو عبارة عن ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة ياعث الشهوة وهذا الثبات حال يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لأسباب السعادة في الدنيا والآخرة، فالصبر اذا منتظم من علم وحال وعمل قاله في الاحياء بخ وهو جماع كل فضيلة، وملاك كل فائدة جابلة، ذكره ا لله في خمسة وتسعين موضعا من القرآن ولم يذكر غيره، وكل حسنة لها أجر محصور من عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصبر فإنه لا يحصى أجره ﴿**إنما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب**﴾(1) وقد ذكر ا لله للصابرين ثمانية أنواع من الكرامات هذه إحداها، والمحبة ﴿**وا لله يحب الصابرين**﴾ (2) والغرفة ﴿**يجزون الغرفة بما صبروا**﴾(3) والبشارة والصلاة والرحمة والهداية ﴿**وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾(4)، والنصر ﴿ **إن ا لله مع الصابرين**﴾ (5) وفي الحديث: (**النصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، واليسر مع العسر**) وقال ابو على الجهم :

1- سورة الزمر الآية: 10. 2 - سورة آل عمران الآية: 146. 3- سورة الفرقان الآية: 75.

4- سورة البقرة الآيات : 155، 156، 157. 5- سورة الأنفال الآية: 46.

فمـا تـجـرع كـاس الصبر معتصم ... بـا لله الا أتـــاه ا لله بالفـــرج

وقال محمد بن بشار:

إن الأمور إذا انسـدت مسـالكها ... فـالصبر يفتـح منها كل مـاارتتجا

لا تيئسـن وإن طـالـت مطالبـة ... إذا استعنت بصبر أن تـــرى فرجا

اخلق بذي الصبر ان يحْظى بحاجته ... وَمُـدْ مِنُ القرع للابواب ان يلجا اهـ

وقال الدماميني:

اذا اعضـك الـدهر الخـون بنابه ... فلا تقر عن السن واستعمل الصبرا

فمهـلا فحال الدهر ماقد علمتـه ... فيوما ترى عسرا ويوما ترى يسرا اهـ

ومـن جـزع مـن المصائـب ... واضطـرب عنـد وقـوع النوائب

كـان عامـلا فيما يكتسبه وزرا ... ونهيـــــــــك خســـــــــرا

و لله در القائل :

وإذا تصبـك مصيبـة فاصبر لها ... عظمـت مصيبـــة مبتلى لا يصبر

كما في ابن حمدون رقم 170) قال الناظم:

الصَبْـرُ اَنْـوَاعْ فَصَبْـرُكَ عَلَى ... طَاعَـةِ رَبِ الخَـلْقِ جَـلَّ وَعَلاَ

كَذَلِـكَ صَبْـرُكَ عَلَى المَعَاصِي ... تَقْـوَى لِمَـنْ بِيَـدِهِ النَـوَاصِي

كَـذَاكَ صَبْـرُكَ عَلَـى القَضَاء ... بِالضُـرِّ وَالبَأْسَـاءِ وَالبَـلاَء

لأَنَـهُ اَبْـرَمْ ذَاكَ فِـي الأَزَلْ ... فَالصَبْـرُ ذَرْعُ اَمَنَتْ مِنْ الوَجَـلْ

(الصبر أنواع) أي أقسام ومراتب منها (صبرك على طاعة رب الخلق) اي خالقهم ومكونهم والموجب عليهم عبادته تعالى بقوله ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ (1) وأرسل إلينا تبارك وتعالى رسولا علمنا كيفية تلك العبادة التي أوجبها

1- سورة الذاريات الآية: 56.

علينا، فنحمده تعالى ونشكره على نعمه التي لا تحصى **﴿وإن تعدوا نعمت ا الله لا تحصوها﴾** (1) وقال الشيخ ابن عاشر، الحمد لله الذي علمنا. من العلوم مابه كلفنا وتلك العبادات التي تعبدنا بها هي عين طاعته تعالى، فالواجب الصبر على أداء تلك الطاعات المتنوعات بأنواع الصبر كذلك في كل نوع منها حسبما تؤدي به على الوجه الأكمل.

وقد ذكر في الاحياء ان الصبر على الطاعة يحتاج اليه في اول العمل بتصحيح الاخلاص، ودفع شوائب الرياء ومكايد الشيطان والنفس وغرورها. وفي حالة العمل حتى يوقعه على شرطه مع حضور القلب ونفي الوسواس، وبعد العمل بأن يصبر على كتمه وترك التظاهر به والنظر إليه ليخلص من السمعة والعجب فيتكمل ثوابه كما خلص من الرياء، فهذا معنى قول المؤلف (فصبرك على طاعة رب الخلق) وقوله (جل وعلا) أي عظم شأنه وارتقى عن يدرك وصفه الواصفون أو يقدر أحد على أداء شكره أو القيام بطاعته على الوجه الأكمل، أو أن يحيط أحد بعمله، قال تعالى **﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾**(2) أي لمن شاء اهـ (كذاك صبرك على المعاصي) اي ومن انواع الصبر (صبرك) ايها السالك (على المعاصي) اي بمجاهدة النفس وردها عن هواها، وقد ذكر في الاحياء أيضا أن الصبر على المعاصي شديد ففي الحديث (**المجاهد من جاهد هواه، والمهاجر من هجر السوء**) ولا سيما معصية صارت مألوفة إذا يتظاهر بها على بواعث الدين جندان. جند الهوا، وجند العادة، فاذا انضم الى ذلك سهولة الفعل وخفة المؤونة فيه لم يصبر عنها إلا صديق، وذلك كمعاصي اللسان فإنها هينة سهلة كالغيبة والكذب والرياء والثناء على النفس، ويحتاج في ذلك إلى أشد أنواع الصبراهـ والصبر على المعاصي هو (تقوى) لله تبارك وتعالى،

1- سورة ابراهيم اللآية: 34.

2- سورة البقرة الآية: 255.

والتقوى اسم جامع لكل خير، قال تعالى ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب**﴾(1) ﴿**ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا**﴾(2) ﴿**ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون**﴾(3) ولها مراتب نظمها الشيخ أبو محمد عبد القادر بن شقرون بقوله :

مراتب التقوى لخمس قسمت ... كفر حرام شبهة قد علمت

ثم مباح لحظ غير الله ... فلا تكن عن ذكره باللاهي

اسلامنا الاول ثم توبه ... وورع زهد فشاهد قربه اهـ

وقوله (لمن) اي لله الذي (بيده النواصي) يشير الى قوله تعالى ﴿**مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها**﴾(4) اهـ (كذاك صبرك على القضاء) اي قضاء الله تعالى عليك وقدره في سابق علمه سواء كان المقضى عليك (بالضر) فاصبر ومما يعينك على الصبر ان تعلم انه اي الضر من الله تعالى، قال ﴿**وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو**﴾(5) وفي الحكم العطائية، ليخفف عنك ألم البلاء علمك بأنه المبلي لك، (و) أي وكذاك صبرك على (البأساء) أي شدة الفقر أي فلا تشكي لأحد غير الله وادعوه تعالى لكشف مابك فانه يحب الملحين له في الدعاء (و) أي وكذا صبرك على (البلاء) أي المصائب فاقسام الصبر ثلاثة، صبر على الطاعة بدوام فعلها، وصبر على المعصية بدوام تركها، وصبر على البلاء بحمد الله وشكره عليه، فيكون شاكرا على السراء والضراء، وأعظمها الصبر على العاصي. وأقل منه الصبر على الطاعة، وأقل منه الصبر على البلايا، لأنه ورد أن الصابر على البلاء يرفعه الله ثلاث مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرة، والصابر على دوام الطاعة يرفعه الله ستمائة

1- سورة الطلاق الآيتان: 02، 03.
2- سورة الطلاق الآية: 04.
3- سورة النور الآية: 52.
4- سورة هود الآية: 56.
5- سورة يونس الآية: 107.

درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض مرتين، والصابر على المعصية يرفعه الله تسعمائة درجة بين كل درجتين بين السماء والارض ثلاث مرات اهـ كما في الصاوي لدى قول الله تعالى ﴿**يأيها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين**﴾(1) جزء اول رقم (69) وفي الحديث (**النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع العسر**).

وذلك (لأنه انبرم) أي ثبت وسبق في علم الله وجف القلم من كتابته، قال تعالى ﴿**ماصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها**﴾ الآية 22 سورة الحديد، (فالصبر ذرع) اي قميص (امنت) اي حفظت (من الوجل) اي الخوف والحزن، والمعنى والله اعلم ان تدرع الصبر لا يخاف مما يقدم عليه في الاخرة بقوله تعالى ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب**﴾(2) ولا يحزن على مافات لما ناله من البشارة والصلاة والرحمة والهداية من الله تعالى الموعودة بقوله جل من قائل (وبشر الصابرين الذين اذا اصبتهم مصيبة) الاية 157 سورة البقرة والى هذا اشار بقوله

وَالصَبْرُ مِفْتَاحُ الفَلاَحِ وَالنجَاحْ　　　وَالنَصْرُ يُؤْخَذُ بِأَنْفُسِ مَلاَحْ

فَهُوَ لِبَاسٌ حَسَنٌ وَجُنَّهْ　　　مِنْ الشَمَاتَةِ وَمَهْرُ الجَنَّهْ

خِصَالُهُ كَثِيرَةٌ عَكْسُ الجَزْعْ　　　لَوْدَخَلَ الجَزَعُ طَوْدًا لاَّنْصَدَعَ

فَلاَ يَزَالُ العَبْدُ يَصِيرُ إِلَى　　　اَنْ يُدْرِكْ الرِضَاءَ مِنْ رَبِ العُلاَ اهـ

(و) أي وإذا تمهد ماتقدم من أنواع الصبر فاعلم أنه أي (الصبر) هو (مفتاح الفلاح) ذلك لأن مقامات الفلاح التي الإشارة إليها بقوله تعالى (قد افلح المومنون الآيات التسع) لا تنال ولا تدرك إلا بالصبر، فلا يحصد الخشوع في صلاة إلا بالرياضة

1- سورة البقرة الآية: 152.

2- سورة الزمر الآية: 10.

والصبر على أدائها وتحصيل شروطها وكذلك لا يقع الإعراض عن اللهو إلا بالصبر ومجاهدة النفس وردها عن شهواتها، لما أن من طبعها محبة اللهو والميل إلى الراحة والنزاهة، إلى غير ذلك، وكذلك أداء الزكاة، لا تسمح النفس ولا تسخى فيه إلا بالصبر، لأن من طبعها الشح والبخل وحب المال، فلا يؤدي المزكي زكاته إلا بمحاربة النفس والشيطان، قال تعالى ﴿**الشيطان يعدكم الفقر**﴾ (1) الاية؛ وأما المحافظة على الفرج فذلك من الصبر على المعصية التي تقدمت الإشارة إليها وكذلك مراعاة الأمانة والعهد لا تمكن إلا بالصبر والكد و الإجتهاد والرياضة وأما المحافظة على الصلوات فإنها من الصبر على الطاعة ايضا، فمن قطع هذه المقامات بالصبر على مشقتها فقمن أن يأخذ مفتاح الفلاح ولا شك، (و) أي والصبر كما أنه مفتاح الفلاح فهو مفتاح (النجاح) كذلك والنجاح هو ما يحصل للصابر من النصر والفرج القريب في الدنيا والبشارة من الله تعالى، وما يحصل له في العقبة من الثواب الجزيل الذي لا يدخل تحت حصر، قال تعالى ﴿**انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب**﴾ (و) اي وانه اي الصبر مفتاح (النصر) اي على الاعداء بشهادة الحديث المتقدم (**النصر مع الصبر**) ولما كان بهذه المثابة فإنه يؤخذ بأنوف (انفس ملاح) اي مما ذكر من النصر والفرّج واليسر والبشارة الخ، فتدبر اهـ

ـ تنبيهان ـ الأول، اعلم أن الصبر يشمل الصبر على العدو الظاهر كالكفار وأهل البدع والفساق والعدو الباطن كالنفس الأمارة والهوى والشيطان، لأن جهاد ذلك أعظم من جهاد العدو، ويدل له ماجاء في حديث ضعيف انه صلىٰ ا لله عليه وسلم قال لقوم قدموا من الجهاد (**مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قالوا وما الجهاد الأكبر قال مجاهدة العبد هواه**) اهـ ((الثاني)) ذكر ابو نعيم

2- سورة البقرة : 268.

في الحلية عن مسعر ان رجلا ركب البحر فكسرت سفينته فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة ايام لم ياكل ولم يشرب فتمثل فقال:

اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القارب كاللبن الحليب

فأجابه مجيب لم يره فقال عسى الكرب الذي أمسيت فيه. يكون وراءه فرج قريب. قال فجاءت سفينة وحملته وأصاب خيرا كثيرا. اهـ كما في الشبرختي اهـ وفي تنبيه الغافلين ما نصه وروى ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:((**ثلاثٌ من رزقهن فقد رزق خيرى الدنيا والآخيرة. الرضا بالقضاء . والصبر على البلاء . والدعاء عند الرخاء**)) اهـ إذا تمهد هذا فهمت معنى قوله (يؤخذ بانفس ملاح) اهـ قوله (فهو) أي الصبر (لباس حسن) أي حيث كان جامعا لأنواع التقوى وأقسامها ومراتبها وقد قال تعالى﴿ **ولباس التقوى ذلك خير**﴾ (1) وقد تقدمت الإشارة الى مراتب التقوى واقسامها، وقول الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقوى تقلب عريانا ولو كان كاسيا

(و) أي وان الصبر (جنة) أي وقاية (من الشماتة) أي شماتة الأعداء أي من النفس والشيطان والهوى. ومن أعداء الإنس أيضا لأن المرء إذا تدرع بالصبر لا يراه عدوه إلا في غنى وسعة من الدنيا كما وصف الله تبارك وتعالى الصحابة رضوان الله عليهم بقوله جل وعلا:﴿ **يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**﴾ (2) (و) أي وهو أي الصبر (مهر الجنة) أي صداقها الذي يستحق من بذله الخلد فيها والنعيم الدائم بها. وذلك لصبره على فعل الطاعة بالامتثال. وعلى المعصية بالاجتناب. قال تعالى وهو اصدق القائلين:﴿ **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾(3)

1- سورة الأعراف الآية: 26.

2- سورة البقرة الآية: 273.

3- سورة الزخرف الآية: 72.

ثم أشار إلى أن خصاله ليست منحصرة فيما ذكر فحسب فقال (خصاله) أي الصبر (كثيرة) يدل عليها قوله تعالى:﴿**وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ (1) أي ما يؤتي الخصلة التي هي أحسن. التي تقدمت الإشارة إليها بقوله تعالى:﴿ **ادفع بالتي هي احسن**﴾(2) كالغضب بالصبر والجهل بالحلم والاساءة بالعفو. الا الذين صبروا الاية اهـ قاله ذو الجلالين اهـ وقوله (عكس الجزع) أي والصبر عكسه الجزع الذي مساويه كثيرة ولذا قال(لو دخل الجزع طودا) أي جبلا عظيما (لا تصدع) أي تشقق. والجزع هو قله الصبر مع القلق واذا كثر صار هلعا. قال تعالى: ﴿ **إن الانسان خلق هلوعًا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا**﴾(3) (فلا يزال العبد يصبر) ويكابد الشدائد بالصبر (الى أي يدرك) أي يبلغ مقام (الرضاء من العلا) وإذا بلغ مقام الرضا صار من المحبين وغدًا صار من المحبين فقد بلغ الدرجة القصوى. ابن عاشر:

فحبه الاله واصطفاه　　　لحضرة القدوس واجتباه. انتهى

ولما انهى الكلام على الصبر شرع يتكلم على الشكر فقال:

فصل في الشكر

أي في حقيقة الشكر لله تعالى على نعمه التي لا تحصى. والشكر كما تقدم في الاصطلاح. هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. وحيث كانت للإنسان جوارح وكل جارحة منها تختص بنوع من الشكر اشار الناظم رحمه الله إلى معظمها فقال:

فَالشُّكْرُ بِاللِّسَانِ وَالأَرْكَانِ　　　وَ القَلْبِ لِلمُنْعِمِ ذِي الإِحْسَانِ

(فالشكر باللسان) وشكره الثناء على الله تعالى بالجميل (و) أي ويكون بـ(الأركان) أي الجوارح الظاهرة (و) أي وبـ (القلب) وشكره صحة الاعتقاد

1- سورة فصلت الآية: 35.　2- سورة فصلت الآية: 34.　3- سورة المعارج الآية: 19.

(للمنعم) أي بجلائل النعم ودقائقها وهو الله سبحانه وتعالى (ذي) أي صاحب (الإحسان) أي الإفضال والإنعام لا لوجوب عليه تعالى ولا لاستحقاق المنعم عليه. والشكر بما ذكر من الواجبات كما قال ابن ابي يزيد. وقد فرض الله سبحانه وتعالى على القلب عملا من الاعتقادات وعلى الجوارح الظاهرة عملا من الطاعات. ثم بين شكر القلب بقوله :

فَشُكْرُ قَلْبِكَ جَمِيلُ الإِعْتِقَادْ وَشُكْرُ الأَرْكَانِ التُّقَى وَهْيَ المُرَادْ

(فَشكر قلبك جميل الاعتقاد) أي صحة الاعتقاد وهو اعتقاد أن النعم كلها من الله: ﴿**وما بكم من نعمة فمن الله**﴾ (1) (و) أي وأما (شكر الأركان) أي الجوارح الظاهرة فهو (التقى) أي التقوى الجامعة لجميع انواع الطاعات كما تقدمت الإشارة إليها بأتم تفصيل وبيان. وخلاصة شكر الجوارح هو أن يعمل بها العمل الصالح. قال الله تعالى: ﴿ **اعملوا آل داود شكرا**﴾ (2) (و) أي التقوى (هي المراد) أي المقصود بالشكر اهـ ثم فرع على ذلك مبينا لصفة الشكر فقال.

شُكْرُ اللِّسَانِ يَا فَتَى الثَّنَاءُ عَلَى الذِي مِنْ عِنْدِهِ النَّعْمَاءُ

(شكر اللسان) أي الواجب عليه (يافتى) أي باعاقلا فطينا هو (الثناء) أي الوصف بجميل اختياري عن جهة التعظيم والتبجيل. وهذا في عرف اللغويين. واما غي عرف الفقهيين أي في اصطلاحهم فهو فعل ينبىء عن عظمة المنعم لكونه منعما. ويدخل فيه التحدث بالنعم واظهارها. ﴿**وأما بنعمة ربك فحدث**﴾(3) . ومنه شكر الوسائط بالثناء عليهم والدعاء لهم. من لم شكر الناس لم يشكر الله. اشكر الناس لله اشكرهم للناس اهـ (على الذي من عنده) تاتي (النعماء) قال تعالى: ﴿ **وما بكم من نعمة فمن الله**﴾ اهـ ثم قال :

مَنْ يَشْكُرِ اللهَ عَلَى إِنْعَامِهِ يَزِدْهُ بِرًّا مِنْ جَدَا إِكْرَامِهِ

1- سورة النحل الآية: 53. 2- سورة سبأ الآية: 13. 3- سورة الضحى الآية: 11.

هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿ **لئن شكرتم لازيدنكم** ﴾ (1) (من) اسم موصول أي العبد الذي (يشكر الله) سبحانه وتعالى (على انعامه) الغير المنحصرة كما قال تعالى: ﴿ **وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾ (2) وقال صلى الله عليه وسلم: (**لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك**) وقال الشاعر:

إذا كان شكر نعمة الله نعمة ... عليّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر

اهـ من التتائي وقوله (يزده) أي الله تبارك وتعالى للشاكر (برا) أي إنعاما وفاء بما وعد جل وعلا في قوله السالف الذكر (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقوله (من جدا اكرامه) أي من عظيم انعامه. والله اعلم.

وسأل رجل أبا حازم فقال له ما شكر العينين فقال اذا رأيت بهما خيرا أعلنته واذا رأيت بهما شرا سترته قال فما شكر الأذنين قال إذا سمعت بهما خيرا وعيته واذا سمعت بهما شرا دفنته. قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع بهما حقا هو لله فيهما. قال فما شكر البطن قال أن يكون اسفله صبرا واعلاه حلما. قال فما شكر الفرج قال كما قال الله تعالى: ﴿ **والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين** ﴾(3) قال فما شكر الرجلين قال ان رأيت شيئا غبطته استعملتهما وإن رأيت شيئا مقته كففتهما عن عمله. وأنت شاكر لله اهـ **ـ تنبيه ـ** مما يستعان به على علاج القلوب البعيدة عن الشكر الغافلة عنه أمور. أحدها استحضار فائدة شكر النعم موجوب لبقائها والزيادة منها. وكفرها وعدم شكرها موجوب لزوالها وانفصالها. من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها. ومن شكرها فقد قيدها بعقالها. ثانيها أن ينظر العبد أبدا إلى من هو دونه ليعرف قدر ما من الله به عليه. وقد صح (انظروا إلى من هودونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم ولبعضهم :

1- سورة ابراهيم الآية: 07. 2- سورة ابراهيم الآية: 34. 3- سورة المومنون الآيتان : 05، 06.

من شاء عيشا حميدا يستفيد به في دينه ثم في دنياه اقبالا
فلينظرن إلى من فوقه ادبا ولينظرن إلى من تحته مالا

وقال الشافعي رضي الله عنه:

إذا شيئت ان تحيي سعيدا فلا تكن على حالة الارضيت بدونها
ومن يرد الاعلى من العيش لم يزل حزينا على الدنيا كثير غبونها اهـ

وهذا بناء على ان الحديث في الامور الدنيوية فقط دون الدينية وعليه الأكثر وحمله المحققون على إطلاقه ليقع الشكر على الدين والدنيا فإن العبد من حيث لا يليق به إلا النقص فكل ما ظهر عليه فنعمة من الله وان قل فيشكر الله إن وفقه الله لقول لااله الا الله ولو مرة في عمره قاله في شرح الوغليسية. ثالثها النظر في نعم الله السابغة التي لا حصرلها ﴿**وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها**﴾. ومن اعظمها منه الايمان ومننه اللاحقة ومن اجلها النظر الى وجه الله الكريم. ويؤكد ذلك عندك نظرك لمعاملتك معه فانك ان نظرت مامنك اليه لن ترى الاغفلة واساءة. وإن نظرت مامنه اليك لم تر إلأمنة وإحسانا. رابعها نظرك إلى نقصك وخساسة قدرك ومن أنت حتى أهلك مولاك لخدمته وذكرك سابغ طوله ومنته. والوف من اقرانك واشباهك قد طردوا وأبعدوا (قول م ويتصف بالشكر على النعم) هذه درجة العوام كما في تفسير بن جزي ودرجة الخواص الشكر عليها وعلى النقم وعلى كل حال. ودرجة خواص الخواص ان يغيب عن رؤية النعمة برؤية المنعم.

قال رجل لابراهيم بن الادهم ان الفقراء اذا اعطوا شكروا واذا منعوا صبروا فقال ابراهيم هذه أخلاق الكلاب ولكن الفقراء إذا منعوا شكروا وإذا اعطوا آثروا. اهـ ابن حمدون. 169 اهـ

ولما انتهى الكلام عن الشكر شرع يتكلم على الزهد فقال:

فصـــــل في الزهد

يتكلم الشيخ في هذا الفصل على الزهد الذي هو خلو القلب من الدنيا. لا خلو اليد منها كما يتوهم من لا معرفة له في حقيقة الزهد. فقد يكون المرء ذو مال وهو زاهد . ويكون فقيرا وهو راغب ثم أشار إلى وصفه فقال :

فَالزُّهْـدُ أَنْ تَـزْهَدَ فِـي دُنْيَاكَا لِرَغْبَـةِ الفُـؤَادِ فِـيْ أُخـرَاكَا

(فا) أي فاعلم أيها السالك بأن (الزهد) هو (أن تزهد في دنياكا) وذلك باستصغارها ومحو آثارها من القلب. وعلامة هذا المحو كما قاله الصديق لابي الحسن يوما. هو بذلها عند الوجود والراحة بها عند الفقد. وهو منتظم من علم وحال وعمل كما أشار له في الحكم لقوله: حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الابدال. فالعلم بحقارة الدنيا بالنسبة لما عند الله تعالى المشار له بقوله تعالى:﴿**قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى**﴾ (1) وسرعة تقضيها وفنائها المشار إليه بقوله تعالى:﴿ **ماعندكم ينفد**﴾ اذ تقرر في القلب وباشر سويداءه أثمر حالا وهي الرغبة عن الدنيا وبرودها في القلب وهذا الحال تثمر عملا وهو الاشتغال بما يرضي الله تعالى وتجنّب ما لا يرضيه من أشغال الدنيا والخوض فيها والتعلق بها. وفضائله أكثر من أن تحصى كمية وكيفية. أما الأول فلأوجهٍ احدهما ان القلب إذا فرغ من الدنيا خرج منه جند الشيطان فيخلص من عوائق الإقبال على الله فيقبل عليه فتساعده الجوارح لأنها تبع له فتكثر الطاعات والعبادات من صاحب الزهد كثرة لا تتأتى لصاحب الرغبة غالبا. ثانيها أنه اذا انتفت العوائق امكنت المواظبة على العمل واحب الأعمال الى الله أدومها وإن قل كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها والدوام مظنة الكثرة في الكمية فلهذا ذكرنا هذا الوجه في هذا القسم ثالثها:ان الزاهد انقطع طمعه من الخلق فلا ينتظر منهم عطاء ولاجاها.فيسلم من الرياء

1- سورة النساء الآية : 77

والمداهانة وحب الظهور. فتتوفر اوقاته ولا يضيع منها شيء . ومن الأمطار تحمل الأنهار. وعلى هذا الوجه اقتصر ابن عباس. رابعها أن الزاهد لاقباله على الله تعالى لا غرض له بمجرد التمتع بالدنيا فتقع منه المباحات من العادات بنيات تصيرها عبادات. فيثاب عليها كالاكل والشرب بنية التقوي على الطاعات والنكاح بنية تكثير النسل. والنوم بنية النشاط للعبادة الى غير ذلك. وأما الثاني فلاوجه. احداها ان الزاهد يمكنه من حضور القلب في العمل بفراغ قلبه ما لا يمكن الراغب. والحضور هو روح العمل فيعظم بقدره. وفي الحديث:(**إن لله عبادا التسبيح من أحدهم مثل جبل أحد**). ثانيها. أن الزاهد لفراغ قلبه من الشواغل يمكنه من النيات في العمل الواحد والمقاصد ما لا يمكن الراغب فيقوم له العمل الواحد مقام اعمال ويثاب بحسب ذلك. ﴿**كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة**﴾.(1) الاصل واحد والفروع شتى. وذكر هذا الوجه في عظم الكيفية كما فعلنا هو الصواب خلافا للعلامة ابن ذكري في شرح الحكم حيث عكس . ثالثها إن إخلاص الزاهد أعلى من إخلاص الراغب وأقوى فيعظم عمله بحسب ذلك. رابعها. أن الزاهد يجد من الحلاوة والأنس في عمله ما لا يجده الراغب. اذ الزهد مفتاح الانس فيعظم العمل بحسب ذلك. خامسها. ان مع الزاهد من العلم الذي يكمل به العمل وإن لم يتعاط الخوض في العلوم ما ليس مع الراغب وإن تعاطاه. وفي الحديث (**من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى دار السلام**). وقد أشار في الحكم إلى هذه الفوائد فقال ما قل عمل برز من قلب زاهد ولا كثر عمل برز من قلب راغب. اهـ نقله ابن حمدون قول المصنف (لرغبة الفؤاد في أخراكا) أي وذلك أي الزهد في الدنيا لأجل رغبة الفؤاد أي القلب في أخراكا أي آخرتك التي سترجع إليها.ولا تحصل الرغبة فيها إلا بالزهد في الدنيا لأن الآخرة ضرة الدنيا ولا

1- سورة البقرة الآية : 261.

يمكن إرضاء الضرتين كلتيهما بل لابد من إحدى السخطتين كما معلوم بالضرورة وفي الحديث:(**من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه**) اهـ وله ثلاث مراتب. ترك المنهيات الذي هو زهد العوام وهذه المرتبة التي اشار اليها الناظم في هذا البيت بقوله. الزهد ان تزهد في دنياكا الخ ثم اشار الى المرتبتين الاخرتين بقوله:

وَبَعْـدَ اَنْ تَـزْهَدَ فِـي عُقْبَاكَا لِـرَغْبَـةِ النَّظَـرِ فِـي مَوْلاَكَا

(وبعد) من الظروف المبنية على الضم لقطعه عن الاضافة أي وبعد أن تزهد في دنياك فالزهد (أيضا أن تزهد في عقباك) لتبلغ زهد الخواص الذي هو ترك فضول الحلال. ثم زهد العارفين الذي هو ترك ما يشغل القلب عن الله وذلك (لرغبة النظر في مولاكا) أي خالقك المتولي أمورك يشير والله اعلم بقوله (لرغبة النظر في مولاكا) الى ان الزهد في المرتبتين الاخرتين أمر باطني ووصف قلبي لكن تظهر في الأفعال نتائجه وثمراته. وتلوح على الظاهر أماراته. وهو على قسمين ما يتعلق بالأمور الظاهرة. وما يتعلق بالأمور الباطنة. فأما ما يتعلق بالأمور الظاهرة فمنه الزهد في المال والجاه والرياسة والظهور وثناء الخلق ومحمدتهم وموالاتهم ومودتهم. ويندرج في هذا القسم المرتبة الثانية كلها وبعض الأخيرة. وأما ما يتعلق بالأمور الباطنة فهو الزهد في المقامات والأحوال بترقي الإنسان منها شيئا فشيئا وانتقاله من مقام إلى مقام بالزهد فيما هو فيه فينقله الله إلى ما هو خير منه أو التخلي عنها دفعة والمحو عنها رأسا إلى ما يعبر عنها ولا يظفر به إلا من من الله عليه سبحانه اهـ ابن حمدون اهـ ثم قال

فَـلاَ يَصِـحُّ لَـكَ دُونَ الزُّهْدِ عِبَـادَةٌ وَلاَ سَبِيـلُ رُشْـدِ

فَالـزُّهْـدُ لِلسَّالِـكِ أسُّ أَمْـرِهِ وَالحِـرْصُ لِلسَّالِكِ أدْهَى شَرِّهِ

(فـ) أي فاعلم بأنه (لايصح لك دون الزهد عبادة) أي لان رغبتك في الدنيا تشغلك عن عمل العقبى كما تقدم في الحديث (**من أحب دنياه أضر بآخرته**). (و) أي و(لا) يصح لك بدون الزهد سلوك (سبيل) أي طريق (رشد) تهتدي بها الى

حضرة مولاك لان الرغبة في الدنيا تظلم القلب والساري بالليل المظلم اذا لم يكن له مصباح يستضيء به فهو الى الضلال أقرب. وإن كان له مصباح ولكنه غير صاف المرآة فكذلك. كما قال سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي في نصيحته:

وان يكن بوسخ ملطخا كسف نوره بذاك اللطخا اهـ

(فا) أي فاعلم أيضا بأن (الزهد للسالك) هو (أس) أساس (أمره) الذي يبني عليه صرحه. ومن المعلوم الضروري أن البنيان لا يصح ولا يثبت إلا على الأس (و) أي واعلم بأن ضده الذي هو (الحرص) أي على الدنيا و الرغبة فيها وفيما يتعلق فيها من حب الجاه والرياسة وغير ذلك هو (للسالك ادهى شره) أي اعظم عقبة في سبيل الرشد وأكبر مانع عن التحلي بمقامات اليقين. ويرحم الله الشيخ ابن عاشر. حيث قال رأس الخطايا هو حب العاجله. اهـ

ولهذا اشار الناظم رحمه الله محذرا من عمارة القلب بها فقال:

مَنْ سَكَنَتْ فِي قَلْبِهِ الدُّنْيَا انْقَطَعْ عَنْ رَبِّهِ وَفِي المَهَامِهِ انجَزَعْ

(من) اسم موصول بمعنى الذي أي الشخص السالك الذي(سكنت في قلبه الدنيا) أي يحبها والاطمئنان إليها والاسترسال معها (انقطع) أي يسكناها في قلبه (عن ربه) تبارك وتعالى أي عن عمارة قلبه بربه والوقوف معه في مقامات الإحسان. والراغب في الدنيا قلبه مملوء بحبها. وهو تبارك وتعالى لا يقبل الندولا الشريك. وقد تقدم قول صاحب الحكم. ما احببت شيئا إلا كانت له عبيدا وهو لا يحب أن يكون لغيره عبدا. وتقدم حديث (**من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه**) اهـ

وقوله (وفي المهامه) المهامه جمع مهمهة وهي الفلاة والقفر (وانجزع) معناه انقطع . كما في شامش الأصل بخط المؤلف. والمعنى واضح انتهى

ثم لما انهى الكلام على الزهد شرع يتكلم على التوكل فقال:

فصـــــل في التوكل

أي فيما يجب على المكلف السـالك مـن التوكـل علـى ا لله سبحانه وتعـالى في جميع أموره الدنياوية والأخراويـة والتوكـل علـى مـا قـال الأكـثر مـن أهـل التصـرف وغيرهم ورجحه المتاخرون. هو الثقة بأن حصول المطلوب وأن فعل سببه ليـس إلامـن ا لله عز وجل. فاتخاذ الأسباب من حرفة وتحصن وتداوٍ وادخـار وغيرهـا ليـس بمنـاف للتوكل وإنما اتخذت جريا على عادة ا لله عز وجل في ربط الأسباب بمسـبباتها وقـد لا يحصل. ولذا عده المصنف من شروط الإيمان فقال:

فَشَـرْطُ الايمَـانِ التَّـوَكُّلُ عَلَى　　　مُـدَبِّرِ الخَلْقِ القَوِيِّ ذِيْ العَـلاَ

أخبر رحمه ا لله بأن التوكل على ا لله تعـالى مـن شـروط الايمـان فقـال (فشـرط الايمـان) أي التصديق بوحدانيـة ا لله تعـالى وقدرتـه وتدبـيره مـور عبـاده وقيامـه بمصـالحهم. وكفالتـه بحوائجهـم. وضمانتـه لأرزاقهـم بقولـه تعـالى: ﴿ **وفي السـماء رزقكـم**﴾(1) ﴿ **إن ا لله هـو الـرزاق ذو القـوة المتـين**﴾ (2)﴿**ومـا مـن دابـة في الارض إلا على ا لله رزقها**﴾ (3) إلى غير ذلك أي فشرط التصديق بما ذكـر (التوكـل على مدبر الخلق) أي خالق الخلق وهو ا لله سبحانه وتعالى المدبـر لامورهـم كمـا قـال تعالى: ﴿ **يدبر الأمر من السماء إلى الارض**﴾ (4) الآية وقولـه (القـوي) يشـير بـه إلى قوله تعالى بعد أن قال ﴿**إن ا لله هو الرزاق**﴾ لا غيره أي وهو تعالى (ذو القوة المتـين) وقوله (ذي) أي صاحب (العلا) أي العلو والعظمة اهـ ثم قال :

مَـنْ لَـمْ يَكُـنْ لَـهُ بِهِ حَظٌّ أُهِينْ　　　لأَنَّـهُ مِـنْ بَيْـنِ قَـرْنِهِ مَهِينْ

1- سورة الذاريات الآية: 23.　2- سورة الذاريات الآية: 58.

3- سورة هود الآية: 06.　4- سورة السجدة الآية: 05.

(من لم يكن لديه) أي بالتوكل على الله تعالى (حظ) أي قسم وتعلق (أهين) من الاهانة حيث يبذل نفسه ويهينه في الطمع والتملق إلى الخلق. وظنه با لله الظنون بما يصيبه من القنوط واليأس من رحمة الله . وذلك (لأنه) أي من لم يتوكل على الله تعالى ويعلم أن الرزق من عنده وأنه لايصيبه إلا ما قدر له يتعلق قلبه بالطمع في الناس وإذا طمع فيهم صارمهانا عندهم كما قال (بين قرنه مهين) أي يصير بين أقرانه وزملائه مهين أي حقير. و لله در من قال:

ماعتاض باذل وجهه بسؤاله — عوضا ولونال الغنى بسؤال

وإذا السؤال مع النوال وزنته — رجح السؤال وخف كل نوال

فاذا ابتليت ببذل وجهك سائلا — فعليك بالمتكرم المتعالي

والقائل

لاتسألن بني آدم حاجة — وسل الذي أبوابه لا تغلق

الله يغضب إن تركت سؤاله — وبني آدم حين يسأل يغضب اهـ

ثم قال

مَنْ لَمْ يَفَوِّضْ أَمْرَهُ لِلقَادِرِ — ضَعُفَ عَنْ عَدُوِّهِ المُبَادِرُ

وَخَانَهُ الصَّلَاحُ وَ الإِصْلَاحُ — وَالرُّشْدُ وَالأَنْوَارُ وَ الفَلَاحُ

(من) اسم موصول بمعنى الذي (لم) حرف نفي وجزم وقلب(يفوض) فعل مضارع مجزوم بلم (امره) مفعول به. والمعنى أي الذي لم يفوض أمره إلى الله الذي بيده كل شيء وإليه يرجع الأمر كله (للقادر) أي على إصلاح إمره وإدرار رزقه (ضعف) أي عن محاربة (عدوه) أي الشيطان (المبادر) لإضلاله وإفساد عقيدته وثقته بربه. القاعد له بالمرصاد إبرارًا لقسمه قال ﴿ **فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك**

السيد: مناهج العربية إمام مدرس

المستقيم ﴾(1) وقال﴿ **ربي بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين**﴾ (2) (و) أي وزين له سوء أفعاله من اتكاله على صنعته وقوته فـ (خانه) أي بتزويقه وتسويله وغروره (الصلاح والاصلاح) وتركه مع نفسه معتمدا على تدبيره وحرفته (و) أي وخانه كذلك (الرشد) أي الاهتداء الى الطريق المستقيم وتفويض الأمر إلى الله القادر على اهتدائه وإصلاح أمره. (و) أي وخانه كذلك أسباب (الأنوار) التي تردعلى القلب من حضرة الملك الغفار. بواسطة الملائكة الكرام حيث ملاء قلبه بالكلاب النابحة من أمراض القلوب التي منها عدم تفويض الأمر الى الله تبارك وتعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم (**الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلبا ولا صورة**) (و) أي وخانه كذلك أسباب (الفلاح) حيث أغراه بحزبه وصده عن حزب الله وقد قال تعالى :﴿ **ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ (3) ﴿**قد افلح المومنون**﴾ الآيات ولما تكلم على تفويض الأمر إلى الله تعالى الذي هو محض التوكل عليه وكان ربما يتوهم القارىء أو السامع أن التوكل هو ترك الأسباب نفي ذلك التوهم بقوله:

لَيْسَ التَّوَكّلُ مُنَافٍ لِلسَّبَبْ بَلْ عِنْدَهُ كُنْ مُتَوَكّلاً تُهَبْ

ليس حرف نفي أي التوكل على الله تعالى ليس مناف أي أي مضاد للسبب. (بل) حرف اضراب(عنده) أي السبب (كن متوكلا) أي اعمل وتحرف وفي حال عملك كن متوكلا على الله بعملك انه لا يكون في ملكه الا ما قدره وأراده فهو بتارك وتعالى المتكفل بارزقانا وهو الذي اقامنا في الاسباب. ودلنا على ذلك بقوله تعالى لسيدتنا مريم عليها السلام ﴿**وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا**﴾ (1) وقال الشاعر:

1- سورة الأعراف الآية: 17. 2- سورة الحجر الآية: 39.

3- سورة المجادلة الآية:22. 4- سورة مريم الآية: 25.

ألـم تـر أن الله أوحـــى لمريـــم وهزي إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنـى الجذع من غيرهزه ولـــكنه لكـل شـيء لـه سبـب

وقوله (تهـب) أي إذا كنـت قائمـا بالاسباب . متيقنـا بـأن الـرزق مـن الملـك الوهاب فان عدوك يهبك ويخاف منـك ولا يبقـى لــه في قلبـك محلا لقـراره حيث احرقته بنور التوكــل على الله. فتنبـــه.اهـ

ـ تتـــمة ـ اعلم بأن التوكل على الله ينتظم من علم. وحال. وعمل فالعلم تيقـن أن لافاعل إلا الله. والحال ما ينشأ عنه من اتكالك في جميع أمورك عليه وثقة قلبك به واطمئنان نفسك بالتفويض إليه المثمر للإخلاص في الاعمال والدوام عليهـا. ومـن ثـم كان التوكل أساس كل خير كما في النصيحة. قال ابن زكري في شـرحها لأنـه مبـني على استحضار التوحيد الحقيقي بشهود ان لا فاعل الا الله ومقتضى هذا الشهود عدم الإعتماد على الأعمال والركون اليها. انظـره. وفي التنـزيل **﴿ومـن يتوكـل علـى الله فهو حسبه﴾** (1) **﴿والله يحب المتوكلين﴾** (2) ومن كـــان الله حسـبه وكـافيـه ومحبـه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم. فـان المحبـوب لا يعـذب ولا يبعـد ولا يحجـب. وقـال تعالى: **﴿وعلـى الله فتوكلـوا إن كنتـم مومنـين﴾**(3) ويفهـم مـن تقديـم المعمـول ان التوكل من خواص الالوهية فلا يجوز ان يقال توكلت على الله وعلى فلان اوثم علـى فلان. وقد علم مما تقدم امران. الاول انه لا يشترط في تحقيـق التوكـل تـرك الاسباب وهو كذلك لأن الكتاب والسنة محشوان باثباتها قال الله تعالى: **﴿وهزي اليـك بجذ ع النخلة﴾** الاية. وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم ظـاهر بـين درعـين يـوم أحـد. وأكـل القثاء بالرطب وقـــال هذا يدفع ضرر هذا. وتداوى غير مرة من العقرب. وقد صنـف الحافظ ابو بكر ابـن السنـى والحافـظ أبـو نعيم الاصفهاني في طبياته صلى الله عليه

1- سورة الطلاق الآية: 03. 2- سورة آل عمران الآية: 159.

3- سورة المائدة الآية: 23.

وسلم. وفي التنوير لا ينكر الأسباب إلا جاهل أو عبد عن الله غافل و لم يبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعى الناس الى الله امرهم بالخروج عن الأسباب ولكن أقرهم على ما يرضاه الله منهم ودعاهم إلى وجوه الهدى. اهـ (الثاني) إن الأسباب لا تخرج عن رابعة جلب نافع مفقود عنده الكسب. أوحفظ نافع موجود عنده كالإدخار. أودفع ضرر لم ينزل به كدفع الصائل والسارق. اوازالة ضرر نزل به كالتداوي من المرض. والأول من هذه الأربعة إما مقطوع به كالأسباب المرتبطة بالمسببات ارتباطا مطردا كالأكل لدفع الجوع واللباس لدفع البرد فهذا لا يجوز تركه كما في الاحياء. وأما مظنون كالتجارة وطلب المعاش وشبه ذلك فهذا لا يقدح فعله في التوكل فان التوكل من أعمال القلب لامن أعمال البدن و يجوز تركه لمن قوي على ذلك. وإما موهوم بعيد كالاستقضاء في طلب المعيشة واستعمال الحيل في ذلك فهذا يقدح في التوكل اهـ من ابن حمدون اهـ ولما انهى الكلام على التوكل اتبعه بالتسليم والاستسلام اللذين هما من أنواع التوكل فقال:

فصل في التسليم والإستسلام

التسليم هو تفويض الأمر الى الله تعالى وعدم الإعتراض عليه في أحكامه. والاستسلام هو ان تضع زمامك بيدما مره ونهيه. واقفا عند حدوده مستسلما لامره ونهيه كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء فقال رحمه الله مشيرا لهذا:

اِعْلَمْ بِأَنَّ لِلقُلُوبِ حَدًّا ... تَقِفُ عِنْدَهُ وَلاَ تَعَدَّى
سَلِّمْ وَلاَتَعْتَرِضَنْ بِعَقْلِكْ ... فَرُبَّمَا المَرْءُ بِعَقْلٍ يَهْلِكْ
مَادُمْتَ فِي مَجَالِ عَقْلِكَ فَزِنْ ... إِنْ اِنْتَهى قَصُرْ وَسَلِّمْ وَاسْتَبِنْ
فَمَنْ يُسَلِّمْ سَلِمَتْ عَوَاقِبُهُ ... مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ كَثُرَتْ مَعَاطِبُه

أي (أعلم) أيها السالك (بأن قلوب حدا تقف عنده) هو التسليم لأحكام الله تعالى (ولاتعدي) أي ذلك الحد أي بالتعرض لأحكامه تعالى ولهذا أرشد رحمه الله

بقوله (سلم ولاتعترض بعقلك) أي لان العقل دون الأحكام الشرعية ففي صحيح البخاري (ان السنن ووجوه الحق لتأتي على خلاف الرأي كثيرا و لم يجد المسلمون بدا من اتباعهما) ونيه (اتهموا رأيكم فإناكنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدبية ولو نرى قتالا لقاتلنا الخ أو كما قال الراوي اهـ ثم حذر من تحكيم العقل فقال(فربما) رب هنا للتكثير وما كافة لعملها (المرء) أي الشخص بعقل أي باتباع ما امره به عقله من الاعتراض عن السنة (يهلك) أي يسبب ذلك الإعتراض وهذا من الضروريالبديهي ولذا قال (مادمت) أيها السالك (في مجال عقلك) أي في جولانه وتفكيره في الامور (فزن) أي ما يطرأ على قبلك من فعل او ترك كما قال الشيخ ابن عاشر. ويزن الخاطر بالقسطاس. ثم (ان انتهى) أي نهاك ذلك الوزن على لسان الشرع فـ (قصر) أي انته من ارتكابه (و) أي وبعد ما تمثل ما نهاك عنه الشرع بالترك له فـ (سلم) أي بحيث لا يبقى في قلبك حرج ولا ضيق لتكون كامل الايمان قال تعالى :﴿ **فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾ (1) (واستبن) أي تثبت كما قال تعالى:﴿ **ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا** ﴾(2) فتبينوا ان تثبتوا اهـ ثم قال (فمن سلم) أي أمره الى الله ويضع زمامه بيد الشرع (سلمت عواقبه) أي مما في طريقه التي يسلكها الى الله تعالى من المهالك اهـ واما (من لم يسلم) امره وتدبيره إلى الله وبقي مع نفسه مقيدا بقيود حجابها (كثرت معاطبه) أي مهالكه اي مما يعرض له في طريقه من الظلمات والعقبات والافاعي والحيات والعقارب وغير ذلك وهذا والعباد بالله ممن اضله الله عن طريق الرشاد عدلا منه تعالى اهـ

ثم أشار إلى من تفضل عليه جل وعلا وهداه إلى الطريق المستقيم بقوله:

1- سورة النساء الآية: 65. 2- سورة الحجرات الآية: 06.

وَإنْ أَرَادَ ا للهُ بِـالعِبْـدِ النَّـــدَا   وَأُهِّـلَ العَبْـدُ لِحَضْـرَةِ النَّدَا

رَشَّ عَلَيْـهِ نُـورَهُ فَسَلَّمــــاَ   مُسْتَسْلِمًـا فَـأَدْرَكَ العَبْدُ النَّمَا

(و) أي و(إن أراد ا لله بالعبد الندا) أي العطاء من فضله تعالى وإحسانه (واهل) أي صلح (العبد) بان قطع المقامات حتى وصل (لحضرة الندا) أي نداء ا لله تعالى ﴿**وا لله يدعوا إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾ (1) دار السلام أي السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الايمان(ويهدي من يشاء) هدايته (إلى صراط مستقيم) دين الاسلام قاله ذوالجلالين اهـ

ويصح أن يقصد بالنداء نداء داعي ا لله وهو رسوله المصطفى سيدنا محمد صلى ا لله عليه وسلم. مقتبس مما قصّ ا لله تعالى في القرآن الكريم من قول جن نصيبي ﴿**وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن**﴾ (2) إلى قوله تعالى ﴿**ياقومنا أجيبوا داعي ا لله وءامنوا به يغفركم من ذنوبكم**﴾(3) اهـ فإذا أجاب العبد الندا وأهل لوصول الحضرة الإلهية وإذا وصلها استحق الندا أي العطا فـ (رش) ا لله تبارك وتعالى (عليه) على العبد (نوره) الرباني الذي لا يُنال بالحول ولا بالقوة بل بفضله تعالى يعطيه لمن يشاء وذلك النور هو المعنى بقوله تعالى:﴿ **ومن لم يجعل ا لله له نورا فماله من نور**﴾ (4) (فـ) أي فاذا وصل الحضرة الاهية ورش عليه تبارك وتعالى نوره (سلما) اليه جميع اموره حال كونه (مستسلما) أي منقادا بزمام الشرع عند الامر والنهي من غير اختيار منه ولا تردد (فا) أي فاذا انقاد بزمام الشرع فقد (أدرك النما) أي الزيادة أي من الأنوار والمواهب اللدنيه. قال تعالى:﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ (5) انتهى وا لله سبحانه وتعالى اعلم. ولما انهى الكلام على التسليم والإستسلام شرع يتكلم على الرضا الذي هو نوع من التسليم أو التسليم بعينه فقال:

1- سورة يونس الآية: 65.   2- سورة الأحقاف الآية: 29.

3- سور الأحقاف الآية: 31.   4- سورة النور الآية: 40.

5- سورة يونس الآية: 66.

فصـــل في الرضا عن الله

الرضا عن الله هو طيب النفس لقضائه كما في الإحياء. وقال القشيري قد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال او من المقامات. فاهل خرسان قالوا من المقامات وهو نهاية التوكل ومعناه يَؤَوَّلُ إلى انه مما يتوصل اليه العبد باكتسابه. وقال العراقيون هو من جملة الأحوال وليس ذلك كسب للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال وليست بمكتسبة. اهـ قاله ابن حمدون ثم قال:

رِضَاكَ عَنْ رَبِّكَ يُرْضِيهِ وَمَا — لَمْ تَرْضَ لَمْ يَرْضَ فَارِضِ الْمُنْعِمَا

إِنَّ الرِّضَا دَرَجَةٌ هَبَّ عَلَى — صَاحِبِهَا نَسِيمُ فَتْحٍ قَدْ جَلاَ

إِذْ غَيْبُهُ صَارَ شَهَادَةً وَمَا — عَقَلَ مَحْسُوسًا فَخُذْهُ مَغْنَمَا

أخبر رضي الله عنه بان (رضاك عن ربك) أي بطيب نفسك لقضائه (يرضيه) عنك (وما) أي ومادمت متسخطا لقضائه (ولم ترض) أي بأحكامه وما قدره عليك (لم يرض) عنك وعليه (فارض المنعما) أي بشكر نعائمه والرضا بقضائه والتسليم لأحكامه أداء للواجب وطلبا للمزيد من النعم قال تعالى:﴿ **ولئن شكرتم لأزيدنكم**﴾(1) ولهذا يشير النّاظم بقوله (ان الرضا درجة) أي عظيمة يمنحها الله من يشاء من عباده واذا منحه درجة الرضا (هب على صاحبها نسيم فتح) من الله تبارك وتعالى (قد جلا) أي علا على القلب وظهر على الجوارح بانقيادها لما يرضي الله تعالى مختارة. قال سيدي محمد بن سعيد البوصيري رحمه الله(واذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الاعضاء) وذلك (إذ) من عليه تبارك وتعالى و(غيبه) في رضاه وفي نسيم ذلك الفتح عن غيره واذا غيبه عن غيره (صار) ذلك الغيب (شهادة) أي حضور(و) أي وصار(ماعقل) غي تلك الحضرة والشهود (محسوسا) أي بصرا

1- سورة ابراهيم الآية: 07.

وبصيرة (فـ) أي فاذا غيبك عما سواه وفتح لك نسيم رضاه (خذه) حال كون ذلـك الفتح (مغنما) أي غنيمة اهـ ـ **تنبيهـــان** ـ الأول اهل الرضا تارة يعطيهم الحق من المعرفة والتعظيم ما يغيبون به عن البلوى ولا يحسون وتارة يعطيهم مع الاحساس بها من السرور بموافقة إرادة مولاهم ما يتلاشى الالم في جنبهم فيكون الجسم متوجعا في قبضة المصائب أسيرا.

والقلب عند الله فرحا بحلول البلا مسرورا. فهم في نعيم معجل لزوال الضيق والحرج من قلوبهم. بمشاهدة الافعال من محبوبهم فهؤلاء الصنف قلوبهـم عند الله لا عندهم ولو كان قلوبهم عندهم ما حملوا البلـوى. ولا قطعوا الشكوى. ولا وجدوا ارادة المولى. وفي الحكم النعيم و أن تنوعت مظاهره فانما هو بشهوده واقترابـه. والعذاب وان تنوعت مظاهره فانما هو بوجود حجابهم. وقال الشاعر:

الوصل ان سكن الجحيم تحولت ... نـار الجحيـم على العبيد نعيما

والهجر ان سكن الجنانة حـولت ... دار النعيم علـى العبيـد جحيما اهـ

(الثاني) الرضا بالمعنى المتقدم من العزيز الوجـود إذا هـو ثمرة قـوة الايمان ولا يحصل إلا من الاولياء وخاصة عباد الله، وأما الرضا بـالمعنى الاعـم فهو قـدر واجب على المكلفين كلهم وهو يسير على كل احد ولا خصوصيـة فيه لأهـل الـذوق. اهـ كما في ابن حمدون اهـ

ولما انهى الكلام على الرضا شرع يتكلـم علـى المحبـة التي هـي الاصـل لجميع المقامات. فقال:

فصـــــل في المحبة

أي لله سبحانه و تعالى. فان المحبة لم تجتمع على غايـة الكمـال الا في حـق الله تعالى. فلا يستحق المحبة بالحقيقة الا الله . وقال في الاحياء المحبة لله تعـالى هـي الغايـة القصوى من المقامات. والذروة العليا من الدرجـات. فمـا بعـد ادراك المحبـة لله تعـالى

مقام الا وهو ثمرة من ثمارها. وتابع من توابعها. كالشوق والأنس والرضا واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا هو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد وغيرها اهـ
والى هذا يشير الناظم بقوله:

إِنَّ الْمَحَبَّةَ مَقَامٌ قَدْ سَمَى عَلَى مَقَامَاتِ الْيَقِينِ وَاسْتَمَى
لِأَنَّهُ كَالرُّوحِ لِلْمَقَامَاتْ دَقَّتْ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْعَلَامَاتْ
وَكَلَّ مِنْ تَعْبِيرِهَا اللِّسَانُ وَكَعَّ عَنْ فُهُومِهَا الْجَنَانُ
يَفْهَمُ ذَاكَ الْمَرْجَ مَنْ قَدْ دَخَلَهْ وَزَهْرَ زَهْوِ رَوْضِهِ تَخَلَّلَهْ

أخبر رحمه الله بـ (ان المحبة) أي لله تعالى على الوجه الأكمل هي (مقام) عالي بل اصل المقامات كما تقدم (قد سمى) أي ارتفع (على مقامات اليقين) التي تقدم بعضها والتي اشار اليها الشيخ ابن عاشر بقوله (ويتحلى بمقامات اليقين) البيتين وقوله (واستمى) عطف تفسير او بيان. تتميما للبيت وزيادة ايضاح لعلو شأن المحبة. ثم شبه مقام المحبة بالنسبة للمقامات بقوله(لانه) أي مقام المحبة (كالروح للمقامات) أي والمقامات جسد ومن المعلوم الضروري ان لا حياة للجسد بلا روح وكما ان تعلق الروح بالجسد مما يصعب الاستدلال عليه. لقوله تعالى ﴿**ويسئلونك عن الروح**﴾(1) كذلك يصعب الاستدلال على أن المحبة هي روح المقامات وعلى قيام الدليل على علاماتها ولذا قال رضي الله عنه (دقت) أي دق فهمها (عن) قيام (الدليل) عليها (و) أي وعن (العلامات) أي التي يهتدي بها السائر في طلبها وذلك حيث لم تجتمع على غاية الكمال الا في حق الله تعالى الخ ما تقدم . (و) أي وحيث كانت المحبة بهذه الثابة (كَلّ) أي عيي (من) بمعنى عن أي عن (تعبيرها) أي بيان وصفها على الوجه الأكمل (اللسان). (و) أي وكما كل اللسان عن تعبيرها كذلك (كع) أي قصر (عن) إدراك (فهومها الجنان) أي القلب أي القصيرالذي لم يعم بحرها وإنما (يفهم ذاك

1- سورة الإسراء الآية : 85.

المرج) أي تلاطم امواج بحر المحبة (من) أي الذي (قد) حرف تحقيق (دخله) أي ذلك المرج بالاخلاص و الشوق وعام فيه مع المحبين المخلصين (و) أي ويفهم (زهر) أي نوار (زهو روضه) أي بستانه الذي يفجي عن القلب الاحزان. ويتنعم البصر بالنظر إلى تلك الازهار. قال الشاعر:

ثلاثة تنجي عن القلب الحزن   الماء والخضرة والوجه الحسن

واذا كانت الثلاثة المذكورة في هذا البيت تفجي عن القلب الحزن. فما بالك اذا انضاف لها ما هو افضل منها واحسن. من نغمات الاصوات الحسنة بتلاوة كتاب الله. وحلقات الذكر والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله. والداخل لتلك الروضة (تخلله) من ذلك الزهو في تلك الحضرة الربانية ما غيبه عن حسه. فافهم اهـ ثم لما اخبر عن مقام المحبة وانه يكل اللسان عن وصفها ويعيا القلب عن ادراك فهمها استدرك بانه يمكن التعبير عنها على التقريب فقال :

لَكِنْ عَلَى التَّقْرِيبِ عَنْهَا عَبَّرَا   ثُمَّ اسْتَدَلَّ ذُو المَقَامِ عِبَرَا

وَغَيْرُهُ يَحُومُ حَوْلَ البَابِ   بِسَبْسَبِ الأَفْكَارِ وَالأَلْبَابِ

لكن على التقريب. لا على التحقيق (عنها) أي عن المحبة (عبرا) أي الداخل لتلك الحضرة (ثم استدل ذو المقام) أي صاحب المقام اي الذي بلغ مقام المحبة (عبرا) أي بعبارت واشارات ظهرت له من ذلك المقام اهـ واما (غيره) ممن لم يبلغ مقام المحبة فانه (يحوم) أي يدور (حول) أي وراء (الباب) أي (بسبسب) أي بهواجس (الافكار) أي التي يدخل بها من الباب (و) أي وخواطر (الالباب) أي العقول وذلك لان العقل دون المقام فلا يفهمه إلا من دخل من الباب لحضرة رب الارباب. كما قال الناظم. يفهم ذاك المرج من قد دخله. اهـ ثم قال :

إِنْ لَمْ تَرَ الهِلاَلَ سَلِّمْ لأُنَاسْ   رَأَوْهُ بِالأَبْصَارِ مِنْ دُونِ التِبَاسْ

مَاكَانَ بَعْدَ ذَا المَقَامِ العَالِي   إِلاَّ اصْطِفَاءُ الرَّبِّ ذِي الجَلاَلِ

لأنَّــــهُ عَــرَفَهُ فَـــأُعْتِـــــقَا　　　　مِــنْ رِقِّ الأغْيَارِ بِمَا قَدْ حَقَّقَـا

بِحَضْـــرَةِ الشُّهُـــودِ وَالتَّقْدِيسِ　　　　أَلْقَـى عَصَا التَّسْيَار لِـلْمَشْهُودِ

لأَنَّــــهُ مَحَـــطُّ كُـــلِّ العَارِفِـــينَ　　　　وَغَايَـــــةُ السَّفَرِ لِلمُسَافِرِينَ

(إن لم تر الهلال) أي إذا لم تر الهلال لضر ببصرك او عمى فلا تقل لم ير الهلال بل (سلم لأناس رأوه بالأبصار) الصحيحة السالمة من الضر والعمى وتلك الرؤية حاصلة لهم (من دون التباس) أي من دون شك او تردد. وهذا مقتبس من قول الشاعر:

اذا لـــم تــر الهـــلال فسلـــم　　　　لأنـــاس رأوه بـــالابصـــــار

وذلك لانه (ماكان بعد ذا المقام العالي) أي الذي هو مقام المحبة (الا اصطفاء الرب ذي الجلال) سبحانه وتعالى والمعنى والله اعلم انه لا يبلغ ذلك المقام العالي الا من اصطفاه واجتباه تعالى لمحبته وحضرة قربه كما قال الشيخ ابن عاشر. فحبه الاله واصطفاه لحضرة القدس واجتباه. وما اختاره لحضرة قربه الا (لانه عرفه) به المعرفة الكاملة لاتصافه بالاوصاف المذكورة لان العبد اذا تخلى في ظاهره وباطنه عن الرذائل وتحلى فيهما بالفضائل فقد توصل الى تخليص قلبه عن غير الله . وتحليته بذكره عز وجل وذلك هو حاصل علم الصوفية كما قاله الغزالي. نقله ابن حمدون. وفي الحديث القدسي ما نصه: ﴿ كنت كنزا لم اعرف فاحببت ان اعرف فخلقت خلقا في عرفوني﴾ واذا عرف العبد ربه حق المعرفة صار حرا كما قال الشيخ ابن عاشر. يصير عند ذاك عارفا به. حرا وغيره خلا من قلبه ولذا قال المصنف (فاعتقا) أي تحررا من رق الاغيار بخلو قلبه عن محبة غيره تعالى اذ لو تعلق قلبه بمحبة غيره لكان رقا لذلك الغير وكأنه يشير الى قول الامام العارف ابن عطاء الله رضي الله عنه: ما احببت شيئا الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون لغيره عبدا. وقال ايضا قبل هذا انت حر مما انت عنه آيس وعبد لما انت له طامع ولذا قال الناظم (من رق الاغيار بما قد حققا) من المقامات لعين اليقين. وذلك الاصطفاء حاصل (بحضرة الشهود) أي لله تعالى

(والتقديس) أي التنزيه له تعالى عما لا يليق بكماله. قال في الاحياء محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل عنه والمعاصي وتطهير باطنه من كدرات الدنيا وبرفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه وارادته ذلك به في الازل قال فحبه لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الازلية التي اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب. واذا اضيف الى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلبه عبده فهو حادث يحدث بحدوث السبب والمقتضي له. قال ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون لقربه بالنوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطف به فهو معنى حبه له اهـ واذا وصل الى حضرة الشهود التي هي الغاية القصوى (ألقى عصا التسيار) التي كانت يتوكأ عليها في طريقه (للمشهود) أي لأجل الوصول إلى (المشهود) أي الذي هو الله تعالى وذلك (لانه محط كل العارفين) أي غاية محط نظر العارفين لله تعالى (و) أي وهو (غاية السفر) أي انتهاؤه (للمسافرين) حيث لا مقام يعلو السالك فوق ذلك المقام اهـ ثم أشار يرشد السالك إلى تصحيح البدايات التي عليها ينى تصحيح النهايات فقال:

فَمَنْ أَرَادَ الصَّفْوَ فِي النِّهَايَه فَلْيَبْدَأَنْ بِالصَّفْوِ فِي البِدَايَه
فَإِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ ثُمَّ خُلُوصُهَا عَنِ الشَّوْبَاتِ
مَا كَانَ ثَمَّ غَيْرُ عَوْنِ اللهِ فَلْتَسْتَعِنْ بِهِ عَلَى المَلَاهِي

أي في نهاية وصوله إلى حضرة الشهود المشار اليها (فليبدأن بالصفو) أي بالإخلاص في الأعمال كما أمر تعالى:﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء**﴾(1) . إذ الإخلاص هو صفاء القلب من الأغيار بأن يكون مقصوده بالعمل وجه الله تعالى. قاله الصاوي اهـ (في البداية) أي في ابتداء سلوكه في طريق القوم. ثم استدل على ذلك بحديث:﴿ **فإنما الأعمال بالنيات**﴾ فهذا الحديث أصل في

1- سورة البينة الآية : 05

الأعمال كلها ولذا بدأ به البخاري كتابه وهو من سماع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:(**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرء ما نوى)** اهـ أي فلا يصح قول ولا عمل إلا بالنية ولا يصح قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة. كما قال ابن ابي يزيد ونذا قال الناظم (ثم خلوصها من الشوائب) أي تصفيتها عن الشوائب.أي شوائب الذنوب كالرياء والعجب والكبر وما الى ذلك من حب المدح وغيره. وإذا علمت هذا فاعلم أنه (ماكان ثمَّ) أي في جميع المقامات و الأحوال (غير) حرف استثناء بمعنى إلا (عون الله) تعالى فمن لم يصاحبه العون من الله كان سعيه عليه عناء كما قيل.

اذا كان عون الله للمرء ناصرا	تهيأ له من كل صعب مراده
وان لم يكن عون من الله للفتى	فاكثر ما يجني عليه اجتهاده

وعليه (فلتستعن) ايها السالك في جميع ما تطلبه وتقصده به تعالى (على الملاهي) أي التي تلهيك عنه وتحجبك عن قربه اهـ والله اعلم ((تتمة)) اخلاص المحبين هو العمل شكرا ومحبة واجلالا وتعظيما لانه تعالى اهل لان يعبد ولو لم يكن ثواب ولا عقاب وممن أقيم في هذا المقام رابعة رضي الله عنها ومن كلامها في ذلك

أحبك حبين حب الهوى	وحب لانك أهل لذاك
فاما الذي هو حب الهوى	فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك لي الحجب حتى اراك
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي	ولكن لك الحمد في ذا وذاك اهـ

وقال آخر:

كلهم يعبدون من خوف نار	ويرون النجاة حظا جزيلا
أو بان يدخلوا الجنان فيضحوا	في رياض ويشربوا السلسبيلا
ليس لي في الجنان والنار رأي	انا لا أبتغي بحب بديلا اهـ

وقال ابن الفارض :

ليس سؤالي من الجنان نعيما   غير اني اريدها لأراكا اهـ

وأما اخلاص الموحدين فهو شهود العمل من الله لا من النفس وانه تعالى المنفرد بتحريك عبده وتسكينه من غير حول ولا قوة. وهذا من التحقيق بمعنى قوله (وأياك نستعين) أي لا نستعين إلا بك لا بأنفسنا وحولنا وقوتنا. قال بعض المشائخ صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالتبري من الحول والقوة فصاحب هذا المقام يرى أن أعماله القولية والفعلية من باب ثنائه تعالى على نفسه بنفسه. وإن نسبه ذلك الى العبد عناية به. اذا اراد ان يظهر فضله عليك خلق ونسب اليك. اهـ كما في ابن حمدون اهـ ثم لما انهى الكلام على المحبة شرع يتكلم على طلب العذر وقبوله فقال:

فصل في الاعتذار لذوي الالباب

أي فيما ينبغي لكل مصنف من طلب الاعتذار لذوي الألباب أي العقول الكاملة لأنهم هم الذين يقبلون العذر و يسدوا الخلل. ففيما يجب من قبول العذر على المومن لأخيه المومن إذا أتاه معتذرا لورود أحاديث صحاح ولكثرة ثوابه وإلى ذلك أشار بعضهم بقوله:

إذا اعتذر الصديق اليك يوما   تجاوز عن مساويه الكثيرة

فإن الشافعي روى حديثا   بإسناد صحيح عن المغيرة

عن المختار إن الله يمحو   بعذر واحد الفي كبيرة اهـ

وقال غيره:

اقبل معاذر من اتاك معتذرا   ان بر في قوله عندك او فجرا

فقد اجلك من يرضيك ظاهره   وقد اطاعك من يعصيك مستترا

ثم قال واضعا لنفسه كعادة امثالهم الصديقين رضي الله عنه ونفعنا ببركاته آمين:

فَـلاَ تَظُــنَّ يَـا أَخِي بِيَ الوُصُولْ   إِلَـى فِنَا هَذَا المَـــقَام بِالمَقُولْ
فَضلاً عَـــن الوُصُـــول لِلمَقَـام   فَضْـلاً عَن الذَّوْق لِشُهْدِ السَّامِي

(فلا تظن) ايها القارء لنظم هـذا (ياأخي الوصـول الى فنـا) أي رحـاب (هـذا المقام) أي مقام ساداتي الصوفية اهل المحبة الكاملة (بالمقول) أي الذي قلته (فضلا عـن الوصول للمقام) اي مقام المحبة الذي هو الغاية القصوى (فضلا عن الذوق) أي لذلـك (الشهد السامي) أي العالي ويعني بالشهد المعرفة. اشارة لما قالـه الشيخ زروق رضي الله عنه حقيقة المعرفة هي سيران العلم بجلائـل الحق او جمالـه او همـا في كليـة العبـد حتى لا يبقى له من نفسه بقية فيشهد كل شيء منه وبه فلا يبقى بوجـود شـيء نسبة عنده دونه اهـ ولاصحاب المعرفة في الدنيا الحياة الطيبـة والتنعم في الجنة المعجلة وهي جنة المعرفة اذ فيها انواع الملاذي والفـرح والسـرور مـا لم يعرفـه ولم يذقـه اهـل الدنيا وتقدم قول ابراهيم ابن ادهم. والله لو علم الملوك مـا نحن عليـه لجالدونـا عليه بالسيوف. وقال مالك ابن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا اطيـب شـيء منها قيل وما هو قال المعرفة اهـ ابن حمدون اهـ ثم قال:

فَإِنَّمَـــا كُنْـــتُ أُذَاكِـــرُ بِـــمَا   رَوَاهُ عَـــنْ ذَوِيـــهِ غُـرُّ العُلَمَا
فَأَتَبَـــرَّأُ مِـــنَ الـــدَّعَـاوِي   لِمَنْ يَقِي الضَّعِيفَ مِنْ مَهَاوِي
وَأَتَنَصَّـــلُ لِنَحْـــرِير لَبِـــيبْ   مِنْ فَرْطِ جَهْلِيْ وَقُصُورِيَ أُنِيبْ

أي فلست من اهل الوصول ولا من اهل الذوق بل (فإنما كنت إذاكـر) النـاس امتثالا لقوله تعالى:﴿وذكر فان الذكرى تنفع المومنين﴾(1). الصـاوي ويؤخـذ مـن الاية إن البلاء لا ينزل لقوم وفيهم المتذكرون لما ورد أن الله تعالى يطلع على عمـار المساجد فيرفع العذاب عن مستحقيه اهـ ومن أجل هذا قال الشيخ وانما كنت إذاكر أي رغبة في النفع الحاصل لي ولمن تذكر ومـع هذا فليست ذاكرهم الا بما رواه الثقاة

1- سورة الذاريات الآية: 55.

(عن ذويه) أي اهله وهم (غر العلما) أي مشاهير العلماء الذين هم غرة لوجـه الدهر وليس لي مما قلته من شيء وعليه (فاتيراً من الدعاوي) أي من ادعـاء القـول والحـول والقوة (لمن) له الحول و القوة سبحانه وتعـالى لا حـول ولا قـوة إلا بـه وهـو تبارك وتعالى الذي (يقِي الضعيف) أي ينجيه ويحفظه مـن السـقوط في (مهـاوي) المهلكـات والعثرات. لا منجا ولا ملجأ منه الا اليه سبحانه جلت عظمته وتعـالى جـده اهـ ثـم شرع يتكلم على ما ترجم اليه من الاعتذار لذوي الالباب فقال:

(واتنصل) أي اعتذر (لنحرير) أي لعالم جهيد ثاقب الذهن بصير حاذق (لبيب) أي لا يجفو ولاينطق بالعيب. بل يداوي العليل ويجبر المكسور ومن مثل هذا من يقبـل العذر و يقيل العثرات ويصفح عن الهفوات ويصلح ما عثر عليـه مـن الـزلات. تبع في هذا قول الشيخ خليل. ثم اعتذر لذوي الألباب الخ وقوله (من فرط جهلي) أي كـثرة جهلي (وقصوري) أي قصور فهمي أي عدم طولي داعي عن ادراك غوامض العلم

اقتفى في هذا قول سيدي محمـد ابـن اب. مـن فـرط جهـلي وقصـوري فهمـي البيت. وقوله: (انيب) أي ارجع الى ربي في جبر كسري اهـ وهذا من الشيخ وضـع لنفسه وهكذا عادة امثاله الصديقين عرفوا انفسهم بلذل والإفتقار و لم يتبثوا لهـا عمـلا ولا فضل إحسان فكانوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر اهـ

فصـــل في الخاتمة

أي خاتمة هذا النظم .اللهم اختـم آجالنـا بالخاتمـة الحسـنى لا إلـه إلا الله محمـد رسول الله صلى الله عليه وسلم آمين. قال رضي الله عنه :

هَـذَا تَمَـامُ نَظْمِ مَا قَدْ رُمْتُـهُ ... مِـنْ أَوَّلِيَّـاتٍ كَمَا قَدَّمْتُـهُ

جَـاءَ عَلَى طِبْقِ سُؤَالِ السَّائِلْ ... وَإِنْ يَزِدْ فِـي بَعْضِهَـا فَعَائِلْ

وَالحَمْـدُ للهِ عَلَـى النِّظَـام ... وَالشُّكْـرُ للهِ عَلَـى التَّـمَامِ

(هذا تمام)اي كمال (نظم ما قد رمته) أي قصدته (من اوليات) أي اوليات الفنون الثلاثة التي اشار اليها اولا وهي التوحيد. والفقه والتصوف. (كما قدمته) أي في اول النظم (جاء) أي هذا النظم بعون ا لله وقوته (على طبق) أي مراد سؤال السائل (وان يزد في بعضها) أي في هذا النظم أي شيئا على طبق ما سأله السائل في بعضها أي الفنون الثلاثة فذلك الزائد (عائل) لتمام الفائدة. مأخوذ من عول الفريضة إذا ضاقت عن أصحاب الفروض. خليل. وإن ضاقت الفروض اعيلت وهذا تشبيه بليغ. أي فكما إن أصحاب الفروض إذا زادت سهامهم حتى الفريضة لا يستوفي كل ذي حق الا بالعول. وكذلك المؤلف اذا لم تتم له الفائدة الا بالزيادة على المسؤول منه فلا بد له منها كما قال ناظم اسهل المسالك :

فربما قدمت واخرت او زدت أحكاما بها تممت اهـ

ثم لما منّ ا لله تبارك وتعالى عليه بتمام هذا النظم المبارك الميمون قال شاكرا ومحدثا بهذه النعمة الجليلة (والحمد لله على) أي على التوفيق على تمام(النظام) كما حمدته تعالى في اوله وقد تقدم معنى الحمد لغة واصطلاحا هنالك (والشكر لله على التمام) والمراد بالشكر هنا الشكر اللغوي الذي هو فعل ينبئ عن عظمة المنعم لكونه منعما الخ. والمعنى أقر وأعلن بالشكر لله المنعم علي (بالتمام) أي تمام هذا النظم اهـ ثم شرع يدعو ا لله تبارك وتعالى حيث انبسط آماله بما منّ ا لله به عليه من تمام هذا النظم البديع امتثالا لقوله تعالى:﴿**ادعوني استجب لكم**﴾ (1) رجاء لاجابة التي ظمنها ا لله تبارك وتعالى للداعي. وكما هو المطلوب عند ختم كل امر مهم. فقال:

يَاربّنَا يَامَنْ دَعَانَا لِلدُّعَا ثُمّ أَجَابَ رَحْمَةً مَنْ قَدْ دَعَا

بِذَاتكَ اللّهُمَّ وَالصِّفَاتِ لَكَ وَ بِالأَسْما الإِلَهِيَاتِ

1- سورة غافر الآية: 60.

وبِجَمِيعِ الكُتُبِ المُنَزَّلَه وبِحَبِيبِكَ العَظِيمِ المَنْزِلَه
مُحَمَّدٍ وبِجَمِيعِ الرُّسُلِ والأَنْبِيَا والأَمْلاكِ الِتِي تَلِي
وبِالأَمِينِ جِبْرَئِيلَ الفَارِسْ وَصَاحِبِ الصُّورِالكَرِيمِ الحَارِسْ
وَصَاحِبِ النَّبَاتِ والأَمْطَارِ وَصَاحِبِ الآجَالِ والأَعْمَارِ
وبِجَمِيعِ الأَصْفِيَا الصِّدِّيقِينَ وبِجَمِيعِ الأَوْلِيَا المُنِيبِينْ
والمُومِنِين وكَذَاكَ المُومِنَاتْ والمُسلِمِينَ وكَذَاكَ المُسْلِمَاتْ

(ياربنا) أي ياخالقنا ومربنا بنعمته و(يامن دعانا للدعا) بقوله تعالى:﴿ادعوني استجب لكم﴾ (ثم اجاب) أي تكفل بالاجابة للسائل (رحمة) منه وتفضلا لا وجوبا عليه تعالى (منّ) أي الذي (قد دعا) أي الذي امر بالدعاء والذي اجاب سبحانه اهـ ولما كان الدعاء مخ العبادة. قال تعالى:﴿ **قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم**﴾ (1) آخر سورة الفرقان ختم الناظم كتابه به فقال: ياربنا اسئلك واتوسل اليك (بذاتك) المنزه عن الشبيه والمثيل (اللهم) أي يا الله (و) أي واسئلك واتوسل اليك بـ (الصفات) الثابتة القديمة (لك) في الازل التي لا يعلم كنه حقيقتها الا انت (و) أي واسئلك واتوسل اليك (بالاسماء الالهيات) القديمة التي سميت بها نفسك وانزلتها في كتبك المنزلة على رسلك (و) أي واتوسل اليك (بجميع الكتب المنزلة) أي من السماء التي عددها (104)منها على سيدنا آدم (10) عشرة وعلى سيدنا شيت (50) خمسين وعلى سيدنا ادريس (30) وعلى سيدنا ابراهيم (10) والتوراة على سيدنا موسى والانجيل على سيدنا عيسى والزبور على سيدنا داوود والفرقان على سيدنا محمد صلى الله وسلم عليهم أجمعين (و) أي واسئلك واتوسل إليك (بحبيبك العظيم المنزلة) عندك سيدنا محمد الذي فضلته على سائر الخلق اجمعين وختمت به النبيئين. وهذا التفضيل مما يجب الايمان به

1- سورة الفرقان الآية: 77.

لـــورود النـص بـه في الكتـاب المبين: ﴿**تلـــك الرســل فضلنـــا بعضهـــم علـــى بعـــض**﴾(1). ﴿**ولقد فضلنا بعض النبيئين على بعض**﴾ (2) **ـ تنبيهات ـ**

الأول: أولوا العزم أي الصبر منهم عشرة اشار لهم التتائ بقوله:

محمـــد إبـراهيم موســـى كليمه ونوح وعيسى هم اولوا العزم فاعرف

وداود أيـــوب ويعقـــوب يوسف وإسحـاق ذو صبر على الذبح فاكتف

(الثاني) الوحي إلى جميعهم كان مناما الا خمسة من اولي العزم. محمد. نـــوح. ابراهيم. موسى وعيسى. عليهم الصلاة والسلام فانه اوحى اليهـم يقظـة ونومـا. وقـد انهى المواهب أنواع الوحي إلى ثلاثة عشر انظره. اهـ (الثالث) ولد منهم مختونا سبعة عشر اشار اليهم البلقيني بقوله:

وفي الرســل مختونــا لعمرك خلقة ثمـــان وتســـع طيـــون اكرام

وهم زكريا شيت ادريـس يوسف وحنظلـــة عيـــسى ويحي وآدم

ونوح شيعب سام لـــوط وصـالح سليمان هود ثم ياسين خاتـــم اهـ

وانظر قوله ثمان وتسع مع انه ذكر ستة عشر (الرابع) خص نبينا صلى الله عليه وسلم من بينهم بخصائص الاولى انه خاتم النبيئين لقوله تعالى: ﴿**ماكان محمـد ابا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين**﴾ (3) ومن لم يعتقده فهو كافر كمـا في كتـاب الـردة مـن الاشباه والنظائر وهـو ان كـان آخر النبيئين مـن حيث الوجـود الجسماني فهو أولهم من حيث الوجود الروحاني وفي ذلـك يقـول ابـن الفـارض على لسانه:

وانـــي وان كنـــت ابن آدم صورة علـــى فيـــه معنـــى شاهد بالأبوة

1- سورة البقرة الآية: 253.

2- سورة الإسراء الآية: 55.

3- سورة الأحزاب الآية: 40.

بل تقول هو اصل الكائنات كلها والسبب في وجودها كما وقع التصريح بذلك في عدة أحاديث والكلام في ذلك مبسوط في شرح عقودة الفاتحة للوالد. وفي كونه خاتم النبيئين فوائد منها دوام شريعته. وعدم نسخها الى قيام الساعة. ومنها ان لايطلع على مساوي امته غيرهم بل اطلعواهم على مساوي الامم وما نزل بهم من المثلات ببغيهم فكانت امة متعظين لا متعظ بهم شهداء على الناس لا مشهودا عليهم بل اظهر الله سبحانه محاسنهم لمن قبلهم وستر مساويهم ونوه بهم لديهم. حتى تمنى موسى أن يكون منهم ومنها أن يكون أشفق عليهم وأرحم وأنصح لعلمه إنه لا يتولاهم غيره بعده. (الثانية) عموم بعثته للثقلين اجماعا لاندراجهما في آيتي **﴿وأوحي إلى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ﴾** (1) أي بلغه القرآن **﴿نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾** (2) اهـ بخ (الثالثة) لأنه أفضل العالمين من الأنبياء والرسل والملائكة اجماعا حكاه الفخر وغيره. واستثنوه من الخلاف في تفضيل الرسل على الملائكة والعكس. قال السنوسي في شرح الوسطي مما يدل على مزيد فضله كون الشفعات والكلام له في الموقف الأعظم دون جميع ما سوى الله أطال في ذلك وفي التنزيل (ورفع بعضهم فوق بعض درجات) اتفقوا على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وفي ابهامه تفخيم عظيم لدلالته على انه لا يسبق للفهم غيره لانه العلم الذي لا يلتبس. ورحم الله الوالد اذ يقول من قصيدة في هذه الاية:

يا أفضل الرسل يا أجهلهم شرفا	ياحائزا رتبا ما نالها احد
قد فضل الله بعض المرسلين على	بعض كما نص ذاك الواحد الاحد
وقد كني عنك افخاما ببعضهم	ومثل ذالك في التفخيم لا يرد
اذ لم يصل سكونك المصون و لم	يقدرك قدرك الا الفرد الصمد

1- سورة الأنعام الآية: 19.
2- سورة الفرقان الآية: 01.

قد استعار لما قد نلت من رتب	الرفع للدرجات ايها الصمد
ملمحا به للاسرار واذ ظهرت	به وجوه من التفضيل تعتقد
موسطالك حيث كنت واسطة	للكل لولاك ما عدوا وما وجدوا
وكنت در الاصداف للورى وسطا	وانت واسطة في العقد منفرد
وكي يقر بذلك كل مستمع	ولا طريق الى انكارهم وجدوا اهـ

وشذ صاحب الكشاف في تفضيل جبريل وجهل مذهبه قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى:﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ (1) استدل الزمخشري بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما السلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف إذ المقصود منه نفي قولهم إنما يعلمه بشر. إفترى على الله كذبا أم به جنة . لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما اهـ فمحصله إنه شيئا اقتضاه خصوص الحال على حد ولا أقول لكم إني ملك ما هذا بشر إن هذا إلاملك كريم. وقال الطيبي في حواشي الكشاف ثم انك اذا امعنت النظر وقفت على ان في اجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام ادماجا لتعظيم الرسول عليه السلام وانه بلغ من المرتبة وعلو المكانة عند الله ان جعل السفير بينهما مثل هذا المقرب المطاع امين الخ والى هذين الجوابين اشار الوالد قدس سره في قصيدة همزية تعرض فيها الايات التي اخطأ فيها الزمخشي في جانب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أفضل الخلق من قريب وناء فالجميع أرض وأنت سماء

لك جبريل خادم ورسول	ورقت تحت ذيلك الخدماء
ماجبريل وهو من نوره كا	ن بتفضيله عليه رضاء
والذي في التكوير يطلبه ذا	ك المقام فما عليه ابتناء
كان أصل الكلام في مدح جبريـ	ل فمقتضى الظاهر الاطراء
وبذالك المديح ادماج مدح	للنبيء درت به الأذكياء

1- سورة التكوير الآية: 19.

وقال في ارجوزيته في علم الكلام

الرسـل افضل مـن الملائك ... والمصطفى افضل من ولائك
هو أجل ما اختفى وما ظهر ... انعقد الاجماع فيه واشتهر
وقول محمود بتكوير نشر ... كونه مذموما به بين البشر
اذ خرق الاجماع جهلا وخرج ... وما على الأعرج ياهذا حرج
جبريل روح القدس من مقدمه ... لا يتخطئ عن خطأ قدمه
ثنى عليه بصفات ادمجت ... ثناء مخدوم له وادرجت

وقال في وترياته مغلطا عليه

جلت كرما يتلى اذا الشمس كورت ... ووصفه في وصف لجبريل مدمج
جرى صاحب الكشاف في غير مهيع ... ولا حرج عليه اعمى واعرج

واما من يليه صلى الله عليه وسلم في الفضل فقال السيوطي في نظمه الكوب الساطع

يليه ابراهيم ثم موسى ... ونوح والروح الكريم عيسى
وهم اولوا العزم فمرسل الانام ... فالانبياء فالملائك الكرام

وينبغي ان يستحضر في معنى الأفضلية ما ذكره ابن عباد في الرسائل الكبرى حيث قال انها بحكم الله تعالى لامن اجل علة موجبة لذلك وجدت في الفاضل وفقدت في المفضول وللسيد أن يفضل بعض عبيده على بعض وان كان كل منهم كاملا في نفسه من غير أن يحمله على ذلك شيء وذلك مما يجب له بحق سيادته والله تعالى منزه عن الاغراض وغير هذا تعسق لا يسلم من الوقوع في سوء الادب وما زلت استثقل قولهم ان فلانا من الانبياء حاله كذا وحال نبينا صلى الله عليه وسلم كذا وشتان ما بين الحالتين لما يوهم من النقص والانحطاط اهـ بخ والمتعين حمل كلام الائمة على قصدبمجرد التنبيه وبيان ما اقتضته حكمة الله تعالى واختياره من جمع

الخصائص كلها والكرامات باسرهالنبينا محمد عليه السلام ليكون عنصرا الفضائل ومدا لكل كامل كما قال البوصيري:

لاتقس بالنبي في الفضل خلقا ـ فهو البحر والأنام اضاء ـ كل فضل في العالمين فمن. فضل النبي استعاره الفضلاء.

وحينئذ فلا حرج في ذلك ولا استقلال اصلا وذلك كالشرح لاسمه الجامع والتفسير لقوله تعالى: ﴿ ورفع بعضهم درجات﴾ وان قصد حط الفضل عليه فيخشى ان يكون كفرا لانه مستقل فقط فكيف يظن باولائك الائمة. نعم يجب ان يتحفظ ها هنا في العبارة وينبغي ان يتلطف فيها ما امكن وا لله اعلم اهـ انتهى من ابن حمدون ببعض اختصار اهـ (و) أي واسالك واتوسل اليك (بجميع الرسل) أي الرسل الكرام الذين عددهم (314) على الاصح (و) أي واسالك واتوسل اليك (بجميع الانبيا) الذين عددهم (124000) (و) أي واسالك واتوسل بجميع (الملائك) أي الملائكة الكرام الطذين لا يعلم عددهم الا انت . **ـ فائدة ـ** الملائكة هم اجسام روحانية نورانية لاتتزاحم لما في الحديث (**إن ا لله ملكا يملأ ثلث الكون**) وفي آخر (**إن ا لله ملكا يملأ ثلثي الكون**) وفي غيره (**إن ا لله ملكا يملأ كل الكون**) لهم قدرة على التشكلات الجميلة فيتشكلون في أي صورة شاؤا ولا تحكم عليه صورة. بخلاف الجن فانهم يتشكلون ايضا في الصور القبيحة ككلب وحية وتحكم عليهم الصورة . وللملائكة قوة أيضًا على الأفعال الشاقة فلا يوصفون بذكورة ولا أنوثة. لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون. يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون ا لله ما امرهم ويفعلون ما يومرون) ولا يعلم عددهم الا ا لله تعالى لقوله عز وجل :﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو**﴾(1) اهـ من سراج السالك اهـ وقوله (التي تلي) أي الملائكة التي تلي في الفضل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام اهـ ثم خصص الفاضلين من الملائكة بعد التعميم فقال

1- سورة المدثر الآية:31.

(و) أي واسالك واتوسل اليك (يـأمين) أي أمين الوحـي (جـبريل) صلـى ا لله عليه وسلم (الفارس) أي السفير بين ا لله تعالى وبين رسله الكرام فهـو أفضـل الملائكـة على الإطلاق كما في حديث الطبراني. وعدد نزوله على الأنبياء أربعة وعشرين ألـف مرة وخمسمائة و ثلاثة وعشرين وإلى هذا أشار الشيخ العارف با لله سيدي أحمد بـن العربي بن الحاج فقال:

نـزل جـبريل علـى أبـي البشر	فيمـا حكـاه الديلمي اثنا عشر
ادريـس يعقـوب لكـل نـزلا	أربع مرات علـى مـا نقـلا
وعشـرة عيـسى وأيـوب	أتى ثلاث مرات على ما ثبـتا
ونـوح خمسـين وأربعيـنا	على الخليل قد حكـى يقينـا
وأربـع مـوسى مـن المئينـا	وسيـد الـورى المفضلينـا
قـد جـاء عشـرين ألـف مرة	وخمسها أعظـم ربي قـدره اهـ

نقله ابن حمدون اهـ (و) أي واسـالك واتوسـل اليـك بـ (صاحب الصور الكريم) وهو سيدنا اسرافيل الموكل بالصور الجـامع لـلأرواح والموكـل بـالتفختين أي نفخة الصعق ونفخة البعث (الحارس) أي القائم بحراسة الصور إلى أن يؤمر بالنفختين. وهذا مما يجب الإيمان به لثبوته كتابا وسنة وإجماعا والصور قـرن مـن نـور فيـه ثقـوب بعدد ارواح من يموت فينفخ فيه إسرافيل عليـه السـلام نفختيـن. النفخـة الأولى نفخـة الصعق التي يفنى عندها كل شيء الا مـا استثنى. والنفخـة الثانيـة للبعـث الـتي يبعث عندها جميع المخلوقات. قـال تعـالى:﴿ **ونفـخ في الصـور فصعـق مـن في السـماوات والارض إلا من شاء ا لله ثم نفـخ فيـه أخـرى فـإذا هـم قيـام ينظـرون**﴾(1). اهـ فاسرافيل موكل به باللوح المحفوظ وبتصوير الأجنة في بطون الأمهات ولا يشغله شيء من ذلك عن التسبيح طرقة عين فسبحان القادر على كل شـي اهـ مـن سـراج

1- سورة الزمر الآية: 68.

السالك اهـ (و) أي واسالك واتوسل اليك بالملك (صاحب النبات والأمطار) أي الذي هو سيدنا ميكائيل (و) أي واسالك واتوسل اليك بالموكل بقبض الأرواح الذي هو (صاحب الآجال) سيدنا عزرائيل . وقوله (والأعمار) عطف تفسير اذ انتهاء الآجال هو انتهاء الأعمار. (و) أي وأسألك وأتوسل إليك (بجميع الأصفيا) أي الصوفية (الصديقين) أي الصالحين (و) أي وأسألك (بجميع الاولياء) أي الذين توليتهم واقمتهم في مقام العبودية وادخلتهم تحت قولك وانت اصدق القائلين :﴿ **إلا أن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾ (1) الآية وقوله (المنيبين) أي الراجعين الى الله بالتوبة. من قوله تعالى:﴿**منيبين اليه واتقوه**﴾ (2) وقوله تعالى:﴿ **إن ابراهيم لحليم اواه منيب**﴾ (3) (و) أي واسالك واتوسل اليك بجميع (المنيبين) أي الذين وصفتهم في كتابك العزيز في غير ما اية ﴿ **انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾(4) الاية الى غير ذلك (و) أي واسالك كذلك بـ (المومنات) (و) أي واسالك (بالمسلمين وكذلك المسلمات) فلم يكتف المصنف بالمومنين فحسب ولا بالمسلمين. اقتباسا من قوله تعالى:﴿ **إن المسلمين والمسلمات**﴾ (5) الاية اهـ —

فائدة — مما يجب اعتقاده أن أفضل خلق الله انسا وجنا وملكا. خواص الملائكة بعد الانبياء . أي عظماؤهم وهم جبريل وميكائيل وعزرائيل عليهم السلام. **فهؤلاء** أفضل من أولياء البشر. كأبي بكر ومن بعده ومن عامة الملائكة وهذا هو المعول عليه عند أهل الحق وإلى هذا الترتيب أشار صاحب الجوهرة بقوله :

وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فمل عن الشقاق
والانبيا يلونه في الفضل وبعدهم ملائك ذي الفضل اهـ

1- سورة يونس الآية: 63.
2- سورة الروم الآية: 31.
3- سورة هود الآية: 75.
4- سورة الأنفال الآية: 02.
5- سورة الأحزاب الآية: 35.

وقال في الشيبانية :

وأن رسول الله أفضل من مشى على الأرض من اولاد آدم او عدى اهـ

نقله شيخنا مولاي احمد في شرحه على اسهل المسالك. اهـ

ثم بعد التسول بما ذكر من الذات والصفات والاسماء والرسل والانبياء الخ افصح عن سؤاله فقال:

نَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَنْ تُدْخِلَنِي	لِلْحَضْرَةِ الْعُلْيَا وَلاَ تُهْمِلْنِي
وَأن تُشِيلَنِي مِنَ الأَوْحَالِ	إِلَى مَرَامِ الوَصْلِ وَالأَفْضَالِ
أَنَا وَأَهْلِي وَجَمِيعِ الأَصْحَابْ	وَمَنْ يُواسِي مِنْ جَمِيعِ الأَحْبَابْ
وَصَلِّ يَارَبِّ عَلَى مُحَمَّدِ	وَالأَنْبِيَا والمُرْسَلِينَ المُجْدِ
وَالصَّحْبِ وَالآلِ لِكُلِّ مَنْ ذُكِرْ	وَالأَوْلِيَا وَكُلِّ حِزْبٍ قَدْ شُكِرْ
وَالحَمْدُ للهِ علَى إِتْمَامِهِ	وَالشُّكْرُ للهِ عَلَى إِنْعَامِهِ

نسالك اللهم أي يا الله (ان تدخلني للحضرة العليا) أي التي تقدمت الإشارة إليها (ولاتهملني) أي تتركني هملا سودا ماكولا لنفسي (و) واسالك (ان تشلني) أي تخرجني (من الأوحال) أي الشدائد ومن رق نفسي وأن تعلني إلى أن تبلغني (إلى مراق) أي سلم (الوصل) اليك (و) أي وإلى (الإفضال) أي التي تفضلت بها على أهل حضرتك العليا وأن تلحق بي (أنا) أي الناظم (وأهلي) من زوجة وأولاد (وجميع الأصحاب) أي اصحابي والمرافقين لي (ومن يواسني من الأحباب) أي وكذا من يساعدني ويعينني على ضرورياتي من جميع الأحباب اهـ ثم ختم بالصلاة على النبيء صلى الله عليه وسلم امتثالا لما ورد من انه لا يرد دعاء بين الصلاتين على النبيء صلى الله عليه وسلم فقال (وصل يارب على محمد) وقد تقدم معنى الصلاة عليه في اول الكتاب (و) أي وصل يارب على (الانبيا والمرسلين المجد) أي المعظمين الممجدين (و) أي وصل يارب (على الصحب والآل لكل من ذكر) من النبيئين و المرسلين (و) أي وصل يارب على (الأولياء من كل حزب قد شكر) وهو حزب الله المشار إليه بقوله

تعالى: ﴿**لا تجدو قوما يومنون بـا لله واليـوم الاخـر يـوادون مـن حـاد ا لله ورسـوله ولو كانوا آباءهم أوأبناءهم أو إخوانهم أوعشيرتهم اولائك كتب في قلوبهم الإيمـان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبـدا رضـي ا لله عنهم ورضواعنه اولائك حزب ا لله ألا إن حزب ا لله هم المفلحون**﴾ (1) خاتمة المجادلة اهـ

ثم ختم كذلك بالحمد لله تعالى لما ورد من قبول الأعمال بين الحمدلتين كما تقدم أول الكتاب ليضا فقال:(والحمد لله على إتمامه والشكر لله على إنعامه)

انتهى وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى. **ـ تتمـــة ـ** عن لي

ان اتمم بها هذا الشرح الميمون. وهـي ذكـر مـن ثبثـت تسـميته . مـن الكتـب المنزلة. والرسل . والملائكة الكرام. لما ورد من وجوب الإيمان بما ذكـر علـى العيـن . من أجل ذاجعلته آخر فائدة كالخاتمة آخر فائدة يستفاد بها القارئ والسامع . وتفاؤلا أن يختم عمري بالإيمـان والإسـلام. سـائلا مـن ا لله الكريـم أن يحقـق لي مـا رجوتـه وتفاءلت به من وجوده العميم. بجاه من لولاه ما كان الكون آمين

فاقول وبا لله استعين . ذكر في القـرآن حسبما في النـوع التاسـع والستين مـن الاتفاق. من اسماء الملائكة أربعة . ومن أسمـاء الملائكـة اثناعشـر. ومـن اسمـاء الانبيـاء والرسل خمسة وعشرون. منهم ثمانية عشر في سورة الانعام. قال تعالى:﴿ **ووهبنا له**﴾ أي لابراهيم ﴿**اسحاق ويعقوب**﴾. إلى قوله تعالى ﴿**ولوطا**﴾ (2).ذوالسـبعة الباقيـة . آدم ، وادريـس. ومحمـد صلـى ا لله عليـه وسـلم وعليهـم اجمعـين. وهـود، وصـالح، وشعيب، وذ الكفـل ، واختلـف في عزيـر ولقمـان وذي القرنـين . وأمـا الحضـر فلـم يصرح باسمه في القرأن وإن كان هو المراد في آية عبدا من عبادنا على أنـه قيـل بولايتـه فقط وهو أي الجماعة قال في الكوكب الساطع :

1- سورة المجادلة الآية: 22.

2- سورة الأنعام الآيات : 84، 85، 86.

واختلفت فـي حاضر أهل النقول　　قبـل ولـي ونـبي ورسـول

لقمـان ذي القرنـين حـوا مريم　　والمنع في الجميـع رأي المعظـم

ـ **تنبيــه** ـ اسم الخضر يليا بن ملكان وكنيته ابـو العباس. فمن عرف اسمه واسم ابيه وكنيته ولقبه لا يموت إلا مسلما كما قد قيل:

والخضـر المعـروف عنـد النـاس　　بليـا بـن ملكـان أبـو العباس

مـن عَـرف الكنيـة تمت السما　　ابا مع اللقـب مـات مسلمـا اهـ

وفي اليواقيت عن محى الدين أن مقام الخضر دون النبوة وفوق الصديقية ويسمى مقام القربة وأنكر الغزالي هذا المقام . وأجمع الصوفية على بقائه حيا وتواتر النبوة عن أولياء الله في كل عصر لقاؤه ونقل ذلك في لطـائف المنن في البـاب الأول منـه اهـ إلى أن قال أي ابن حمدون وإلى ما في الإتفاق أشار شيخنا العلامة الدراكة أخونا عبد الله سيدي محمد فقال:

فيـارب يـاكـريم حسـن طويتي　　وحقـق انـا بتي وصحح عقيدتي

بمعرفـة الأسـما الـتي قيل جهلها　　مع النص فـي القرآن عين الملامة

وذلـك كتـاب الله اوثـق عروة　　وانجح مقصود وأقـوم حـجتي

زبـور وانجيـل وتـوراة سـائح　　وجبريل ميكائيل أعظـم بحرمتي

وهـاروت ماروت ورعـد ومالك　　وبـرق سجيل مع قعيد سكينـة

وروح وذو القـرنين قـد صح نقلها　　وآدم والـد لكـل الخليفـة

ونـوح وادريس وابراهيم الـذي　　بخلته أربي علـى كـل ذروة

ونجلاه اسماعيل اسحـاق والـد　　ليعقوب يـوسف صـالح ناقة

ولـوط وهـود مع شعيب ومن ربا　　على الطـور هـرون وزير بقوة

سليمـان داود وايـوب يونـس　　وذو الكفـل إليـاس فأكرم بحلة

كـذا اليسع الكريم يحي ووالـد　　وعيسى ومن بـه ختام النبـوة

انلني رضـــاك واعــف عني وعافني وكــن لي في الدارين علم جهالتي

بحق حقيقـــة وســر شريعـــة وصل علـــى المختار مع خير ملة اهـ

وهذا آخر ما قصدناه من حل ألفاظ هذا النظـم العجيب نفـع الله بـه وبأصلـه وجعلهما خالصين لوجهه الكريم بمنه وفضله العظيم آمـين يـارب العـالمين وقـد وافـق الفراغ من تبييضه يوم الثلثاء الخامس والعشرين مـن ربيع الاول من عـام ستة عشر واربعمائة وألـف مـن هجـرة سيد الوجـود إلى المدينـة المنورة بـأنواره عليـه الصلاة والسلام وأسأله تعالى التوفيق لما فيه رضاه وأن يجعلنا ممن اكتفى بـه ولم يعتمـد إلاهـو سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتـوب إليـك عملـت سـوءا وظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت اهـ

على يد مقيده السقيم الفهم القصير الباع المعترف بـالعجز والتقصير عبيـد ربـه تعالى محمد عبد العزيز بن على المذكور خار الله له آميـــــن.

فهرست الجزء الثاني من كتاب مفتاح العلوم

العنـــــــوان	الصفحة

العنـــــوان	الصفحة

إنتهت فهرست الجزء الثاني من كتاب مفتاح العلوم اهـ

I.S.B.N 9961-908-37-6 ردمك